# الوعاء التنظيمي للثورة العربية

## ١

وقائع الملتقى الفكري
العربي في الخرطوم
١٥ - ٢٣ آذار (مارس) ١٩٧٠

نظمت جمهورية السودان الديمقراطية في الفترة الواقعة بين ١٥ - ٢٣ آذار (مارس) ١٩٧٠ ندوة فكرية عربية في الخرطوم أسمتها: « الملتقى الفكري العربي » لمعالجة موضوع :

# الوعاء التنظيمي للثورة العربية

وقد شارك في هذا الملتقى مفكرون وباحثون ومسؤولون عرب من عدة بلدان عربية هي : جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية المتحدة، الجمهورية العربية الليبية ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، الأردن ، لبنان ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، المغرب ، القطر العراقي ، العربية السعودية ، الجمهورية العربية اليمنية ، القطر العربي السوري . كما حضره ممثلون عن منظمات الثورة الفلسطينية .

افتتح الملتقى اللواء جعفر محمد نميري رئيس مجلس قيادة الثورة ، رئيس مجلس الوزراء السوداني .

وقد رأت « المعرفة » أن ما قدم من بحوث وموضوعات ، وما جرى من مناقشات خلال هذه الندوة العربية الكبرى جدير بأن يطلع عليه جميع المثقفين والتقدميين العرب لكي يتمكنوا من رؤية التطور الذي حققته الثورة العربية في مجالي النظرية والتطبيق ، ومن خلال الممارسة الفعلية المستمرة .

لذا فإن « المعرفة » تنشر في عددين خاصين وقائع هذه الندوة ، كما جرت ، والبحوث والموضوعات التي قدمت إليها ، بصورة موضوعية ، دون أن تبدي رأيها الخاص في هذه البحوث وتلك المناقشات ، تاركة للمثقفين العرب أمر الاطلاع عليها أولاً ، وتقييمها ثانياً . وما من شك في أن « ملتقى الخرطوم » حدث كبير في الفكر الثوري العربي ، وأن لقاءات أخرى في الموضوع ذاتــه ، ستعقد في المستقبل القريب تستهدف الوصول الى صيغة موحدة للثورة العربية ، وهي مـــا تنشده جميع القوى التي تخوض معركة التحرر والاشتراكية .

# موضوعات الملتقى

١ — الأرضية التي تتحرك منها الثورة العربية

٢ — المرتكزات الفكرية والروحية للثورة العربية

٣ — الهيكل الاقتصادي للثورة العربية

٤ — قوى الثورة العربية

٥ — الوعاء التنظيمي للثورة العربية

٦ — الجيش ومكانه في الثورة العربية

٧ — القضية الفلسطينية كمحور للثورة العربية

# افتتاح الندوة

كلمة اللواء جعفر محمد نميري

رئيس مجلس قيادة الثورة ، رئيس مجلس الوزراء



كلمة الدكتور منصور خالد

وزير الشباب والرياضة والشؤون الاجتماعية

# كلمة اللواء جعفر محمد نميري

## رئيس مجلس قيادة الثورة ، رئيس مجلس الوزراء

أيها الأخوة المناضلون

ان ملتقاكم الفكري عند ملتقى النيلين على أرض السودان ، ملتقى الأمل العربي بالأمل الأفريقي ، هو شرف عظيم لنا نحن أهل السودان .. وهو في ذات الوقت مبعث سعادة عامرة لنا . فلم يكن من السهل في أي وقت قبل الخامس والعشرين من مايو ( أيار ) أن يلتقي في السودان هذا العدد من المفكرين والمثقفين الثوريين من العالم العربي ، وأن يجتمع بلقائهم كل ما تمثله الأمة العربية من الحركة الفكرية الايجابية المستمرة من أجل شرف الانسان العربي وكرامته . هذه الحركة التي صنعت الحضارات المبدعة في الماضي والتي تناضل في الحاضر على جبهة قتال عريضة وعميقة لتحقق لأمتها النصر . وتملك لها حرية العمل البناء ... من أجل التقدم والرخاء .

لم يكن من الميسور تحقيق لقاء كهذا في السودان يجمع المفكرين الثوريين من ابناء الأمة العربية لولا الاجراء الثوري الذى لجأ اليه شعبنا حينما تعذر عليه التخلص من الضغوط المتزايدة عليه بالطرق والأساليب التغييرية العادية ، تلك الضغوط التي أذلت كرامة انسان السودان ووصلت به الى حالة من القلق

الاجتماعي والنفسي كادت تحطم معنوياته ، وتودي بتراثه المجيد ، وتفصل بينه وبين منابعه الحضارية والتراثية ، ومنابت فكره وروحانياته ، وتقعد به عن المشاركة الايجابية في حركة الدفع العربي ، وتحرمه شرف الاسهام الفعال في معركة المصير استرداداً للأرض وصوناً للشرف والكرامة .

وكان على شعبنا أن يتحسس طريقه الى الخلاص ويبحث عما تبقى له من قوة كي يندفع محطماً الاغلال . وكان طبيعياً ان يتجه الى قواته الفتية الشابة في القوات المسلحة .. أقوى الطاقات المنظمة القادرة على الانقضاض والمباغتة بصورة فدائية لتعيد السلطة اليه ، وتكسبه القدرة والقوة على تحقيق مطامع الحاضر وتطلعات المستقبل ، وتقدم الرد الحاسم على الهزيمة المرة التي أصابت امتنا في حزيران ١٩٦٧ .

ومنذ الخامس والعشرين من مايو وشعبنا يعيش أحلامه حقيقة واقعة ، بعد أن كانت أملاً يجرب الوصول اليه خلال أربعة عشر عاماً من التيه والضياع . أعواماً نجحت في اعادة الثقة الى الاستعمار ومصالحه ، ولكنها الهمت في ذات الوقت القوى التقدمية وسط صفوف شعبنا الهداية ، وزودتها بأسباب النجاح ، وأثرت نضالها الجسور .. وأوصلته الى نتيجة مشرقة صباح ذلك اليوم الأغر .

وكان الخامس والعشرون من مايو ايذاناً ببداية مرحلة جديدة من العمل الثوري توسيعاً للمسؤولية عند شعبنا ، واعادة للثقة في نفسه ، وتطوراً للحياة على أرضه ، وارواء لخصوبتها الخلاقة ، كما كان نقطة الانطلاق للعمل الجاد على المسرح العربي .. انشغالاً بهمومه ، وتأثيراً على مجريات الأحداث فيه ، ومشاركة فعالة بالعمل الدائب فكراً وأداء .

أيها الأخوة

ان الثورة وهي تعمل للبعث الثقافي والحضاري والروحي .. تؤمن ايماناً عميقاً بانتماء السودان الى منابعه الحضارية العربية ، وعضويته الأصيلة في الثورة العربية ، وارتباطه ارتباطاً مصيرياً بها ، يقف على أرضها الصلبة ثابتاً عليها ، متفاعلاً من فوقها مع الثورة الافريقية ومع العالم المعاصر ، ومتأثراً بتياراته الانسانية ومؤثراً عليها .

فالسودان ترجع أصوله الحضارية الى الأمة العربية ، ويمنح أرضه امتداداً لها ، من صدر القارة الافريقية الى جوفها ، وتنتقل عن طريقه الثورة العربية الى قلب القارة الافريقية وتمتزج بها في اخاء وتلاؤم والتحام ثوري ، بيقظة وطنية ، ونهضة حضارية تنمو ، وتتألف وتبرز وجودها خلال الصراع المستمر ضد الاستعمار القديم والحديث .. ويأتي انتصارها عهداً مشرقاً لجماهير الكادحين الراغبة في البناء الجديد على طريق الاشتراكية والديمقراطية .

لقد فكت ثورة الخامس والعشرين من مايو ( أيار ) الطاقات الفكرية وفتحت الآفاق رحبة للعمل المنطلق من العلم ايماناً منها بأن الاشتراكية هي سيادة العلم .. وأن العلم هو في التحليل النهائي العامل الحاسم في قضية التطور والحياة .. وراحت تعيد للثقافة في السودان جذورها العربية وتنفتح انفتاحاً واسعاً نحو الفكر العربي ، وتقضي على مؤسسات الفكر الرجعي التي عجزت عن الغاء الرباط الذي يربط شعبنا بالفكر العربي المنطلق في اتجاه الثورة العربية الشاملة .

ولهذا السبب ينعقد هذا الملتقى الفكري في الخرطوم بدعوة من وزارة الشباب التي أناطت بها الثورة مسؤولية التوجيه والتثقيف السياسي ، لأنها ثورة شابة مدركة لأن التغيير الحقيقي في النهاية انما يقوم به عنصر الشباب الذي يمثل ٦٥ ٪

من أهل السودان ، ان هذا الملتقى يجتمع اليوم لمناقشة قضية الثورة العربية في هذا المنعرج التاريخي الهام وليمنح فرصة نادرة للقاء ثورتنا بروافد الثورة العربية الأم.

أيها الأخوة

لقد راحت الثورة استشعاراً منها بمسؤوليتها التاريخية ، ووعياً منها بخطورة المرحلة التي تتميز بتصاعد حركة النضال ضد الكيان الصهيوني المسنود من قبل الأمبريالية العالمية ، والتي تواجه فيها الأمة العربية خطراً يتعدى مسألة احتلال أجزاء من أراضيها الى التهديد بافناء وجودها القومي . راحت تضع قدرات السودان في خدمة هذا النضال .. وتلقي بها في ميدان المعركة وصولاً الى النصر الذي تتطلع اليه جماهير الأمة العربية ، وتقاتل في سبيله ، وتجتاز امتحان معركته في صمود وثبات رائعين .

كما راحت الثورة تسهم في الجهد الذي تبذله القوى المخلصة الأمينة في الوطن العربي لتحقيق الوحدة العربية باعتبارها المرتكز الذي يوفر الامكانيات اللازمة للتحرر العربي ، والمحافظة عليه وبناء الاشتراكية والحرية والرخاء .

ان سودان الثورة يدرك ادراكاً عميقاً ان التجزئة هي مصدر مشكلات البناء الاشتراكي في الوطن العربي . ولم يكن لقاء طرابلس في ديسمبر من العام الماضي محاولة لخلق محور مغلق على نفسه .. لكنه محاولة نزيهة من أجل خدمة الوحدة العربية لا تنفصل عنها ولا تبتعد عن نطاقها . بل وترمي لها ركيزة على قطعة من أرض الوطن العربي تزخر بامكانيات بشرية وطبيعية متكاملة ،وتتوفر لها من الأسباب السياسية ما يحملها على النهاية الحتمية في انسجام سياسي وفكري رائع .

أيها الأخوة

ان معركة فلسطين تجسم رمزاً حياً لازمة الحرية في مواجهة الاستعمار ، تواجه فيها الشعوب العربية وقواتها العسكرية الاستعمارية العالمية وقلعتهـــا العسكرية على أرض فلسطين المحتلة . ومن هنا يصبح من الضروري توحيد كل القوى النضالية العربية القادرة على الصمود في امتحان المعركة ، ويصبح ضرورياً كذلك لقاء المفكرين الثوريين وعملهم الدائب الصادق على توضيح المفاهيم وتحديد الأهداف تسخيراً للفكر المعركة ، وربطاً له بالسياسة ، حتى تتبين الجماهير العربية مصلحتها بوضوح متخطية كل نقاط الضعف وعوامل الجمود حتى تستطيع الانطلاق من مراكز القوة .

ان في نضالنا تجارب عظيمة فيها من السلبيات والايجابيات ، والاخفاق والنجاح، ما يزود شعبنا بروح تمكنه من تعزيز مواقع نضاله ضد قوى الاستعمار ، وتسلحه بقوى زاخرة من العمل والفكر لمعركة الحاسمة التي تنتظره .

وعلى كاهلكم يقع عبء الدرس والحوار والنقد والتحليل العلمي الصريح، تعميقاً للوعي ، واثراء للفكر السياسي العربي ، وتوجيهاً للمسؤولية السياسية ، حتى يأتي عملها انعكاساً أميناً وصادقاً لمطامع أمتنا ، وسعياً لتحقيق حقها الذي اخلصت في النضال عنه بدمها عبر السنين والدهور .

واذا ادركنا أن التاريخ واحد والمصير واحد فاننا لانستطيع أن نتناول تجاربنا المختلفة من مواقعنا الاقليمية ، وأن نرفع شعارات تقدمية ونضع تيارات تحررية دون أن نهيأ لها من اللقاءات ما يمكنها من مراجعة انفسها ومحاسبتها وربطها بواقع الثورة وميدان عملها ربطاً متفاعلاً لا انفصام فيه ، ضماناً للمحافظة على الدفع الثوري ، وتطويراً له ، وتأكيداً متزايداً لقدرته ـ دون سواه ـ على فك الحصار

المضروب حول امتنا ومدارها الحضاري ، وهزيمة لأعدائها من استعمار وتخلف اقتصادي واجتماعي .

وأنتم تلتقون على أرض الثورة السودانية ، ومن حقكم على الثورة السودانية أن نحدثكم عن الدور الذي تستطيع أن تقوم به في مصلحة الثورة الاشتراكية في العالم العربي .. على قلة خبرتها وحداثة سنها ..

ان تحرير الاقتصاد الوطني من اساس التخلف والجمود والتبعية ووضعه على طريق الانطلاق يأتي على رأس المهام الوطنية العاجلة للثورة ، تقدماً اقتصادياً وتغييراً اجتماعياً متفقاً مع مصالح الطبقات التي ترتكز عليها الثورة في هذه المرحلة من عمال ومزارعين ورعاة ومثقفين وقوات مسلحة ورأسمالية وطنية غير مرتبطة بالاستعمار، مسترشدين بالعلم والتخطيط ـ منفتحين على منجزات الفكر الانساني ، وعلى تجربة الامة العربية منبع تراثنا الحضاري والروحي ، لا فصل بين عروبته واسلاميته ، تراث الدعوة الى الخير والعدل والمساواة ، منتزعين جوهر الاسلام ومفاهيم العدالة الاجتماعية فيه من الادعياء الانتهازيين ، منتسبين بشرف واصالة الى خلقه ومثله درعاً للخائف وحقاً للمظلوم ومنارة للنضال الانساني .

من اجل تحقيق كل هذا .. تقف كل قوى القادرين على العمل غير المستغل . هذا هو تصورنا لقوى العاملين . تقف كل هذه القوى في وحدة وطنية رائعة وضرورية تصوغ الحاضر وتضع اسس المستقبل المشرق . يقف كل هؤلاء الذين حققوا الاستقلال وفجروا اكتوبر وصنعوا مايو فأهلوا انفسهم ليكونوا أصحاب مصلحة في الثورة وفي التغيير الاجتماعي الذي تقوم به . لقد قاد كل هؤلاء النضال المخلص الامين من أجل حرية السودان وتحرير اقتصاده ، في ثبات وشجاعة ، يرفعون رايات التقدم وهي تزداد علواً ويزداد حولها الشعب التفافا .. متحملين جسام

التضحيات حتى آلت اليهم السلطة في الخامس والعشرين من مايو . لقد نهضت هذه القوى العاملة على أنها قوى مؤتمنة على النضال، وأججوا المثقفون حماسة الجماهير، ونشروا الوعي الوطني والاشتراكي، وأسهمت الرأسمالية الوطنية بمالها وبانخراطها في مواكب النضال الشعبي، وحملت القوات المسلحة هموم الجماهير وعناءها ووقفت بجانب هذا النضال شعوراً بانتمائها الى شعبها، فنكست السلاح يوم أمرت بضرب شعبها في أكتوبر ، وتقدمت صفوف زحفه في مايو . . وتقف اليوم حارساً أميناً ودرعاً واقياً لثورته ، بل وتسهم في عمليـــة البناء الوطني وتضيف كل يوم دلالة جديدة على التحامها بشعبها التحاماً لا انفصام عنه . وبهذا الترابط الوطني لكل هذه الفئات يتحقق المناخ الصالح لارساء دعائم مجتمع الكفاية والعدل . . فلقد برهنت تجربة العشرة شهور التي عشناها في السودان . . . أن ارتباطات قطاعات كبيرة من شعبنا بالاحزاب التقليدية لم يكن ارتباطاً ايديولوجياً ولا فكرياً ، بل هو ارتباط متوارث وعاطفي . . وسرعان ما هجرته الجماهير يوم أن وضحت لها الرؤيا وأدركت أن الذين تصدوا للقيادة باسمهم بالأمس قد اعتقلوا تطور البلاد وحبسوا ملكات شعبنا الخلاقة . هذه هي الحقيقة التي عدت بها من الريف السوداني . . والذي أريد من المدينة أن تعيها . فمن أجل كل هؤلاء يتم تحرير الاقتصاد الوطني، وتدخـــل الثورة بالسودان مرحلة الثورة الاجتماعية، وتتفتح نحو الريف معطية الاستقلال مضمونه الحقيقي، قضاء على التخلف والتحجر ، وتصفية للنفوذ الموروث اقتصاداً كان أم ادارة ، ومحاربة للعطش والعري . . وتوسيعاً في الخدمات الطبية وتطويراً في الكم والكيف للتعليم ، وارتقاءاً ثقافياً وحضارياً بحياة الجماهير .

ويساعد عملية البناء الاشتراكي في بلادنا تكافل اجتماعي وترابط عاطفي وعمومية الملكية وسط الرعاة وأهل الريف . وتمهد له مقدمات ايجابية تتمثل

في ملكية الدولة للارض والمرافق العامة ولكبرى المشروعات الانتاجية في مجالي الزراعة والصناعة .. ولتحملها مسؤولية التعليم والعلاج الطبي ومجانيتهما لكل الفئات الشعبية .

ورغماً عن كل هذا فانضرورة ملحة تطرح نفسها من أجل تعميق الوعي بالحقائق الاقتصادية ، وضرورة العمل المتواصل في صمت وصبر وتعبئة الجماهير له .. معتمدة اساساً على نفسها في صياغة النظرية .. وفي مواجهة التحدي الذي الذي يفرضه البناء الاقتصادي والاجتماعي من استغلال الموارد المهملة والطاقات المعطلة ، وسد الثغرات في البناء الثقافي الذي خلفه الاستعمار وحافظت عليه الرجعية ، وترشيد التعليم لمواكبة التغيير والتخطيط العلمي البعيد عن الارتجال بما يضمن تنسيق الطاقات والقدرات وتوجيهها منسجمة مكملة بعضها البعض . . لا متنافسة على المستوى القطري والقومي العربي .

أيها الاخوة المناضلون

ان ملتقاكم هذا يأتي في ظل الاحداث الراهنة التي تعيشها أمتنا .. ظروف العدوان الامبريالي الصهيوني على الوطن العربي . . وعلى ثورته ونظمه التقدمية . ان هذه الظروف تضع كل قوى التقدم العربي بكل فرقها الثورية وجهاً لوجه أمام التيارات المضادة للانسانية التي استهدفت النظم التقدمية المتحررة استعادة لمراكز نفوذها المنهارة وتمكيناً للقوى المضادة للثورة العربية من أن تحكم البلاد العربية لصالحه .

لكن الثورة العربية رغم النكسة وبفضل حركة الجماهير وقواها التقدمية الاشتراكية قد صمدت وواجهت العدوان باصرار ثوري واخذت تستعيد قوتها وتعيد بناء جيوشها ، بل وأخذت تواجه المؤامرة السوداء بتحقيق انتصارات على

العدو . امتدت يد الشعب الفلسطيني الى السلاح وقادت طلائعه الثائرة النضال الجسور . وانتصرت ثورة في الخامس والعشرين من مايو في السودان ، وثانية في الاول من سبتمبر في ليبيا . كل هذه عناصر ايجابية في معركة المصير .. تصفية للكيان الصهيوني وهزيمة لسنده الاستعماري الامريكي المتلاحم معه ، وخطى ثورية على طريق التحرر والتقدم والاشتراكية .

ان انعقاد مثل هذا الملتقى في مثل هذه الظروف انما يضاعف مسؤولية المشاركين فيه لضرورة العمل على الوصول الى وحدة في مجال الفكر والعمل من أجل تحقيق وحدة القوى التقدمية العربية .. خطوة على طريق طويل وصعب مكتوب علينا أن نسلكه وصولاً الى الانتصار من اجل جماهير شعوبنا الكادحة التي استنزف دماءها الاستعمار والمستغلون لقرون طويلة . فليكن حواركم مفتوحاً وصريحاً وموضوعياً متسماً بروح التقويم العلمي للتجارب الثورية العربية .. وليكن منطلقكم في هذا الحوار هو الوصول الى خطوات عملية تكفل الاستمرار لاثراء للفكر الاشتراكي وللنضال من أجل انتصار الثورة الاجتماعية ، خاصة وأن الاشتراكية تدخل مرحلة التطبيق في العديد من الاقطار العربية .

حقا .. ان مستويات النضال العربي ، تتنوع اليوم وتتباين ، ولكنها جميعها تلتقي في أنها تواجه الاستعمار والصهيونية والقوى المضادة للثورة ، في أنها تواجه مهمة بناء مجتمعاتها الثورية الجديدة ، في أنها تواجه حواجز التجزئة والتفرقة التي أقامها الاستعمار ودعمتها النظم الرجعية . ان الاستعمار بزعامة الولايات المتحدة الامريكية يقود حركة مضادة للنضال التحريري الذي نخوضه من أجل التحويل الاشتراكي .. ولكل تطلعاتنا الى الوحدة .

أيها الاخوة المناضلون

ان الثورة العربية لاتواجه الاستعمار وحدها .. ولامنعزلة ، وانما تواجهه مع كل قوى البشرية الشريفة ، وفي طليعتها قوى الشعوب الاشتراكية تتقدمها الشعوب السوفيتية ، بما يشكل عاملاً ايجابياً في نضالنا ، ويمكننا من اكتساب مزيد من القدرة على الوفاء بمهامنا التاريخيـــة والمشاركة بجدية وايجابية في معركة الانسانية كلها ، معركة النضال من أجل تصفية النظام الاستعماري العالمي ووضع نهاية لاستغلاله .

ان هذه الظروف التي تجابه الثورة العربية تدفع مسألة وحـــدة قوى الثورة العربيـة الى المقدمة باعتبارها القوى القادرة على الرؤيا بوضوح في طريق البناء الاشتراكي .

فليكن لقاؤكم خطوة جادة وايجابية في سبيل تنمية وتطوير الفكر العربي الثوري ، خطوة أساسية ومقدمة حتمية لتوحيده وتوحيد أساليب عمله ، انتصاراً لقوى التقدمية والاشتراكية في العالم العربي ..

ايها الأخوة المناضلون

مرحباً بكم على أرض السودان وطاب مقامكم فيه .. فالسودان بلدكم ، وأهله أهلكم ، يعيشون في ظل ثورتهم جنوداً مخلصين في كتائب التحرير العربية فكراً وعلماً وعملا .. والسلام عليكم .

# كلمة الدكتور منصور خالد

أخي الرئيس

اخوتي في الفكر والوطن

لكم تحياتنا من هنا .. قلب الخرطوم .. ولعلها التحية الاولى المنطلقة من روح جديد متوثب كان نتاجاً لمسيرة طويلة أنبتت وتنبت مثل هذه اللقاءات .. بل للمرء أن يدرك منفعلا اصالة المعنى الحقيقي لهذا اللقاء .. فهو ليس لقاء يمشي دربه كما تفوت اللقاءات وتندثر .. هو في الحق لقاء على موعد .. لحوار في أدق وأعمق القضايا التي تجابه العصر وتتحداه .. بل هو حوار يأخذ منعطفه التاريخي في مرحلة شاقة نحن هنا خلصاؤها .. ونحن هنا الذين نعيها في أشرف مواقفها وعلى أسنة الرماح ..

والترحيب عندنا بعد مايو هو في حد ذاته استشراق واستشراف على عالم أغلقناه على أنفسنا دهراً وعشنا مأساته .. فانتم ونحن هنا انما نمد الحوار الشائك الذي أضحى - بحق - تساؤلاً ملحاً عند جماهير الامة العربية .. ان الفكر السياسي العربي حين يلتقي في الخرطوم ، انما يلتقي في الاصل ليزيد من الأكف والاذرع للسودان العربي بعد مايو ، ولكي تقتات منه هذه الثورة السودانية الفتية

زادها في رحلة النضال العربي عبر دروب الاشتراكية الشائكة والقاسية العبور والاستقطاب معاً . اننا نرحب بكم واضعين في الحسبان ضرورة مثل هذا اللقاء .. وضرورة الحوار والمشاركة للفكر العربي الجاد من أي أرض نبت ،ومن أي منبت هي جذوره ..

ان السياسة العربية وهي في مرحلة المصير هذه لتواجه تحدياً مريراً هو أصل الضعف فيها وأصل البلاء .. هذا الضعف تمتد جذوره وتتسرب لتخلق فجوة بين الفكر .. والعمل .. ان هذا الشرخ قد جاء نتيجة مباشرة وحتمية لتخلف الفكر السياسي العربي عن العمل السياسي العربي .. تخلف الأول ، بينما وثب الثاني .. ان التعطش الجماهيري للفعل كان وما زال في سباق لامقارنة فيه مع الفكر .. ورغم ضرورة الربط بين الفكر والعمل .. بين النظرية وفعلها ، إلا أن ظروف الوطن العربي في أزمان خلت ، وبعضها ما زال عالقاً ، كانت مرتكزاً مراً ومؤلماً لمثل هذا الشرخ .. ولكن لقاءنا اليوم .. وملتقيات اخرى كانت وستكون ستمهد الطريق من كل وعثائه ومن كل شوائبه .

ان الفكر السياسي - بل أي فكر - لابد له لكيما يكون نافعاً من أن يقوم على ركيزتين . أولها الاصالة وثانيها الفعالية .. والاصالة في مرتكزها الأول، ولعله الأخير، تبنى على الادراك المسبق الواعي للجذور الفكرية والروحية .. ان المجتمعات الحديثة ليست كالنبت الشيطاني ، بل هي امتداد تاريخي المعاناة والتفاعلات التي مارسها الناس .. ولا يمكن لمجتمع اليوم أن يتنكر لاصالته من البدء وينشيء على غير دراية وهداية بجذوره ومن جذوره .. ثانياً الوعي بالكيان الذاتي .. بالشعور .. بالمقدرة والامكانية المادية والمعنوية .. وهذا الشعور بمثل هذا الوعي هو امتداد طبيعي لادراك تلك الجذور الفكرية والروحية ..والمفكر

السياسي سيعجز حتما عن تفسير تطلعات الامة ومنجزاتها ، والاستفادة من هذا التفسير في تجسيد أفكاره في وجدانها .. والأخذ بها طواعية الى حيث يمكن أن تعي موقفها وموقعها من التاريخ .. ما لم يبن هذا على الوعي بالذات .

ان الفكر العربي لمطالب اليوم بدراسة الجذور الفكرية لحركات البعث العربي والاسلامي في الوطن العربي .. لقد أفادت تجربة الجزائر مثلا ، في الربط بين فكري الجهاد والتحرر الوطني ، وأفادت - على عمق اتساعها - من فهم الدين كرسالة مقدسة ، وأمكن لها بهذا أن توجه العقيدة الدينية لجماهيرها مرتبطة بالايمان العنيد بالأرض ولتحرير الأرض كثرات لاهبة . وقد ارتكز كل هذا على أساس من الفكر الاسلامي متين بدأ بالأمير عبد القادر وانتقل عبر بن باديس الى جماعة العلماء .. ولو لم أخش المغالاة لاعدته الى ابن خلدون .. ان تجربة المهدية في السودان مثل ناصع آخر .. فهي قد اتخذت من فكرة الجهاد في الاسلام عقيدة ورسالة وطنية .. وبها وباسمها .. باحساس وطني آخر متوارث - استطاعت أن تصبح هي الاخرى منفذاً لتفسير التاريخ العربي على المستوى الشمولي في فكري الجهاد والتحرر الوطني ..

ان استيعابنا للأفكار المصطرعة في عالم اليوم واستقطاب مدلولاتها لا يجيء الا باستيعاب آخر واستقطاب آخر لكل جهد نحن عشناه من قبل وعانينا منه وفيه ... ان تجربة الصين لتوحي لنا بالكثير ... فهي خلاصة لتجربة ضاربة جذورها في التاريخ لخمسين قرناً من الزمان خلت .. قرون خمسون ظلت الصين ترفض فيها بالحاح الفكر الغربي ونفوذه في كل صوره ومن حيث ما أتت ... ومع ذلك فقد قبلت الصين - ولأول مرة في تاريخها - الفكر الغربي بقبولها الماركسية التي تمثل قمة الفكر السياسي الغربي ... لماذا ؟ لأن الزعامة السياسية

والفكرية التي توفرت للصين أدركت ضرورة الربط والتوافق بين الفكر الانساني الوافد والفكر القومي العتيد والتليد .. لقد ظل ماوتسي تونغ يؤكد ان رسالة الشيوعية في الصين هي من جانب آخر تحقيق لليوتوبيا الكنفوشيوسية .. وان ما أسماه كارل ماركس بالمجتمع الشيوعي المثالي استطاع ماوان يترجمه الى مجتمع « التاتونج » .. مجتمع الانسجام الكامل عند كونفشيوس ، هذا ما كان من أمر الأصالة . اما الركيزة الثانية التي حددتها لنجاح الفكر السياسي فهي الفعالية .. ولهذه الكلمة مدلولها الخاص في العمل السياسي .. فهي ليست فعالية طوباوية .. وليست هي فعالية الترسب المؤدي الى الرخاوة والسلبية .. ولكنها تعني في القاموس المطوع نفسه للأخذ والرد .. تعني الانفتاح والتحديث .. أن تكون أصيلاً يعني بالضرورة ان تكون مرناً .. وان تكون مرناً يعني بالضرورة ايضاً ان تتلقى وان تستحدث وان تفتح زهرة على اخرى لكل نسمة يمكن لها ان تنعش وان يكون لها عبير .. ان افساد الهواء لا يمكن ان تحدثه الا النوافذ المغلقة .. والا التصلب على رأي دون آخر .. وان التيبس ليس هو بأكثر من الانغلاق الذي تسدله على الذات . ان الانفتاح على التجارب الانسانية يثري التجربة الانسانية .. وبدون هذا الانفتاح ما كان للبشر من ان تطل اليوم على مشارف حضارية جديدة . ان التردد والجزع والعقد المتراكمة والدجل والاذعان والتوتر العصبي ليس اكثر من سياط تصيب أي تفتح للفكر العربي وللفعل العربي معاً .. هذا الاستحداث وهذا الانفتاح لها خطورتها أيضاً .. فنحن في انفتاحنا واستحداثنا هذا يستوجبنا عامل الحذر .. بل يستوجبنا ـ وفي جرأة ـ تطويع الرياح التي تهب علينا الى المراكب التي تمشي ، والى الشراع الذي نمسك به ... ان الفكر السياسي العربي يعاني في الحق من شيئين اثنين :

أولها هو الايمان المطلق عند غالبية المثقفين في بلادنا بالفكر السياسي الغربي .. وعلى علاته دون غربلة أو استئناس مريبع .. فمعرفة المثقف العربي بالفكر الليبرالي تفوق بكثير معرفته بالفكر الاشتراكي وبفكر العالم الثالث ، سواء كان ذلك في آسيا أو امريكا اللاتينية أو افريقيا . بل ان موقف الكثيرين من اولئك المفكرين انما هو موقف عدائي مسبق ... والناس فيما قيل أعداء لما جهلوا ...

والشيء الثاني من معاناة الفكر السياسي العربي ، وهو امتداد المنطلق الأول ، هو الرفض الغربي للفكر الماركسي عند المثقفين الليبراليين .. وجذعهم ووصودهم الأبواب أمام هذا الفكر الانساني الثر ، مع العلم بأن هذا الفكر الماركسي يمثل التحليل النقدي الأكثر تطوراً للمجتمع الأوربي المسيحي ... ولا يمكن لنا هنا الا ان نشيد بالعقلية النقدية المتفتحة الجريئة التي بادر بها كل من المفكرين الرائدين المرحومين سلامة موسى والدكتور محمد مندور .. ان الجهد الرائع الذي واجها به التردد والمهادنة الفكرية التي كان يعاني منها الوطن العربي لجديرة بالاحترام .. فسلامة موسى أول من ظل يدعو بسفور للانفتاح والتحديث والأخذ بالأسلوب الاشتراكي طريقاً للحيـــاة .. بل انه أول من استورده - مستحدثاً - ألفاظاً اشتراكية لم يكن لها مورد في عالم اللغة التي توارثناها ... ودكتور مندور بحاسته النقدية الحادة كان أول من جابه السطو والتسلط الفكري القائم والمتدفق سيولاً في المنهج النقدي لطابع الحياة في العالم العربي ... بل انهما سوياً قد تصدرا تقريب هذا الفكر الاشتراكي العربي ، وربطا بـــين التطور الاجتماعي والتطور الفكري ، وبذا كانا أول من حاول ان يخرج بالفكر السياسي العربي من الانشائيات الهلامية التي ظل يمارسها سنوات وسنوات .

ولكن لا بد لي هنا أن أوضح أن عدم الاذعان للفكر الغربي لا يعني قطعاً رفض القيم الأساسية في ذلك الفكر كمفاهيم الديمقراطية والحرية والانسانية .. ولا يمكن للمرء أن ينكر - عبر التاريخ الأوروبي - أولئك الذين شنقوا وعذبوا وسجنوا في سبيل هذه المفاهيم والدعوة لها في اصالة وصدق .. ولا بد للباحث دوماً ألا يفسر تطور الفكر الأوربي والذي قاد الى النظام الرأسمالي بالتعصب والرفض الحاد لكل اجتهاد مضاد كان يبذل في سبيل تأصيل هذه المفاهيم على المستوى الانساني الرفيع .. فالهدف من كل عمل سياسي في النهاية هو الانسان .. أن يحقق للانسان الخير الاقتصادي ، والعدل الاجتماعي ، والكرامة البشرية ... ولا بد لي أيضاً أن أوضح أن الانفتاح نحو الفكر الماركسي الاشتراكي لا يعني القبول المطلق للقوالب المصوغة التي نصبها على الواقع العربي لتتخذ صورته ... ولا يعني إلغاء الفكر، وهدم العلمية من أساسها بالقول بأن هناك حقائق سياسية مطلقة ... لقد عانى الفكر الماركسي تند بعض دعاته في الوطن العربي من الخلط المريع بين الايديولوجية الماركسية والسوسيولوجية الماركسية .. فالأولى تهدف لتغيير الواقع ، والثانية ترمي لتفسير هذا الواقع .

إن مواقف التردد والريبة تجاه الاشتراكية العلمية ، والتي هي ليست الماركسية ، وإن كانت جزءاً منها ، جاءت نتيجة لموقف المجتمعات التي لها قيمها الروحية الخاصة وخصائصها القومية الذاتية ... وهذا لا ينفي من حقائق الأمور شيئاً .. هناك تجربتان رائدتان في العمل السياسي العربي انبثقتا في النصف الثاني من هذا القرن .. يمكن لنا الاستهداء بها في هذا الشان .. ثورة يوليو التي انتقلت بالمجتمع الاقطاعي في مصر مراحل في التطور جعلت الفكر السياسي يلهث من

# الأرضية التي تتحرك منها الثورة العربية

بحث : أبوسيف يوسف



**أولا : بعض نقاط منهجية :**

تتطلب دواعي الوضوح وتعزيز وحدة الفكر والعمل بين القوى الثورية المشتركة في هذا الملتقى الفكري العربي ان نبدأ من نقاط محددة :

١ ) عندما نتحدث عن الثورة العربية فنحن نفعل ذلك من زاوية اننا بازاء عملية ثورية واحدة مترابطة لها ملامحها العامة واهدافها المشتركة وذلك بغض النظر عن التفاوت في مستوى التطور التاريخي والاجتماعي ، والظروف النوعية لكل بلد ، وبغض النظر عن اختلاف الأنظمة السياسية والاجتماعية . سنتجنب إذن تقديم حسابات تفصيلية عن هذا البلد العربي أو ذاك ، لأن شيئاً من التجريد يسمح - في لحظة معينة من لحظات البحث - بأن نفهم الأرض التي تقف عليها بكيفية أفضل .

٢ ) ولكن ، وحتى لا تؤدي عملية التجريد الى عزل الثورة العربية عن الإطار التاريخي والاجتماعي الذي تتحرك فيه ، والى طمس المراحل التي مرت بها أو يتعين أن تمر بها الثورة العربية ، وتنوع الاساليب والوسائل التي تتبناها فصائلها وقواها الثورية ، فانه يحسن أن نحدد ابتداء المقصود بعبارة الثورة العربية .

إننا نعني بها الحركة الطليعية والشاملة المعادية للامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعية المحلية . وهذه الحركة تنمو تحت شعارات تقدمية تستهدف تحقيق الحرية والتقدم الاجتماعي والوحدة . من ثم فهي حركة وطنية واجتماعية في آن واحد، تخوض صراعاً ضد الاعداء الخارجيين ، وتخوض الى جانب هذا صراعات داخلية ( محلية ) ضد أشكال الاستقلال والقهر الطبقي .

٣ ) لما كانت دواعي التقارب والعمل المشترك بين فصائل الثورة العربية هي ـ من الناحية الموضوعية ـ وبغض النظر عن تمايز الاتجاهات الفكرية ـ أقوى من دواعي التشتت والانقسام ، فان اختيار نقطة بدء واقعية ، سوف تساعد على مزيد من الوضوح والتقارب . وهذه النقطة التي ينبغي أن نبدأ منها توجب علينا أن نستكشف الأرض التي تقف عليها الثورة العربية وتتحرك منذ عدوان يونيو ٦٧ .



ثانيا :

ان نظرة الى الصورة العامة يبين ان المجتمعات العربية تواجه منذ عدوان يونيو ٦٧ ظاهرة الحرب ، بكل ما تفرض من تحديات وطنية واجتماعية .

فمن ناحية ، هناك مشكلة وطنية ترتبت على الحرب من جراء اتساع رقعة الاحتلال الصهيوني ، بحيث لم يعد يحتل فلسطين بأكملها، بل واجزاء من

ج . ع . م وسوريا والاردن . فالثورة العربية اذن تخوض نضالا وطنيا تحرريا متزايد الاتساع .

من ناحية اخرى ، فان ظاهرة الحرب الوطنية لم تجمد ولم تلغ المحتوى الاجتماعي للثورة العربية ، بل طرحته وستظل تطرحه مجددا بسبب ان العدوان الامبريالي الصهيوني يفرض الالام والتضحيات المتزايدة على الجماهير العربية . ويحتم العدوان اعطاء الاولوية لاحتياجات المعركة بما يفرضه هذا ايضا من اعباء اقتصادية واجتماعية تؤثر بوضوح في معدلات التنمية وفي حياة الناس اليومية .

مما تقدم نرى ان ظاهرة الحرب قد واجهت الثورة العربية - في مجموعها - بما يمكن ان نسميه بارادة لا ينبغي التقليل من خطورتها .

وهنا يطرح السؤال : هل تستطيع الثورة العربية ان تتخطى هذه الازمة ؟ وهل تقف على الارضية التي تمكنها من ذلك ؟

الجواب : بالايجاب اذا نظرنا الى المعطيات الموضوعة للموقف . فعلى ضوء هذه المعطيات يمكننا ان نقرر ان الصهيونية ومعها الامبريالية الامريكية لم يتمكنا من تحقيق اهدافها الاساسية من وراء عدوان يونيو ( حزيران ) .

فاذا نظرنا الى هذا الهدف الاساسي من زاوية وضع الثورة العربية ككل ، فقد كانت الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية تأمل - بالاعتماد على العسكرية الصهيونية - ان توجه ضربة شديدة الى حركة الثورة العربية ، تمكنها من ان تعرف مسيرتها . وكانت الحلقة الرئيسة في هذا المخطط ضرب النظم التقدمية في المنطقة العربية .

الا أن أهداف العدو الامبريالي لم تتحقق في جوهرها . وعلى العكس امكن للثورة العربية ـ بشكل عام ـ أن تحقق رصيداً ايجابياً اثر مافيه :

أ ـ تمكنت النظم التقدمية من الصمود في وجـــه العدوان ، ورفضت الهزيمة ، واعادت بناء قواتها المسلحة ، وصعدت عملياتها ضد العدو لتحرير الأرض المحتلة ، وقدمت مساعدات هامة للثورة الفلسطينية . واعلن المسؤولون فيها عن تمسكهم بخط المحافظة على المكتسبات الاجتماعية .

ب ـ لأول مرة تمسك طلائع الشعب الفلسطيني بقضيتها الوطنية بين ايديها وتخوض نضالاً مسلحاً ضد العدوان الصهيوني يجذب الى ساحته جماهير الشعب الفلسطيني بقوة متزايـــدة ، ويستقطب تأييد ومشاركة كل القوى الوطنيـــة والتقدمية على الصعيد العربي وعلى الصعيد الدولي .

لم تمنع هزيمة يونيو قوى الثورة العربيـة من أن تستأنف الهجوم على الامبريالية وعلى مواقعها في الوطن العربي . هكذا صفت ثورة الجنوب اليمني الوجود الاستعماري البريطاني . وقامت ثورة مايو في السـودان فانتزعت بلداً بأكمله من فلك النفوذ الأمبريالي ووضعه على طريق التقدم . ثم قامت ثورة ليبيـا فانتزعت الاستقلال الوطني ، وصفت أقوى القواعـد العسكرية العدوانيـة في الشرق الأوسط .

٤ ـ وعلى الصعيد العالمي عززت الثورة العربية اكثر علاقات التضامن والكفاح المشترك مع حلفائها الاساسيين والثابتين ،وهم شعوب الاتحاد السوفياتي وسائر بلدان المعسكر الاشتراكي . وعززت الثورة العربية مواقعها على صعيد الرأي العام العالمي الديمقراطي والمحب للسلام باضطراد في جميع البلاد ،بما في ذلك بلدان الغرب الاستعماري حركة المساندة الادبية لنضال الشعوب العربية .

ثالثاً : ان هذه المعطيات الايجابية والثمينة في الموقف لم تكن وليدة الصدفة . وانما يوجد عنصر ثابت ومشترك فيها هو الحركة الثورية للجماهير العربية . يكفي كأمثلة قليلة ان نذكر :

- مبادرات الجماهير غداة هزيمة يونيو للدفاع عن النظم التقدمية وتمكينها من الصمود :

- تدفق الجماهير الفلسطينية على ساحة الكفاح المسلح ،

- نضالات الجماهير في الاردن وفي لبنان لحماية العمل الفدائي من مؤامرات وهجمات قوى الرجعية الداخلية .

- استجابة الجماهير كانت حاسمة وسريعة لحماية الثورات الوليدة في السودان وليبيا .

ان هذا العنصر الموضوعي الذي تمثله حركة الجماهير العربية على نطاق الوطن العربي هو الذي يمثل الارضية الحقيقية التي انطلقت منها الثورة العربية .



وهذا العنصر يزداد دوره ويفرض نفسه بقوة متزايدة على مجموع التطورات التي تحدث في البلاد العربية وذلك لسببين :

الاول : وزن القوى الاجتماعية التي تنخرط في هذه الحركة الجماهيرية ، والصراعات اليومية التي تدخلها على الجبهتين الوطنية والاجتماعية ، والاهداف التي تناضل من اجلها . فهذه الحركة هي حركة الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين والبرجوازية الصغيرة التي تعاني من الاستغلال ، وقطاعات واسعة من الطلاب والشباب ، وهذه الاقسام الرأسمالية الوطنية التي تتعارض مصالحها مع مصالح الامبريالية والرجعية .

الثاني : هو ازدياد الدور الذي أصبحت تلعبه الطبقة العاملة العربية النامية والفلاحون على الجبهتين الوطنية والاجتماعية . ففي البلاد العربية التي لا تزال تعاني من أشكال مختلفة من السيطرة الاستعمارية ، ومن سيطرة الطبقة البرجوازية الكبيرة ، تتسع وتتنوع أساليب النضال الشعبية خصوصاً من جـــانب العمال والفلاحين والطلاب . وفي البلاد العربية التي تقوم بها أنظمة تقدمية ويزداد باضطراد فيها وزن الطبقة العاملة . وقد أوضحت التطورات التي وقعت بعد نكسة حزيران ( يونيو ) أن الجماهير الشعبية بدأت تضع مسألة تخطي أسباب الهزيمة على مستوى المطالبة باحداث تغييرات عميقة هي في المحل الأول تغييرات سياسية تمكن الجماهير الشعبية من المشاركة مشاركة حقيقية في السلطة .

ومن هنا ، ولهذه الأسباب ، يمكن أن نقول : إنه رغم كل السلبيات التي تحد من حركة الجماهير ، فان دورها في المعركة الثورية لابد أن يزداد ويتأكد بحكم هذا الواقع الراهن ، وهي أن الجماهير الشعبية التي تتحمل – في المحل الأول – أثقل الأعباء في هذه الحرب التي يفرضها الصهيونيون وحلفاؤهم الامريكيون على الأمة العربية . فالحرب كما نعلم تعلم الناس السياسة ، وهي تعلمهم اياها بكيفية مكثفة وفي أقصر وقت . الواقع أنه لم يحدث أن التفت الجماهير العربية في مختلف أرجاء الوطن العربي حول أهداف محددة مثلما حدث بعد حزيران ( يونيو ) . أهداف تتركز حول هزيمة العدوان الاسرائيلي وتصفية الخطر الصهيوني ، ومساندة الثورة الفلسطينية . ولم يحدث من قبل أن تعزز في صفوف الشعوب العربيـة ، هذا الشعور بالمصير المشترك . وقد وصل هذا الى الحد الذي أصبح فيه الحدث الهام في هذا البلد العربي أو ذاك يؤثر تأثيراً مباشراً على مجموع البلاد العربية ، حتى وان تفاوتت أبعاد هذا التأثير .

اذن فحركة الجماهير الشعبية في نضالها على الجهتين الوطنية والاجتماعية تمثل هذا الضمان الموضوعي الذي يسمح للثورة العربية ان تتخطى السلبيات والمعوقات ، وان تنتقل الى مواقع اكثر تقدماً على طريق التحرر الوطني ، والتقدم الاجتماعي ، والوحدة العربية .

رابعاً : غير ان تجارب الثورات تعلمنا انه لايكفي ان يكون الواقع الموضوعي مواتياً لحل الازمة حتى تنحل من تلقاء ذاتها بل لابد ايضاً من ان يكون العنصر الذاتي في الثورة العربية مستعداً استعداداً كافياً لحل الازمة التي خلقتها الحرب حلا صحيحاً يؤمن مسيرة الثورة .

وهنا ننتقل في الواقع الى الحديث عن السلبيات التي تواجه الثورة العربية وتقيد حركتها . وهذا يستدعي بدوره ان ننظر الى الجانب الآخر من الصورة .



فاذا كان صحيحاً أن الامبريالية الامريكية والصهيونية لم تحققا اهدافها الاساسية بالعدوان . الا انه يجب ان ندخل في الاعتبار ان هذا لايدعو العدو الى الاستسلام. وعلينا ان ندرك أي أعداء تواجه. إننا نواجه الامبريالية الامريكية اشرس فصائل الامبريالية العالمية واشدها دموية، ونواجه الصهيونية العالمية، ونواجه المؤسسة العسكرية الصهيونية المغامرة .

لكن الامبرياليين والصهيونيين لايكتفون بالعدوان المسلح ، وبكل الضغوط الاقتصادية والدبلوماسية . وانما ينشطون الى التخريب الداخلي. ومظاهر هذا النشاط عديدة يكفي ان نشير الى :

- نشاط الاعداء من اجل تقسيم الصف العربي

- نشاطهم لتصفية العمل الفدائي وتخريبه

- نشاطهم من أجل تقسيم صفوف القوى الوطنية والتقدمية ومنع تقاربها.

- نشاطهم للايقاع بين البلاد العربية والاتحاد السوفيتي.

- نشاطهم لتغذية الاتجاهات الاستسلامية والانهزامية.

- نشاطهم للايقاع بين الدول العربية ذات النظم التقدمية.

- نشاطهم في إثارة مختلف أنواع النزاعات الطائفية والدينية والعنصرية.

- نشاط الاستعمار الجديد لايجاد قواعد ارتكاز له في عدد من البلدان العربية، كأمثلة ( لبنان وهجوم رأس المال الامريكي الاحتكاري -اليمن وسعي احتكارات المانيا الاتحادية للتسلل الخ . )

خامساً :

وهذه الاخطار التي تهدد الجبهات الداخلية تصبح جدية اذا وضعنا في الاعتبار أن الحركة الثورية ذاتهـــا لاتزال تعاني من سلبيات لايمكن التهوين من شأنها :

ابرزها ان التعبئة الشعبية اللازمة لدحر العدوان لاتزال غير كافية . والأمر يتطلب تعبئة ديمقراطية وواسعة تطلق مبادرتها الجماهيرية في اتجاه مقاومة العدوان وزيادة الانتاج .

لكن هذا الحديث عن تعبئة الجماهير الشعبية وحشدها باسلوب ديمقراطي يعود بنا الى طرح القضية الخاصة ( العنصر الذاتي )، هذا العنصر المدعو بحكم دوره الى تأمين مسيرة الثورة العربية .

ونقصد بالعنصر الذاتي هنا القيادات التي تتصدى على المستوى الشعبي

والرسمي كقيادة النضال من أجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي . وذلك من خلال تنظيماتها واحزابها المختلفة .

واذا أردنا ان نتحدث من وجهة نظر علمية لا عاطفية فيمكن ان نقول إن هناك عدم تطابق بين ( الذاتي ) وبين ( الموضوعي ) في الارضية التي تتحرك معها الثورة العربية .

ان ( الذاتي ) لم تصبح استجابته حتى الآن على المستوى الذي يمكنه من ان يلحق ( بالموضوعي ) ليؤثر فيه بالكيفية التي تؤمن مصالح الثورة . وهذا هو التناقض القائم في أرضية الثورة العربية . فواقع الحال بين ان القوى التقدمية والثورية العربية غير موحدة . وهذا الموقف يعكس اشد السلبيات خطراً على حركة الثورة العربية .

ان هذا التشتت يحرم القيادات الثورية والتقدمية من ان تمسك بالحلقة الرئيسية في الموقف الراهن . وهذه الحلقة تتمثل في فتح آفاق جـديدة لحركة الجماهير من اجل تعبئة أشمل وتنظيم اقوى يكفل هزيمة العدوان .

فالمهمة الملحة هي دعم الوحدة بين كافة فصائل الثورة العربية . وهذه المسئولية يشترك فيها الجميع . ومع ذلك فانه بالاستناد الى واقع الحركة الثورية نفسها ، وتحليل نضالات الجماهير في اتجاهاتها الاساسية لن تعجز القوى التقدمية والثورة ان تتفق على خط او برنامج حد ادنى يحدد مايلي :

- ماهي اهداف الثورة العربية .
- من هم أصدقاء الثورة واعداؤها .

- ماهي الشعارات الاساسية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي اللازمة لتعبئة الجماهير واطلاق مبادراتها الخلاقة في المعركة الحالية ضد العدوان الصهيوني الامبريالي

- ماهي الوسائل المشتركة التي تكفل دعم الثورة الفلسطينية . مثل هذا البرنامج لن تصعب صياغته من جانب الناس التقدميين والثوريين .

# الأرضيّة التي تتحرك منها الثورة العربيّة

بحث : أديب اللجيمي



أود أن أبين ، في فقرات مكثفة ، أن الثورة العربية المعاصرة هي بآن واحد :

- ثورة شعبية .
- ثورة وحدوية .
- ثورة اشتراكية .

- ثورة تحررية تتكامل في غاياتها ووسائلها ، مع سائر الثورات المنطلقة من العالم الثالث ، ومع حركات جميع الشعوب التي تتطلع في كفاحها الى اقامة مجتمع بشري ينتفي منه الاستغلال ، أياً كان شكله ، وتعود فيه الى الانسان انسانيته .

وأود في الوقت ذاته ، أن أبين ، ما لكل وجه من وجوه الثورة العربية هذه ، من سمات واقعية ، وتطلعات ينشدها ، وفصام بين الواقع والتطلع .

ذلك أن الثورة العربية التي تتحرك اليوم ـ وكانت قد بدأت تحركها منذ مطلع هذا القرن ـ ما تزال تتسارع وتنمو في مجالي العمق والشمول ، بحيث نتوقع لها في مستقبل قريب ، أن تعم الشعب العربي كله، وأن تصل الى مستوى لائق من توحيد قواها ومناضليها ، فيصبح كفاحها أكثر جدوى وفعالية .

ولقد ثار الشعب العربي في بقاع مختلفة من وطنه الكبير ، وفي أزمنة متفاوتة ، ومن منطلقات متعددة : فكانت ثورته ، وما تزال ، رفضاً للمستعمر تارة ، وتحرراً من الاقطاع والرجعية طوراً ، واستعادة لهويته السليبة ، أو لشخصيته التي أريد لها أن تطمس تارة أخرى . وفي ظروف متعددة كانت تندمج هذه العوامل بعضها ، وتتفاعل ، فتكون هي دافع الثورة . ان الجماهير بمعناها الواسع ، هي التي تتحرك ، واندفاعها ، على عفويته ، لم يفقد أهدافه . فهي مبصرة ، ولكنها تحتاج الى من ينظم لها الرؤية . من هنا فان الثورة العربية يخوضها اليوم ، بنسب متفاوتة شتى ، وفي الأقطار العربية ، جميع المواطنين العرب من الفلاحين والعمال والمثقفين ، أي جميع أصحاب المصلحة في التغيير الاجتماعي ، وهم الذين عانوا الاستغلال والحرمان ـ بل والذل ـ بسبب تمسكهم بعروبتهم وأصالتهم .

والجهد الذي تقتضيه كل ثورة لم يبخل به الشعب العربي . كما أن التضحيات التي كانت تمليها متطلبات الثورة لم تكن عنده موضع تساؤل . ان الشعب العربي يبرهن في السنوات الأخيرة ـ منذ الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم ـ

بشكل لا لبس فيه ، أن الثورة بالنسبة اليه حاجة حياتية ، بدونها لا يستقيم وجوده. ودليلي على ذلك أن الجماهير العربية إذ تنشد بلوغ المطلق من ثورتها ، فان أكثر أنظمة الحكم العربية لا تنشد أكثر من تحقيق « اصلاح » . فليس الحكم العربي - مهما يكن تقدمياً - هو السابق في مسيرة الثورة ، بل الشعب . وكثيراً ما يتجلى وفاء الحكم التقدمي للثورة ، بصورة لحاق بالاندفاعة الجماهيرية . أما في الحالات الأخرى فهو سد في وجهها . وإذا صح ان الثورة الشعبية ، بمعنى دخول الجماهير الحقيقية كلها في معركة التغيير الجذري للبنى الاجتماعيـــة والاقتصادية والثقافية ولأنظمة الحكم ، حتى تصبح هذه أداة تنظيم وتنسيق صالحة ، فان هذه الثورة شرط لازم للتغيير ، لا تكون معه شرطاً كافياً إلا إذا وجدت البنية التنظيمية لها .

ان الثورات الشعبية ، إذا أريد لها أن تصل الى أهدافها في التحرر والتقدم وتعويض الاستقلال ، ينبغي ألا تقتصر على الانطلاق العفوي ولا بد لها من أن تتحول الى قوة منظمة واعية . والتنظيم هو مهمة الأحزاب الثورية . وفي تقديري أن الحزب الثوري لا يكون جديراً بهذا الاسم الا بقدر ما يعكس بأمانة في تنظيمه وسلوكه ارادة الجماهير في صنع المجتمع العربي ، وبقدر ما يكون أداة تفتح وازدهار لطاقات الشعب ، أفراداً وجماعات .

من هنا فان الحزب الثوري العربي - الجدير بهذا الاسم - هو الذي تصنعه الجماهير ، أي ينبثق من خلال النضال الشعبي ، ولا يهبط عليه من فوق .

كذلك فان الحزب الثوري العربي الجدير باسمه هو الذي يصوغ عقيدته السياسية استناداً الى مطلب الشعب العربي وتطلعاته الثورية الفعلية .

ان استيراد الثورات هو عملية تزييف وافتعال ، وكذلك النقل الحرفي لثورات الآخرين . يقول لينين : « ان شر خطأ يمكن أن يرتكبه الثوريون هو أن ينظروا الى الوراء ، الى ثورات الماضي ، بينما تقدم الحياة كثيراً من العناصر الجديدة » . ( لينين ـ مقدمة لقرارات مؤتمر ابريل ١٩١٣ ـ المؤلفات الكاملة ـ المجلد الرابع والعشرون ص ٣٢٠ الطبعة الفرنسية ) .

وما لم تتجسد في الحزب الثوري العربي هذه الخصائص ، فان ثمة فصاماً يقوم بينه وبين الشعب ، فصاماً لا تستطيع إزالته النظرية المستوردة مهما تكن متقنة ، ولا تستطيع رأبه أو رتقه ممارسة السلطة والاستيلاء على الحكم ، أو كمّ الأفواه ، أو اقناع النفس بأن الشعب ما زال متخلفاً في وعيه . ان ما قدمته التجربة الانسانية حتى اليوم في مجال الثورة ، هي أن الشعب وحده هو صاحب الحق في الحكم على صلاح ثورته أو فسادها وانحرافها . ولئن كنا نشهد اليوم شكاً ينتاب الجماهير العربية حول بعض منظماتها الحزبية التقدمية ، وتباعداً متفاوت الكبر بين هذه وتلك ، فلأن كثيراً من هذه المنظمات التقدمية قد غرقت في لجة السلطة بعد وصولها الى الحكم ، وأصبحت ممارسة السلطة ، لا الثورة ، بالنسبة اليها هي الغاية ، بل وتحولت الثورة عندها أو عند أكثرها في معظم الأحيان الى شعارات تنطلق من الحناجر أو تكتب في لافتات . انني أرى في الثورة العربية الراهنة ثورتين متمايزتين : ثورة الشعب ، وهي أصيلة ، كلية ، مطلقة ، وثورة كثير من المنظمات السياسية التقدمية ، وهي أقرب الى البراغماتية والنسبية والوصولية منها الى الثورة الأولى . ان ثورة الشعب لا تزال مطوقة الى حد كبير ، لا يراد لها أن تتحرك بزخم كامل . فالحاكم العربي يخشاها

إذ تخشى أن تفلت من بين يديه ، وتقفز من فوق رأسه ، وتتجاوزه ، فعليه إذن أن « يعقلها » أو « يعتقلها » .

وبكلمة موجزة ، **ان الثورة العربية الشعبية موجودة بالفعل ، لا بالقوة فقط** . وليس على المنظمات الثورية أن تصنعها ، بقدر ما عليها أن تمكن الشعب من صنعها ، وممارستها ، ودفعها باستمرار الى الأمام لتحقيق المزيد مما تنشده . أي ان مهمة الحزب الثوري العربي هي أن يسير بالفعل ـ لا بالقول ـ في الاتجاه الذي تسير فيه ثورة الشعب العربي ، وأن يكون قادراً على المشاركة في تنظيم هذه القدرة لزيادة مردودها ، لا لفرض الوصاية عليها . ذلك أن جميع الدلائل تشير الى أن الثورة العربية ما تزال في أوائل بدايتها ، يدل على ذلك تلمسها الطريق الصحيحة ، وهو تلمس فيه عشوائية غير قليلة ، وأن مستقبل الثورة العربية سيكون كلاً شاملاً جميع معالم حياة العرب ، لأن الثورة الكلية هي ولادة جديدة .

ويمكن القول ، على العموم ، إن المنظمات التقدمية العربية كانت ، قبل استلامها السلطة ، أكثر ثورية ، وأكثر قرباً الى الجماهير وتفاعلاً معها واندماجاً بها ، وانها بعد أن أخذت تمارس السلطة قد أصبحت أكثر « تحفظاً » ، وأكثر « تحسباً » ، كأنهـــا تخشى على السلطة أن تضيع من بين يديها ، ولا تخشى على الثورة أن تضيع منها ومن الشعب العربي ذاته . من هنا كان على الحزب الثوري أن يعيد الى الثورة العربية وجهها الشعبي ، ومطلبها في تحقيق أهدافها دون أي اعتبار آخر .

انني اتحدث هنا عن الاحزاب الثورية العربية ، بوصفها هي المنبثقة من صفوف الشعب العربي المكافح . أما ما يسمى بالاحزاب السياسية التقليـــدية

فليست موضوع بحث، لأنها ليست أحزاباً، بل تجمعات متسلطة او دخيلة تعمل للحفاظ على مصالحها في نطاق تعاون مباشر وغير مباشر بينها وبين اعداء الشعب العربي في الداخل والخارج .

ان الثورة العربية التي تنفجر اليوم من اعماق الشعب العربي ، تحتاج فعلاً الى التنظيم السياسي الذي يتيح لها مزيداً من التفجر ، لا عودة الى التيبس والتحجر . وكان لينين قد ادرك من قبل احتمال وقوع الحزب الثوري في منزلق البيروقراطية والتسلط . فكتب في كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٢٠ في بحثه عن « النقابات والوضع الراهن » يقول : « ان دولتنا دولة عمالية ذات تشوه بيروقراطي . ان دولتنا اليوم هي على نحو ينبغي معه على البروليتاريا المنظمة تنظيما كلياً أن تدافع عن نفسها ، وعلينا أن نستخدم هذه المنظمات العمالية للدفاع عن العمال ضد دولتهم ، وليدافع العمال عن دولتنا » . ( مؤلفات لينين كاملة ــ المجلد الثاني والثلاثون ــ ص ــ ١٧ ــ الطبعة الفرنسية ) .



* * *

واذا كانت الثورة العربية هي ثورة الشعب العربي ، فقد كانت ومازال توكيداً لحق العروبة في الحياة ، وفي النمو والتفتح . ان العروبة ليست حلماً رومنطيقياً ولا سلسلة قصائد أو شعارات ، ولا حنيناً الى الماضي أو صنعاً للمستقبل في صورة الماضي . ان العروبة هي كفاح الشعب العربي كله حين يهب في جميع أقطاره متضامناً تضامناً عضوياً مع اي قطر عربي يواجه أخطاراً مباشرة مشخصة ، وهي احساس كل عربي أن الحدود الموضوعة بين قطر وآخر ليست من صنع الشعب العربي ، بل من صنع أعدائه . وهي ايضاً هذا الجهد الخلاق الدائب يعبر به شعبنا في جميع ارجاء الوطن العربي عن شخصيته المتميزة ، وايمانه بأن المستقبل

الذي يصنعه بسواعد أبنائه سيكون بلا حدود بين الأقطار العربية ، وبلا عوائق تعيق التقاء الأفكار والمشاعر والجهود بين ابناء الشعب الواحد ، لبناء مجتمع الغد الأفضل .

ان ثورة الشعب العربي لم تفصل أبداً بين الكفاح من أجل التحرر والكفاح من أجل ازالة الحواجز والحدود داخل الوطن العربي . فهي ثورة وحدوية، لأن التجزئة هي من صنع القوى المعادية للشعب ، ولأن الابقاء على التجزئة لا يخدم سوى أعداء الشعب . وما من مرة حدث لقاء أو تقارب بين قطرين عربيين أو أكثر إلا وبارك الشعب العربي ، وطالب بالسير فيه الى آخر الشوط ، الى الوحدة الكاملة . فالتطلع الوحدوي هو في تقديري من أكبر القوى التي تحرك الثورة العربية المعاصرة ، وهو بسبب ذلك الثورية الأولى التي يستهدفها اعداء الشعب العربي . والامبريالية العالمية ، في نضالها ضد هذا التطلع ، لاتقل شراسة وضراوة عن الرجعية العربية التي تعي وعياً تاماً أن تحقيق الوحدة العربية هو في الوقت ذاته قضاء على هذه الرجعية ومصالحها ومبررات وجودها الى الأبد . وهل يمكن تفسير اقامة اسرائيل في الوطن العربي الا بحرص الامبريالية على ابقاء التجزئة في الوطن العربي لاستمرار استنزافها ونهبها لخيراته ولعمل ابنائه ؟ من هنا ارتبط كفاح الثورة العربية ضد الاستعمار، ارتباطاً حياًمباشراً بكفاحها ضد الرجعية، وما من شك في أن تصفية الرجعية العربية متلازمة مع تصفية الامبريالية ذاتها من أرض الوطن . وتلك هي مهمة الثورة .

على أن الكفاح العربي الوحدوي مازال يتعثر لحساب خصومه. والظاهرة التي تواجهها الجماهير العربية الآن باستغراب كبير هي أن المنظمات العربية الثورية،

بالرغم من شعاراتها الوحدوية ، لم تحقق أية صيغة عملية تتيح لها أن تتوحد مع بعضها في جبهة نضالية تقدمية ، وتتيح لها بالتالي أن تزيل من الطريق عقبات تحقيق الوحدة العربية . ان شعار لقاء القوى التقدمية العربية ما زال في مكانه ، مجرد شعار . كما أن الكفاح العملي للقوى التقدمية من أجل الوحدة ، في جميع مستوياتها ، ما زال دون المطلوب بكثير . وفي هذا دلالة أكيدة ساطعة على أن الشعارات وحدها لا تصنع الثورات . كما أن في هذا مبرراً لتساؤل أي مواطن عربي ما اذا كانت الأنظمة العربية التقدمية حريصة فعلاً على قيام الوحدة العربية . فإما أن تكون هذه الأنظمة غير وحدوية أصلاً ، وذلك يعني أنها ليست مع الثورة الشعبية ، بل ضدها ، وإما أن تكون غير مدركة تمام الادراك للاخطار العديدة التي تهدد الشعب العربي بالاندثار الكلي اذا استمر كفاحه مجزءاً مبعثراً على صورة وجوده السياسي . وفي هذه الحال لا تكون هذه الانظمة جديرة باسمها ولا جديرة بحمل أعباء قيادة الثورة العربية ذاتها .



كثيراً ما حاول أعداء الثورة العربية في الداخل والخارج تصوير هذه الثورة بأنها عنصرية شوفينية . وليس في ذلك غرابة على ما اعتقد . هل يتصور أحد أن يبارك الثورة العربية أولئك الذين تستهدف هذه الثورة بالذات تقويض مصالحهم بل وتقويض وجودهم ؟

وما استهدفت الثورة العربية حتى الآن ؟ في تقديري أن الشعب العربي يهدف في كفاحه الراهن ، وبشكل واع تماماً ، الى :

ـ التحرر من البنى الرجعية المتخلفة في الداخل ، سواء كانت في شكل حكم ، او في شكل بنية اجتماعية .

ـ ازالة جميع أشكال الاستغلال الطبقي، في صيغة الاقطاعية والرأسمالية والعشائرية والطائفية وسواها ، وتحرير المواطن العربي ، وجعل الشعب بمجموعه هو المالك الفعلي لقوى الانتاج ووسائله .

ـ تحرير ارضه وثرواته وجهود أبنائه من استغلال الامبريالية العالمية ، وتسلطها ، واعاقتها لتقدمه .

ـ اقامة المجتمع العربي التقدمي .

ولئن التقت هذه الأهداف كلها ، من حيث النتيجة ، في هدف الكفاح من أجل اقامة المجتمع العربي الحر ، فلقد اعتبر الشعب أن نضاله في سبيل تحقيقها ينبغي أن يكون شاملا وفي نطاق ثورة اشتراكية تعبىء جميع طاقات الشعب في نضال واع منتظم . **ان الثورة العربية هي ثورة اشتراكية بحكم التعريف، والا لما كانت ثورة ، بل مجرد « برشامات » يقصد منها تسكين الداء لا استئصاله** . وبالرغم من جميع الجهود التي يبذلها اعداء الشعب لتزييف شعارات الاشتراكية أو لتشويهها بافتعال اثارة المشاعر ضدها ، فقد فشلت كلها ، وكان الجواب الشعبي العربي مزيداً من الإصرار على تحقيق التحرر وتحقيق العدالة الاجتماعية . وذلك هو النضال الاشتراكي في ابسط صوره ، ولكن في أكثرها شعبية ، وأكثرها عفوية .

والثورة العربية حين تختار الاشتراكية سبيلا لتحقيق أهدافها انما تعبر بذلك عن نزعتها القدية من ناحية ، وحرصها على أن تقدم اسهاماً في البناء الاشتراكي ينبثق من واقع الشعب العربي وطموحه وتطلعاته من جهة ثانية . بل يمكننا أن نقول ان شعار الاشتراكية قد طرحته الجماهير العربية ، وهي التي تلتزم به ،

وتريد من الحكم العربي أن يلتزم به . من هنا كان الحرص الشديد على اقامة المنظمات الشعبية التي تتميز بها الانظمة الاشتراكية والتي تستهدف بصورة خاصة ضمان مشاركة القواعد الشعبية كلها في النضال والبناء القوميين ، كما تستهدف مراقبة جهاز الدولة والحزب لئلا ينزلقا في احتكار السلطة وبالتالي في طريق التسلط .

**ولكن الثورة الاشتراكية العربية لاتستطيع أن تكتفي بالتحرك النضالي من القاعدة وحسب . ان عليها أن تصوغ اسلوباً خاصاً بها من الحكم الاشتراكي ، وأبرز ما نلاحظه اليوم في الأنظمة العربية التقدمية أنها لم تستطع بعد أن تقيم الجهاز الحكومي والاداري التقدمي فعلا . انها ما تزال في أكثر الأحيان تطبق الاشتراكية بأجهزة غير اشتراكية ، بل باجهزة مناهضة للاشتراكية . من هنا التعثرات والتخبطات العديدة التي يواجهها الحكم العربي التقدمي ، والتي لم يتنبه الى حلها رغم تنبهه الى وجودها . فتكوين المواطن الاشتراكي أهم من تكوين الأداة الاشتراكية ، وأهم من تكوين الانتاج الاشتراكي ، لأن هذا الأخير مشروط بوجود العنصر الأساسي وهو الانسان .**

* * *

على أن الكفاح العربي الاشتراكي ليس كفاحاً مستقلا بذاته . ان الثورة العربية التي تتأجج اليوم ، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، هي في الواقع جزء من الثورة العارمة الكبيرة التي تخوضها شعوب العالم الثالث لتدمير الامبريالية العالمية وتحرير الثروات القومية ، واستعادة حقوق السيادة وتقرير

المصير لكل شعب . وقد تكون الثورة العربية اليوم أكثر مواجهة للامبريالية من ثورات بعض الشعوب الأخرى . فمعركتها ضد اسرائيل لاتقل خطورة عن معركة شعب فيتنام ضد قوات الامبريالية الأمريكية . هنا تحاربنا الولايات المتحدة بقوات اسرائيلية ، وهناك تحارب الولايات المتحدة شعب فيتنام بقوات أمريكية واخرى عميلة . وفي كلا الحالين، كما في أنغولا ، وموزامبيق ، وكوريا ، وكل بلد في آسيا وأفريقيا ، تهب الثورات الشعبية في وجه الأمبريالية العالمية التي تزداد شراسة في نهبها لخيرات العالم الثالث .

واذا كانت لقيادات الثورة العربية من مهمة في هذا المجال ، فمهمتها الأولى تقوم على توعية الشعب العربي بصورة كاملة أن معركته مع الأمبريالية ، وان تكن حتمية من حيث نتائجها في انتصار الشعب على أعـــدائه ، هي في الواقع معركة طويلة ، ضارية ، لاتقبل أبداً أنصاف الحلول ، ولا التسويات . فالعدو ذكي ، وقوي ، بل ويزداد قوة وشراسة وتشبثاً بهيمنتـــــه على حقوق الشعوب وحرياتها . وبتعبير آخر ، ينبغي أن تدرك الثورة العربية بصورة واضحة كلية أن حرب التحرير الشعبية هي الحرب الوحيدة المجدية في دحر الامبريالية واسرائيل ، كما ينبغي لها أن تدرك أن محاولات التمييز بين اسرائيـــل والامبريالية ،والتركيز على النضال ضد اسرائيل دون النضال ضد الامبريالية ، هو ضلال مطلق ، وتضليل صارخ . ان من المستحيل على الثورة العربية أن تنتصر على اسرائيل مع مهادنتها لقوى الأمبريالية العالمية . كما أن من المستحيل على الثورة العربيـــة أن تنتصر على اسرائيل والامبريالية ، اذا استمرت هذه الأخيرة تنهب ثروات الوطن العربي وتعبث بجهود وطاقات أبنائه وهم ساكتون عليها . فمعركة التحرر العربي واحدة ، تتطلب بآن واحد جبهة عربية موحدة

من ناحيـــة ، ونضالاً كلياً شاملاً ضد جميع قواعد ومرتكزات الامبريالية في الوطن العربي .

وحين تنتصر الثورة العربية على أعدائها في الخارج ، فان ذلك سيكون دعامة وقوة للثورة العالمية التحررية الاشتراكية . من هنا كان على جميع القوى التقدمية في العالم ، وفي طليعتها القوى الاشتراكية ، أن تساعد بجميع قواها وامكاناتها ، الثورة العربية . ان هذه المساعدة ليست منة ولا تفضلا ، بل هي واجب بقدر ما تدرك القوى الاشتراكية في العالم ان معركة العرب ضد اسرائيل والأمبريالية هي بالضبط معركة من أجل التقدم والاشتراكية والقضاء على الاستغلال والاستلاب . ان الأمبريالية لا تستطيع أن تتحول الى نقيضها . فسيطرتها على العالم الثالث واستغلالها إياه ، هما بالنسبة لها ، أمران جوهريان ضروريان . واذا كان الجوهر - بحكم التعريف - غير قابل للتغير ، فإن الضرورة تتفاقم الى حد أنها أصبحت اليوم حيوية جداً . وستصبح في المستقبل أكثر حيوية في مجالات ازدياد حاجة الأمبريالية الى المواد الأولية . ان التنمية الاقتصادية لبلاد العالم الثالث ، يكبحها الاستغلال الأمبريالي . ولا يمكن التحرر من هذا الكبح إلا بتقويض هذا الاستغلال . وليس أمام شعوب العالم الثالث من خيار ، سوى الكفاح من أجل هذا التحرر . ولكن الأمبريالية بدورها ليس لها الخيار ، فينبغي لها أن تناضل ضد هذا الكفاح الذي ينذر بنهايتها في حال نجاحه . ومعنى ذلك أن ما هو بالنسبة للفريق الأول ( شعوب العالم الثالث ) الباب الوحيد المفتوح على الحياة ، هو بالنسبة للفريق الثاني (الأمبريالية) نذير الموت . ولا سبيل الى الصلح أو الهدنة بينهما . ( بيير جاله - الامبريالية في سنة ١٩٧٠ - ص ١٧٦ ) .

حقاً ان الشروط الذاتية للنضال الثوري الموحد في العالم الثالث ، بالرغم من وجود بوادر لهذا النضال في بعض المناطق ، كالبلاد العربية ، وفيتنام ، ماتزال غير كافية لقيام هبة ثورية عارمة وشاملة . اذ ان انتشار الوعي الثوري ، في رأي بعض المفكرين الثوريين المعاصرين ، مازال يواجـــه كبحاً وضغطاً وتجزئة . «والنظرية الثورية التي لابديل لها ، ولا غنى عنها ، ما تزال تدغدغ سطحياً تفكير وسلوك كثيرين من القادة السياسيين الشعبيين ، الذين يعنون بخصوماتهم ومنافساتهم مع رفاقهم أكثر مما يعنون بالثورة ذاتها» .

ومع ذلك فنحن نشهد اليوم ظواهر جديدة مشجعة . ان الأحزاب الإصلاحية ، والمنظمات الرجعية، تخسر مواقعها باستمرار أمام تيارات المد الثوري الحقيقي . ثم ان ظهور بؤر جديدة في العالم الثالث يندلع منها نضال تحرري اشتراكي صميمي هو من العلامات المشجعة . ان فقدان الاستقرار في الأنظمة الرجعية ، وقيام تهديد دائم لها ولوجودها من الداخل ، هو دلالة كبيرة على ترنح سلطان الأمبريالية في بلاد العالم الثالث ، لأن الأنظمة التي تمثل هذا السلطان وتحميه هي التي تترنح اليوم ، لتسقط غداً .

ان ما نشهده اليوم هو ازدياد حدة الصراع بين الأمبريالية وشعوب العالم الثالث ، ربما بصورة أشد بكثير من الصراع بين الأمبريالية والأنظمة الشيوعية . فكأن يقظة العالم الثالث ، كما تراها الأمبريالية ، لاتعني الا حقيقة واحدة ذات وجهين : تحرراً من الامبريالية يتجلى بدك مصالحها ، واتجاهاً في طريق الاشتراكية .

واذا كنا ، نحن العرب وسائر شعوب العالم الثالث ، نشهد اليوم «وحدة» لدى القوى الأمبريالية العالمية ، فمما يؤسف له أن نقول ان مثل هذه الوحدة ماتزال مفقودة لدى القوى الاشتراكية ، وبوجه عام ، لدى القوى المكافحة ضد الأمبريالية .

ان ما قالته المناضلة الشيوعية روسانا روساندا في مؤتمر الحزب الشيوعي الإيطالي- الذي عقد في فبراير ١٩٦٩ - صحيح كل الصحة : « ينبغي ألا يكون نسق النضال الجاري على الصعيد العالمي مرهوناً بتقوية الدول الاشتراكية عسكرياً واقتصادياً ، بل على العكس من ذلك ، يجب أن نعمل على توسيع حركات التحرر والحركات الثورية وجعلها من الامتداد والانتشار بحيث تصبح سياسة الدول الاشتراكية هي المرتبطة بهـــذه الحركات » . ( نشر في جريدة لوموند الفرنسية ١٩٦٩/٢/١٥ ) .

* * *

من هذه الأرضية ، في نطاقها المحلي والعالمي ، تتحرك الثورة العربية . ان آفاق التفتح وازدياد القوة والجدوى مفتوحة أمامها . ومن المحقق أنها ستنتصر. ولكن عليها أن تظل يقظة لئلا تنزلق في مخاطر أهمها :

— أن تفرغ من مضمونها فتصبح مجموعة شعارات تتراقص على الشفاه ، مثلما تتراقص الأعلام في الهواء .

— أن تتحول الى مجرد استيلاء على السلطة ، يصبح بدوره غاية بذاته .

— أن تفقد ترسيخ جذورها في قواعد الشعب ، فيقوم فصام بين الشعب والقيادة الثورية ينتهي الى عزلة هذه الأخيرة .

وفي تقديري أن الشعب العربي ، صانع الثورة العربيـــة ، هو الذي سيكون له الكلمة الأخيرة . وكلمته هي النصر لثورته .

# الأرضية التي تتحرك منها الثورة العربية

## بحث بابكر كرار

الثورة العربية هي ثورة الأمة العربية كلها ، وعلى مستوى الوطن العربي كله . وهي ثمرة تطور حركة النضال العربي ضد الاستعمار والصهيونية . لقد بدأت حركة النضال العربي منذ القرن الماضي وأخذت تتسع رقعتها من قطر الى قطر حتى شملت الوطن العربي كله . وهي في مسيرتها قد تدرجت في مستويات متصاعدة من النضال ضد السيطرة العثمانية بالكلمة ثم بالسلاح ، الى النضال ضد الاستعمار العالمي في أشكاله التقليدية القديمة ، الى النضال ضد كل أشكال السيطرة الاستعمارية التقليدية والحديثة ، وضد الوجود الاسرائيلي في الوطن العربي .

ومن خلال تصاعد انتصارات حركة النضال العربي وجدت الاقطار العربية التي استردت استقلالها السياسي ، باجلاء قوات الاحتلال ، ان طريقه التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق الثورة الاجتماعية قد قفل أمامها ، وذلك بسبب سيطرة الاحتكارات الأجنبية ، ومن ثم وجدت هذه الأقطار العربية أنه لا طريق أمامها غير طريق التطور الاشتراكي من أجل تحرير الاقتصاد الوطني من التبعية والتخلف وحشد القدرات الوطنية المادية والبشرية في عمليات التحول الاشتراكي الاقتصادي والاجتماعي .

ان انفجار الثورة العربية كان نتيجة حتمية لتصاعد حركة النضال العربي ضد الاستعمار العالمي الذي وضع كل أثقاله في الوطن العربي ممثلاً في الوجود الصهيوني في قلب

الأمة العربية وذلك بغرض استنزاف القدرات العربية من التحرر والتقدم العاصف .. ومن خلال انفجار الثورة العربية على نطاقها الشامل السياسي والاجتماعي في سبيل تصعيد وتوسيع الثورة العربية الشاملة على الاستعمار العالمي والوجود الصهيوني ، اكتشفت الأمة العربية نفسها على مستوى كل قطر من اقطارها ، وادركت الجماهير العربية ان وحدة الأمة العربية هو قدرها المائل وهو مصيرها ،وهو في ذات الوقت سلاحها الأكبر في معركة الحرية والتقدم .

لقد انفجرت ثورة يوليو الرائدة من مصر ،وهي قلعة وطليعة حركة النضال العربي في كل أشكالها ومستوياتها ، فأسهمت في تعميق الوعي المصري بعروبة مصر . وفي توطيد الكيان العربي في مصر ، وفي وضع قدرات مصر الجغرافية والحضارية في خدمة الثورة العربية الشاملة .. وكانت معركة بور سعيد هي أول معركة دموية تخوضها الأمة العربية مجتمعة على مستوى الثورة العربية الشاملة من أجل الحرية والتقدم .. خطب عبد الناصر في فبراير ١٩٥٧ في بور سعيد قائلاً ( انتصرت القومية العربية .. وكانت بور سعيد اول معركة تدخلها القومية العربية .. واشترك العرب كلهم في معركة بور سعيد ) .

ان الثورة العربية هي أعظم ثورات العصر ،وهي تحمل في طياتها اقوى البواعث الثورية ، وتحمل على عاتقها اثقل التبعات والتضحيات وتؤكد للعالم كله في كل يوم من أيام نضالها ، ان الأمة العربية ذات قدرات خارقة على الاستمرار في اعطاء الانسانية واثرائها .



## ما هي أهداف الثورة العربية ؟

ان اهداف الثورة العربية هي انهاء الوجود الاسرائيلي في فلسطين العربيـــة ، واستكمال مهام حركة النضال الوطني في الاقطار العربية التي لم تحقق استقلالها السياسي نهائياً من السيطرة الاستعمارية ، وتصفية النفوذ الرأسمالي والاقطاعي والطائفي والرجعي، واشاعة الديمقراطية الشعبية في اجهزة الحكم وادارة عمليات الانتاج ، والاخذ بالاشتراكية العملية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية العاصفة ، وتوفير القدرات الدفاعية الذاتيــة للامة العربية ، وتوطيد مقومات الوحدة العربية السياسية والاقتصادية والعسكرية .

فالثورة العربية وهي تواجه اليوم مهام التحرر والتقدم والوحدة تأخذ بالضرورة بعمليات الحشد الشامل لكل القدرات العربية في سبيل تحقيق النصر النهائي على الاستعمار والصهيونية ، ومن ثم كان عمليات الحشد الشاملة قد جعلت الثورة العربية تتحرك اليوم من أرضية عريضة هي :

اولاً – الأرضية الفكرية .

ثانياً – الأرضية السياسية .

ثالثاً – الأرضية الاقتصادية .

رابعاً – الأرضية العسكرية .

## الأرضية الفكرية :

ومعالم الأرضية الفكرية التي تتحرك منها الثورة العربية هي :

١ ان وحدة الأمة العربية كيان حي واحد لا يقبل التجزئة ولا يقوى على الحياة والتقدم في واقع التجزئة .

٢ – ان غاية الثورة العربية هي انهاء كل اشكال السيطرة الاستعمارية على الوطن العربي، وانهاء الوجود الاسرائيلي في فلسطين العربية ،وازالة كل مواقع التخلف والتجزئة، وبناء مجتمع الوحدة المتقدم على مستوى كل الاقطار العربية .

٣ – ان الامة العربية قادرة على مواجهة كل مشكلاتها الأساسية بحلول أساسية نابعة من الواقع العربي في نطاق سيادة الامة العربية واحترام خصائصها القومية .

٤ – بما أن العرب هم مادة الاسلام ، وان الوطن العربي هو مهد الاديان السماوية الثلاث ، فان أية نظرية للعمل الثوري العربي تقوم أساساً على الاسلام ، الذي وضع الاساس لوحدة الاديان جميعاً ولوحدة الانسانية جميعاً ، وأكد حق الانسان في الحرية والكرامة وجعل العدل اساس الشرائع بين الناس جميعاً .

٥ – ان الانسان العربي هو عتاد الثورة العربية ، وهو في ذات الوقت هدفها ، ومن ثم فان أية نظرية عربية للعمل الثوري لابد وان تقوم على احترام وتوطيد الحرية الفردية والكرامة الانسانية في مسار الثورة العربية .

٦ – ان الامة العربية ذات رسالة انسانية خالدة ، ومن ثم فان الثورة العربية مرتبطة ارتباطاً تاماً وشاملاً بتاريخ الامة العربية واستمرار اعطائها واثرائها للحضارة الانسانية المعاصرة على نحو رائد وفريد .

ويبدو من هذه المعالم الفكرية ان الأمة العربية مبرأة من الانغلاق العنصري ، والانطواء القومي ، والزهو الطائفي . ومن ثم فان مفهوم القومية العربية في نطاق الثورة العربية يختلف عن مفهوم القومية في الفكر الأوربي الذي نشأ وسيطر على اوربا

في القرن التاسع عشر، ويتناقض معه تناقضاً جوهرياً .. ففي حين ان الفكر العربي قد اتسم منذ ظهور الاسلام بعطائه واثرائه للانسانية، فان الفكر القومي الاوربي اتسم بالعدوان وايقاد نيران الحرب على الشعوب واستعبادها ونهب خيراتها.

ان الثورة العربية في محتواها السياسي والاجتماعي، المستهدف التحرر والتقدم والوحدة واثراء حياة الانسان العربي، تؤكد صفة التقدمية والانفتاح الانساني ... ومن ثم فان المفهوم القومي للثورة العربية يدحض التناقض بين الفكر القومي التقدمي وبين الفكر الانساني. وهذا المفهوم العريض للقومية العربية يوثق عرى الفكر العربي الثوري بالفكر الثوري الانساني، ويساهم مساهمة فعالة في وضع الثورة العربية اليوم في طليعة ثورات العصر ضد الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية.

## الأرضية السياسية:

ولتحديد الارضية السياسية التي تتحرك منها الثورة العربية ينبغي ان نحدد في البدء معالم الواقع العربي.

### أولاً – ميدان للحروب الاستعمارية:

ان الاستعمار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية والصهيونية العالمية يطلقان معاً بكل أشكال السيطرة والاحتلال والنهب والتطويق للأمة العربية والوطن العربي، ويشنان معاً نيران الحرب على الاقطار العربية منذ أواخر القرن الماضي حتى يومنا هذا .. ان الملايين من ابناء الامة العربية قد خاضوا حروباً باسلة وطويلة وثقيلة بالتضحيات. وفي اتون هذه الحروب التحررية ضد الاحتلال والعدوان وعمليات النهب الاستعماري والصهيوني استشهد الملايين من ابناء الامة العربية. ومازالت هذه الحروب الاستعمارية والعدوانية موقودة، وما زالت الامة العربية تقدم حشوداً من الشهداء.

ان الواقع العربي ظل منذ اواخر القرن الماضي ساحة للنضال العربي المسلح ومرقداً للحروب العدوانية الاستعمارية.

### ثانيا: التبعية والتخلف:

ان الواقع العربي يعاني من حالة التبعيـة والتخلف الاقتصادي والاجتماعي. فالاقتصاد العربي يعتمد في الاساس على الزراعة والرعي وحقول البترول التي تسيطر عليها الاحتكارات الاجنبية .. والصناعات الوطنية قليلة ومبعثرة في الاقطار العربية.

والتجارة الخارجية والداخلية تسيطر على قطاعات هامة منها الاحتكارات الاجنبية . ولقد عمد الاستعمار إلى السيطرة التامة على الاقتصاد العربي ، وعلى اعاقته عن الحركة نحو النمو والتطور ، وعلى ابقائه تحت دائرة نفوذه وسيطرته . ومن ناحية أخرى فان الاستعمار العالمي قد أقام دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي بغرض استنزاف القدرات العربية وتعويق حركة التحرر والتقدم في البلدان العربية .

## ثالثاً : واقع التجزئة :

لقد ساهمت حركة النضال ضد الاستعمار والصهيونية على تعميق وتوسيع نطاق الوعي بوحدة الامة العربية ووحدة الوطن العربي بين جماهير الشعب العربي في الاقطار العربية جميعاً . ومن ثم ازداد الوعي بالاسباب التاريخية لواقع التجزئة في الوطن العربي، والذي يرجع اساساً الى سيطرة الاستعمار الغربي على الاقطار العربيـــة ، والى نزوات السيطرة والتحكم في بعض القيادات العربية ، والى اضطراب الوعي القومي العربي لدى كثير من المثقفين العرب الذين سقطوا فريسة النظرات الاقليمية الضيقة والمغالاة في تقدير اثر اختلافات خصائص البيئات في الوطن العربي على الفكر القومي العربي .

ولاشك ان واقع التجزئة قد ساهم مساهمة كبيرة في عرقلة نمو حركة النضال العربي ضد الاستعمار وساعد على اخماد اندلاع الثورة العربية وتعويق مسيرتها .. الا ان المسار الموضوعي لحركة النضال العربي ضد الاستعمار واندلاع الثورة العربيـــة في الصعيدين السياسي والاجتماعي واشتداد نيران الحرب العدوانية الاستعمارية والاسرائيلية على الاقطار العربية قد ايقظ الوعي العربي بحقيقة الوحدة العربية وبأهمية النضال الوحدوي وضرورته في تشديد نضال الامة العربية وتوسيع نطاقها ضد الاستعمار العالمي والصهيونية ، وفي سبيل التحرر من التخلف الاقتصادي الاجتماعي ، وانهاء كل اشكال السيطرة الاحتكارية على مواقع الثروات العربية ، ووضع الخطط المشتركة لتعبئة القدرات العربية ولتوجيه هذه القدرات في خدمة قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي كله ، بما يحقق لجميع الاقطار العربية التحرر والتقدم .

ان راية الاشتراكية التي ترفعها الثورة العربية لاتعني عدالة التوزيع فحسب ، وانما تعني في ذات الوقت تنمية وتطوير القدرات الانتاجية في الاقطار العربية ، ورفع مستوى المعيشة وتوفير القدرات الدفاعية الذاتية للدفاع عن سيادة الامة العربية ووحدة أراضيها وبنيها .

إن ظروف تعاظم الاحتكارات الاستعمارية العالمية وقيام التكتلات الاقتصادية الكبرى والاسواق المشتركة العديدة في عالم اليوم يجعل مهــام تحرير الاقتصاد العربي وتنميته وازدهاره أمراً مرتبطاً ارتباطاً تاما وضرورياً بالعمل العربي الوحدوي الشامل الذي ينبذ التجزئة وتبديد الثروات الطبيعية والقدرات البشرية في اشكال دولية مظهرية لاجدوى منها . .

## رابعاً : الاسلام والحضارة العربية :

الاسلام هو المدخل لبناء الامة العربية ، وهو الاساس العقائدي والحضاري للامة العربية . وهذا الواقع الحضاري هو الذي حفظ للأمة العربية خصائصها عبر الاعتداءات المتلاحقة عليها في عصور التخلف والجمود والتجزئة . وهو الذي جعل الامة العربية ذات رسالة انسانية خالدة وقدرات خارقة على الاستمرار في أعطاء الانسانية واثرائها . وهذا الاساس الحضاري هو الذي جعل الامة العربية حتى في عصور التخلف والجمود مستمرة في النمو والانتشار ، وجعل الوطن العربي متحرك الحدود والاتساع .. ولهذا فان هـــذا الاساس الحضاري للامة العربية هو أساس حي في بنية الامة العربية .. في تاريخها وفي تراثها وفي قيمها الروحية ، وفي اشواقها وتطلعاتها القومية . ومن ثم لايمكن اغفاله من حركة الثورة العربية ، اذ انه كان ومازال أعظم مقوم للجماهير العربية في جميع ثوراتها ونضالها عبر القرون والاحقاب ، وهو اليوم اشد اثراً وحركة في اتجاه واشكال الثورة العربية المعاصرة ، وفي تصوير أهدافها البعيدة في صناعة الانسان العربي الجديد .

ويمكن تحديد مركز ووظيفة الدين في الثورة العربية على هذا النحو :

اولا : الدين هو منهج للسمو بالانسان العربي الى أعلى درجات الكمال الانساني .

ثانياً : ان الدين يقيم المجتمع على الايمان بوحدة البشرية وبالاخوة الانسانية واحترام العمل وتحريم الاستغلال في كافة صوره .

ثالثاً : ان الدين يقيم المجتمع على الايمان بحق الانسان في الحرية والكرامة والرخاء .

رابعاً : ان الدين يقيم المجتمع على العدل والسلام بين الناس جميعاً . في اطار هـذا الواقع العربي تتحرك الثورة العربية على المستوى السياسي مستمدة نظرياتها ومناهجها ومفاهيمها من هذا الواقع العربي المتميز بخصائصه الذاتية . .

وبما ان الثورة العربية تستهدف تغيير هذا الواقع العربي المتبقي والمتخلف تغييراً

جذرياً وفورياً فان الثورة العربية تناضل من اجل تصفية كل مراكز القوى الاجتماعية الرجعية التي تستند في وجودها على بقاء واستمرار هذا الواقع العربي المتخلف . تصفية قوى الاقطاع وشبه الاقطاع . وقوى الطائفية ، والمؤسسات الدينية ذات الطابع الرجعي . وتستنفر الثورة العربية في ذات الوقت جميع قوى الشعب العربي العاملة وذات المصلحة الحقيقية في انهاء الاقتصاد المتخلف ، وفي التحرر من المؤسسات الدينية والاجتماعية المعادية لحركات التحرر والتقدم للثورة .

ان الثورة العربية تسير على مستويات متعددة وذلك بحكم اختلاف البيئات العربية ، ومن ثم تتعدد مهام الثورة العربية وأشكالها من قطر الى قطر آخر . . ففي بعض الاقطار استولت الثورة العربية على السلطة كما في الجمهورية العربية المتحدة والجزائر والسودان وليبيا . . ففي الجمهورية العربية ، مثلا ، ارتفعت الثورة العربية الى أعلى مستوياتها متصدية لجملة المهام الاساسية للثورة العربية ، وذلك من موقع السلطة الحكومية ، ومن موقع التنظيم السياسي الثوري المنفتح ديمقراطيا لكل قوى الشعب العاملة . .

وفي بعض الاقطار العربية مازالت الثورة العربية تتمثل في بعض الفصائل الثورية التي تناضل في جبهة جماهيرية عريضة مع كل قوى التحرر والتقدم من أجل تحطيم كل مراكز السيطرة والتحكم الاستعمارية ، واقتلاع جذور مراكز القوى الاجتماعية الرجعية المتواطئة مع الاستعمار . . ومن ثم فان الثورة العربية تسير على مستويات متعددة متخذة اشكالا متعددة في التنظيمات السياسية والكتائب القتالية .

والقاعدة الاساسية التي ترتكز عليها كل فصائل الثورة العربية على مستوى كل الاقطار العربية هي الارتكاز على الجماهير العربية العريضة التي تناضل من أجل تحقيق الاستقلال الوطني والسيادة القومية . وهذه هي قوى التحرر الوطني العريضة التي تناضل من أجل انهاء السيطرة الاجنبية ومن أجل إطلاق كل القدرات العربية في عمليات البناء والتقدم والوحدة . وهذه هي القوى العربية التقدمية والجماهير العريضة التي تناضل من اجل التغيير الجذري والفوري للواقع العربي كله ، وذلك بالسيطرة المباشرة على مراكز القيادات السياسية والاجتماعية ووضع مهام الثورة العربية اساساً لنضال الجماهير العربية كلها . وهذه هي قوى الثورة العربية . ومن اوساط هذه الجماهير تبرز طلائع الثورة العربية ضد الاستعمار والصهيونية .

ان الثورة العربية تستند الى القاعدة الجماهيرية العريضة على مستوى كل الاقطار العربية ، لاتنغلق في نطاق حلقي ولاطبقي ولاطائفي . ومن ثم فان ابرز صفات الثورة

العربية شعبيتها وتقدميتها .. ان الوحدة الوطنية التي حققتها الثورة العربية من خلال نضال الثورة ومعاركها هي وحدة كل قوى التحرر والتقدم والثورة في جبهة واحدة صلبة في مواجهة كل قضايا الثورة العربية ، وعلى مقتضى الظروف الخاصة بكل قطر من الاقطار العربية .

ان الثورة العربية قد نبذت التناحر الداخلي في الجبهة الداخلية ، وذلك بوضعها الاساس الفكري والنضالي القادر على توحيد كل قوى التحرر والتقدم والثورة . ومن ثم استطاعت ان تستوعب كل الجماهير العربية على مختلف مستوياتها النضالية . وكانت معركة بور سعيد الخالدة أروع صور حركة النضال العربي الثوري ضد قوات العدوان الاستعماري في جبهة عربية واحدة من الخليج الى المحيط .. وقد برزت هذه الصورة القتالية الرائعة مرة ثانية غداة عدوان يونيو الاستعماري الاسرائيلي .

ومع ان الثورة العربية قد جذبت اليها قاعدة عريضة من الجماهير الشعبية ، الا انها حينا استولت بعض فصائلها على السلطة في بعض الاقطار العربية وضعت الضمانات الجوهرية لتوطيد السلطة الثورية واستقرار الثورة وتصاعدها .

وهذه هي الضمانات :

**أولاً** : وضع القاعدة الاساسية لعمليات الانتاج في ملكية الشعب ، وجعل مهمة بناء القطاع العام الوطني هي الاساس في تحرير الاقتصاد الوطني ، واجراء التنمية الاقتصادية والاجتماعية على وتيرات عالية وسريعة .



**ثانياً** : وضع ميثاق للعمل الثوري يكون هو القوة الفكرية الموحدة والموجهة لنضال الجماهير وقياداتها في العمل الثوري .

**ثالثاً** : اقامة تنظيم سياسي واحـــد لتعبئة كل قوى الشعب وقياداتها تعبئة ديمقراطية شاملة .

هذه الضمانات الثلاث التي ابتدعتها الثورة العربية في مجالات التنظيم السياسي هي وحدها الكفيلة بتعبئة الجماهير العربية وتفجير قدراتها النضالية والابداعية ، وقياداتها نحو تحقيق مهام الثورة العربية من التحرر والتقدم والوحدة .

هذه الضمانات الثلاث التي وضعتها الثورة العربية من موقع السلطة قد الهمت الفصائل الثورية الامل في انتصار الثورة العربية ، وساهمت في توضيح الفكر العربي الثوري ، وفي رسم صورة للمستقبل الذي تناضل الجماهير في سبيله .

هذه الضمانات الثلاث لتنظيمات الثورة العربية في الاقطار العربية التي ارتفعت فيها

الى مستوى السلطة هي وحدها الكفيلة بتوحيد القوات الاشتراكية واستيعاب كل المدارس الاشتراكية والاستناد على أوسع قاعدة للجماهير العربية .. وهي في ذات الوقت أقوى الضمانات الاقتصادية والسياسية والفكرية لتصفية مواقع الرجعية والثورة المضادة ولتبديد الاضطراب الفكري والثقافي حول مهام الثورة العربية على مختلف مستوياتها .

وتسام هذه الضمانات الثلاث في بناء وحدة الكيان القومي الثوري ضد الاستعمار والصهيونية ، وتسام في تنمية التطاحن الطائفي والعقائدي السلبي ؛ وتفتح المجال للتفتح الفكري والاثراء الاشتراكي والثوري في مجالات التقدم العربي .

هذه الضمانات الثلاث ترفض سيطرة الحزب الواحد ، أو سيطرة الطبقة الواحدة ، وتفتح الابواب لكل قوى الثورة العربية للعمل والانطلاق في كافة مجالات النضال الوطني والابداع الفكري ، وتجعل من قاعدة الاقتصاد الوطني الاشتراكي منذ البدء قاعدة لكل قوى الشعب العامل في مختلف مدارسه وتياراته الفكرية القومية ، وفي مختلف مواقعه من العمل السياسي ..

## الارضية الاقتصادية :

ان الثورة العربية قد اكتشفت من خلال نضالها المرير والطويل ضد الاستعمار والصهيونية ان الاستقلال الوطني لا يمكن تحقيقه باسترداد الحرية السياسية وحدها ؛ بل ان الحرية السياسية ذاتها لا تعني شيئا ان لم تستكمل بالحرية الاقتصادية التي تعني التحرر من كل اشكال التبعية الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية ، والتحرر من التخلف ، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية من وتيرات عالية وسريعة ..

وبما أن من مهام الثورة العربية استكمال مهام حركة التحرر الوطني في كل قطر عربي . فان مهام التحرر الوطني في البلدان العربية تتبلور على هذا النحو :

(١) تصفية كل مواقع الاحتكارات والامتيازات الاجنبية .

(٢) التحرر من التخلف ، وذلك بوضع خطة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية على وتيرات عالية وسريعة وذلك :

**أولا** : بناء قطاع عام وطني يستوعب عمليات الانتاج الاساسية وحركة التجارة الخارجية ، ويستولي على العمليات المصرفية والتأمينية .

**ثانيا** : تحديد وظيفة الرأسمالية الوطنية في خدمة نمو واتساع القطاع العام الوطني.

**ثالثا** : قيام قطاع تعاوني يساهم في دعم القطاع الوطني .

**رابعاً** : التوسع في الادخار بغرض التوسع في عمليات الانتاج وزيادة القدرات الدفاعية الذاتية .

فالارضية التي تتحرك منها الثورة العربية في المجالات الاقتصادية هي مهام تصفية كل مواقع الاحتكارات والامتيازات الاستعمارية ، وحشد كل القدرات المادية والبشرية من اجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية العاصفة .

ان الطريق الاشتراكي هو الطريق الاوحد المفتوح امام الثورة العربية . وان الطريق الرأسمالي مقفول امامها . ومن ثم فان الطريق الاشتراكي ليس اختيارا من الثورة العربية ، وانما هو اختيارها الحتمي الذي لا اختيار سواه .

إن الاحتكارات العالمية قد قفلت طريق التنمية الرأسمالية التقليدية نهائيا أمام الثورة العربية ، وامام كل شعوب وثورات العالم الثالث .

## الارضية العسكرية :

تتحرك الثورة العربية على أرضية عسكرية عريضة ، وذلك لاسباب تاريخية تتصل بتاريخ حركة النضال العربي المسلح ضد الاستعمار والصهيونية منذ أواخر القرن الماضي ، ولاسباب ماثلة اليوم في تصميم الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية على مواصلة وتوسيع نيران العدوان والاحتلال على الاقطار العربية ، والذي تصاعد على نحو عاصف منذ عدوان حزيران ( يونيو ) الاستعماري الاسرائيلي على الاقطار العربية .



ان الثورة العربية وهي تواجه اليوم احتلالا توسعياً جديداً ، وقصفاً متلاحقاً ومتصلا على المدن والمصانع ، وعلى المنشآت والقنوات ، وتخريبا وقتلا جماعيا يشمل الشيوخ والنساء والأطفال.. وتستخدم فيه كل أسلحة التعذيب والدمار والتخريب بمساهمة وقيادة حكومة الولايات المتحدة الامريكية .

ان الحروب التوسعية والتخريبية التي توقد نيرانها الدوائر الاستعمارية والصهيونية ضد الأمة العربية تستهدف التوسع الاسرائيلي في الأرض العربيـــة ، وتستهدف استنزاف القدرات العربية في مجالات تحرير اقتصادياتها من سيطرة الاحتكارات الاستعمارية والسير في طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية على وتيرات عالية وسريعة .

ان الحروب التوسعية التخريبية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية ضد الأمة العربية تستهدف التوسع الاسرائيلي في ذات الوقت الذي تستهدف فيه تصفية الثورة الاجتماعية في الاقطار العربية .

لقد أشعل عدوان حزيران ( يونيو ) حماسة الجماهير العربية في كل أجزاء الوطن العربي على نحو تاريخي فريد ، وأشعل نيران الحقد والتصميم على مواصلة القتال ضد الاستعمار والوجود الاستعماري ، وفجر مزيداً من الوعي الجماهيري في كل أجزاء الأمة العربية بضرورة مواصلة النضال من أجل استكمال مهام التحرر الوطني على مستوى كل قطر عربي ، وذلك بتصفية كل مواقع الاحتكارات الاستعمارية ومراكز النفوذ والتحكم الاجنبية ، وتعزيز الحركة الجماهيرية الديمقراطية من أجل تحطيم مواقع الرجعية العربية وقوى الخنوع والاستسلام للمخططات الاستعمارية .. وغداة حزيران ( يونيو ) انكشف العدو الأول للأمة العربية .. وهي حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، ممثلة الاحتكارات الاستعمارية ومراكز النفوذ الصهيوني .. وغداة عدوان حزيران ( يونيو ) أدركت الجماهير العربية في كل أجزاء الوطن العربي أن طريق النصر الأوحد هو طريق النضال المسلح .. وان ما أخذ بالقوة لا يمكن استرداده الا بالقوة .

## ما هي الدروس التي استفادتها الثورة العربية من عدوان حزيران ( يونيو ) الانجلو-امريكي الاسرائيلي ؟

**أولاً** : ان ميدان نضال الأمة العربية هو الوطن العربي وليس منظمة الامم المتحدة .



**ثانياً** : اعتبار الولايات المتحدة الامريكية هي العدو الأول للعرب .

**ثالثاً** : أن الوجود الاسرائيلي في فلسطين العربية هو قضية الامة العربية كلها على السواء .

**رابعاً** : الاعتماد على القدرات العربية الذاتية هو الأساس في تحقيق النصر .

**خامساً** : ان العمل المتصل من أجل توطيد سيادة الأمة العربية واحترام خصائصها القومية وتطورها السياسي والاجتماعي الحر المستقل يعزز من مركزها الدولي ويضاعف من قدراتها النضالية .

**سادساً** : ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية العاصفة هي أكبر دعم ثوري للنضال المسلح العربي . ومن مظاهر انتصار الثورة العربية بروز ظاهرة العمل الفدائي الفلسطيني المسلح الذي يمثل صورة من صور حركة النضال العربي المسلح ضد الاستعمار والصهيونية .

إن العمل الفدائي الفلسطيني المسلح ضد الوجود الاسرائيلي هو نفسه ثمرة من ثمرات حركة النضال العربي ضد الاستعمار والصهيونية ، وهو في ذات الوقت صورة من صور حركة النضال العربي . ويترتب على هذا أن العمل الفدائي الفلسطيني المسلح جزء لايتجزأ من حركة النضال العربي ضد الاستعمار والصهيونية ، وبالتالي جزء لايتجزأ من الثورة العربية .

ومع أن العمل الفدائي الفلسطيني المسلح ضد الوجود الاسرائيلي في فلسطين العربية ذو صفة مستقلة وذاتية مميزة ، إلا أنه ليس منفصلا عن حركة النضال العربي ، بل ان حركة النضال العربي هي التي منحته هذا الاستقلال الذاتي الذي يتفق مع طبيعته ومع متطلبات النجاح والنصر .

## ماهي الضمانات لاستمرار الحركة الفدائية وتصاعدها ؟

**أولاً** : الاعتماد على القوة الذاتية للامة العربية وذلك بتحرير **اقتصادها فوراً** وبصورة جذرية من كل أشكال التبعية للاحتكارات الامريكية والرأسمالية **الأوربية** ، ووضع كل الامكانيات العربية بصورة شاملة في خدمة الاقتصاد العربي المتقدم والمتوحد . وهذا يقتضي بالضرورة الاستيلاء فوراً على الاحتكارات الاستعمارية في الاقطار العربية .

**ثانياً** : الادانة الشاملة لحكومة الولايات المتحدة الامريكية وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية معها على مستوى كل الاقطار العربية ، باعتبارها العدو الأول للأمة العربية .

**ثالثاً** : تحويل كل الأرصدة العربية الى داخل الاقطار العربية فوراً واستخدامها في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

**رابعاً** : عدم الثقة كلية بالامم المتحدة ، وتوسيع علاقات التضامن والنضال مع الدول والشعوب الصديقة والمعادية للاستعمار .

**خامساً** : دعم القوة العسكرية العربية وتوسيع نطاق دول المواجهة حتى تشمل كل الدول العربية على حد سواء .

**سادساً** : توجيه الاقتصاد العربي كله في خدمة جبهات القتال والصمود والردع والتحرير .

سابعاً : تزويد الفدائيين الفلسطينيين بكل متطلبات تحقيق النصر على العصابات الاسرائيلية والوصول بالعمل الفدائي الفلسطيني المسلح الى غاياته النهائية .

هذه هي الضمانات لاستمرار وتصاعد العمل الفدائي الفلسطيني . وهذه الضمانات التي يجب توفرها هي في ذات الوقت مهام حركة التحرر الوطني في كل الاقطار العربية . ومن ثم فإن انتصـــار حركة التحرر الوطني في كل بلد عربي والسير في طريق الثورة العربية هما الضمانات للمساندة الفعالة المستمرة للعمل الفدائي الفلسطيني المسلح وتصعيده ...

ان الحركة الفدائية الفلسطينية ليست مقطوعة الجذور عن حركة النضال العربي، وحركة الثورة العربية ضد كل أشكال التبعية والتخلف هما الأساس لدعم وتصعيد العمل الفدائي واستمراره وتوسيع نطاقه .

ان الارتباط العضوي الحي بين حركات التحرر الوطني في الأقطار العربية وبين العمل الفدائي الفلسطيني هو الذي يجعـــل الانتصار للقضية الفلسطينية ، وهو في ذات الوقت انتصار للثورة العربية ، ولحركة النضـــال العربي على نحو واسع وعريض . وإن العمل من أجل تصعيد العمل الفدائي الفلسطيني هو عمل ثوري وتقدمي داخل كل قطر عربي ، لأنه يتطلب بالضرورة تعزيز حركة التحرر الوطني ، وضرب كل مواقع النفوذ الاستعماري ، وتصفية الاحتكارات الاجنبية ، وتدعيم الجبهة الشعبية الشاملة وتوسيع واعادة تنظيم وتسليح القوات المسلحة الوطنية، وتعبئة القدرات الاقتصادية لدفع عمليات التنمية في وتيرات عالية وسريعة .

من هذا المنطلق لمفهوم الحركة الفدائية الفلسطينية ولمتطلبات الصمود وتصعيد العمل الفدائي ارتبطت الثورة العربية في بلادنا بالعمل من أجل استكمال مهام حركة التحرر الوطني .

ومن ثم ارتفعت شعارات الاستيلاء على كل مواقع الاحتكارات الاستعمارية وتصفية مراكز النفوذ الاجنبي ، وتحمل تجارتنا الخارجية نحو البلدان الصديقة والمعادية للاستعمار ، واعادة تسليح قواتنا الدفاعية والقتـــالية من الدول الاشتراكية والدول الصديقة المعادية للاستعمار .

ومن هذا المنطلق الفكري لمفهوم العمل الفدائي الفلسطيني المسلح برز المفهوم التقدمي للعلاقة العضوية بين العمل السياسي والعمل العسكري من أجل تحقيق النصر النهائي .. وانفضحت الاباطيل التي كانت تحاول ان توهم الجماهير العربية بأن هناك فصلاً

تاماً بين العمل العسكري وبين العمل السياسي ، وانه لارابطة بين الحل العسكري وبين الحل السياسي في بلادنا وسقطت هذه الاباطيل . وبفضل جهود المثقفين السودانيين من مختلف مواقعهم الفكرية النضالية فضحت الاباطيل ، وقامت حملات واسعة للتوعية والتنوير . بطبيعة العلاقة العضوية بين العمل السياسي والعمل الحربي وكشفت الاخطار التي تترتب على الخلط في هذه القضية الهامة ، كما كشفت العلاقة الموضوعية بين العمل السياسي والعمل العسكري ، وان الاخير يتبع الاول بل هو أداة من أدواته ..

ان تبعية العمل العسكري للعمل السياسي هو الذي يكشف لنا بوضوح عن طبيعة العلاقة بين العمل الفدائي المسلح وبين حركات التحرر الوطني في كل الاقطار العربية. ان العمل الفدائي الفلسطيني المسلح يرتكز في الاساس على الثورة العربية الشاملة. وان كل انتصار للثورة العربية هو في ذات الوقت دعم وتصعيد للعمل الفدائي المسلح وانتصار له .

وبما أن العمل الفدائي الفلسطيني لايحسم النصر النهائي على الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية في الوطن العربي ، فان هذا النصر العربي الحاسم مرتبط ارتباطاً تاماً بتحرير كل القدرات العربية وتعبئتها وتنميتها من أجل جبهة القتال ...

وفي بلادنا تبقى قضية خاصة الا انها من أهم قضايا الثورة العربية في بلادنا .

ماهي العلاقة بين الثورة العربية والثورة الافريقية ؟ وللاجابة على هذا السؤال الهام ينبغي ان نضع هذه الحقائق الاساسية في الاعتبار .

أولا : ان العرب هم أكبر قومية في افريقيا

ثانياً : ان الاسلام هو اكبر الاديان تبعية في افريقيا .

ثالثاً : ان اللغة العربية هي أوسع اللغات انتشارا في افريقيا .

رابعاً : ان اللغة العربية هي أكثر اللغات اختلاطاً في اللغات الافريقية .

خامساً : ان الأمة العربية هي اقرب الأمم جغرافيا الى القوميات الافريقية غير القومية العربية .

سادساً : ان الامة العربية كانت هي مدخل الحضارة الغربية لافريقيا .

من هذه الحقائق التاريخية والحضارية والجغرافية يتضح لنا ان الوجود العربي في افريقيا عميق الجذور وواسع النطاق .

وانطلاقاً من هذه الحقائق فان الثورة العربية هي جزء لا يتجزء
ن الثورة الافريقية ..

ان الدوائر الاستعمارية والرجعية تحاول ان توهم الرأي العام
افريقي والعربي والعالمي بأن هناك ثورة افريقية متميزة ومنفصلة عن
ورة العربية ، وذلك بغرض اضعاف حركات التحرر الافريقية ضد
'ستعمار والصهيونية في القارة الافريقية ...

الا أن استمرار حركة النضال العربي منذ أواخر القرن الماضي ، واندلاع ورة العربية وهزيمة القوات الاستعمارية في كل البلدان العربية والافريقية لد اشعل الوعي افريقي الوطني ، وألهم الشعوب الافريقية معاني الحرية والتضحية والاستشهاد. وان ركات التحرر الوطنية الافريقية قد وجدت كل التأييدات الادبية والمادية لعسكرية في البلدان العربية ، ومن ثم اصبحت الثورة العربية بحق هي قلعة وطليعة ورة الافريقية ..

أن كل حركات التحرر الوطني في افريقيا وكل الفصائل الثورية الافريقية تقف وم بصلابة وقوة مع الامة العربية في نضالها العادل الشريف ضد الاستعمار والصهيونية، ن اجل تحرير فلسطين العربية والسير في طريق التقدم والثورة الاجتماعية .

# المناقشات

( خلاصة مكثفة )

اشترك في مناقشات موضوع ( الأرضية التي تتحرك منها الثورة العربية ) الاول السادة :

- جعفر محمد ( السودان )
- عبد الرازق حسن ( ج . ع . م )
- عبد الله الريماوي ( الاردن )
- مالك الأمين ( ج . ع . س )
- نايف حواتمة ( فلسطين )
- الياس فرح ( العراق )
- محي الدين عويضة ( السودان )
- فاروق قدومي ( فلسطين )



جعفر محمد ( السودان ) :

انطلق من وجوب تحليل الواقع العربي الذي بدءاً من التجزئة ، وأشار الى أنه لابد من الاعتراف بأن ثمة شعوباً عربية في الواقع الحالي ، وأن الشعب العربي الواحد هو مشروع مستقبلي ، وينبغي الانطلاق من واقع التجزئة .

ولاحظ أن هناك فصاماً بين الفكرات الثورة العربية والانجازات الثورية . ان العلة في ضعف الحركة الثورية العربية ناتجة بالدرجة الأولى عن اعطاء الاهتمام الأول للتنظيم التجريدي ، وعدم إعطاء الأهمية الكافية للعمليات التنظيمية للثورة العربية .

ولاحظ المناقش أن ثمة حماسة للوحدة تبلغ حد العاطفة ، وأن شعار العدالة الاجتماعية ليس منحصراً بالثورة العربية وحدها ، بل هو شعار العالم الثالث كله . كما لاحظ أن هناك حماسة مفرطة عند الذين تحدثوا عن حركة الجماهير العربية .

وانتهى الى القول ان هناك جماعات « صفوية » هي التي تمارس الدور الطليعي ، وإن العملية الثورية لاتتم في مستوى واحد بل في مراحل ومستويات متعددة . وإن القوى العربية غير الثورية تسهم في العمل الوطني ، فليس من الضروري أن نعتبر العمل الوطني عملاً ثورياً .

هذه الملاحظات أثارت ردود كثيرين من الذين أسهموا في المناقشة .

لاحظ الدكتور عبد الرزاق حسن ( ج.ع.م ) : أن أرضية الثورة العربية تعني احداث تغيير مادي في المجتمع ، وأن لهذا التغيير طابعين : اقتصادياً ، واجتماعياً . إن الوصول الى السلطة دون العمل على إحداث التغيير في التركيب الاقتصادي – الاجتماعي يؤدي الى الاستيلاء على السلطة ، ويصبح هذا نهاية المطاف . إن الثورة العربية تعمل على تغيير الانتاج . وعمل الثورة هو تلبية مطالب الجماهير ، وبما ان الوحدة مطلب جماهيري ، فالثورة يجب ان تستهدفها .

عبد الله الريماوي ( الأردن ) :

هناك غموض في موضوع المناقشة ، ولا بد من طرح بعض النقاط لتوضيح الموضوع : فهل الثورة العربية ثورة منشودة أم انها موجودة في الثورات القائمة ، أم انها موجودة في بعض الثورات الراهنة ؟ اننا نفهم من موضوع « الأرضية » مايلي : محاولة تحليل الواقع العربي ، تحليل التناقضات في هذا الواقع ، لأنه هو

السبيل لاكتشاف قوانين الثورة العربية والمعايير الثورية ومدى توفرهـــا في الصيغ القائمة .

إن تحليل المتناقضات في هذا الواقع ينبغي أن يتم في هذا الملتقى ، وفي نطاق فكرتين كبيرتين : معطيات حركة العالم في عصرنا ، ومعطيات حركتنا في العـالم .

ولاحظ عبد الله الرياوي أن الطابع المشترك لثورات العالم الثالث هو الثورة المتواصلة ، وأن الطبقات الرأسمالية في نطاق حركة العالم في عصرنا أصبحت جزءاً من الامبريالية العالمية وسقطت بالتالي كطبقة ثورية .

وفي مجال الواقع العربي ينبغي أن يتم التركيز على الوصل أكثر من التركيز على التقييم . مثال ١ - ان العرب أمة واحدة ذات قومية واحدة . فهل التناقضات هي في هذه الأمة الواحدة أم هي في كل قطر ؟ أم هي تناقض واحد مركب في الوطن العربي ككل ؟ إن هذه حقيقة حرية ٢ - لابد من مناقشة وتحديد الطبقة والطبقات في المجتمع ، وذلك في ضوء وصف الواقع الطبقي العربي .

مالك الأمين (ج.ع.س) :

لابد من تحديد الهدف الذي عقد الملتقى من أجله ، وليس هدف هـذا الملتقى أن يبين أفضلية نظام من الانظمة وخلوه من الثغرات ، وامكانية استيعابه للأنظمة الأخرى ، بل إن ما يستهدفه هو المناقشة وفتـــح الأذهان والحوار ، وبذلك تصبح الحلقة مفيدة ومجدية .

إن المضمون القومي الاشتراكي هو الذي مكن من قيام ثورة ٢٣ تموز وقد كان هذا المضمون موجوداً قبل قيام ثورة ٢٣ تموز .

أما موضوع التركيب النفسي للامة فيمكن أن نستعرضه بشكل جاد عنه بحثنا وتحديدنا لسمات الأمة العربية . ومن الخطأ ان نتحدث عن الشعوب العربية بينما الواقع أن ثة شعباً عربياً واحداً ، وان يكن هناك بعض الصفات والخصائص المختلفة من منطقة الى أخرى ، وهذا ما نلاحظه في الفوارق بين ابناء مدينة وأخرى .

نايف حواتة ( فلسطين ) :

لم يعد الحديث عن الثورة العربية مقبولاً بعد حزيران ١٩٦٧ . كما لم يعد مقبولاً الحديث الانساني المادح لما هو قائم في المنطقة العربية بعد حزيران ١٩٦٧ . وقد أكد حزيران مجموعة موضوعات ايديولوجية ، طبقية ، سياسية يمكن بها اجتياز عنق الزجاجة التي تعيق حركة التحرر العربية . ان حركة التحرر العربية جزء من حركة التحرر العالمية من الاستعمار والامبريالية . وهي حركة تناضل من أجل تحقيق وانجاز الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، وتحقيق الوحدة العربية والديمقراطية السياسية .

وتجتاز حركة الثورة العربية في هذه المرحلة مرحلة إنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية . وتثبت الوقائع ان انجاز هذه المهمات مرتبط بتحديد الطبقات المؤهلة لانجازها ، وتحديد الطبقات المرتبطة مصلحياً بالاستعمار والامبريالية . كما أكد ضرورة تحديد النهج الايديولوجي الذي يجب أن تتسلح به هذه الطبقات المؤهلة .

إن الطبقات صاحبة المصلحة في الثورة الوطنية وتصفية الاستعمار هي التي لن تخسر، بل ستربح، من معركة النضال الضاري . إنها طبقات العمال والفلاحين الفقراء . وفي بلادنا حاولت قوى الأقطـــاع والبورجوازية ان تقوم بانجاز هذه المهمات

وهزيمة حزيران دليل ملموس على ذلك .

واختتم حواتمة كلمته بالقول إن المهمة المطلوبة تكمن على وجه التحديد في محاكمة كل ماهو قائم ووضعه في حجمه الحقيقي . لنضع برنامجاً ايديولوجياً طبقياً سياسياً وعسكرياً . وهو برنامج لن يكون الا للعمال والفلاحين الفقراء ، والقطاع التقدمي من البورجوازية الصغيرة .

**الياس فوح ( العراق ) :**

عندما نتكلم عن الثورة العربية ينبغي التمييز بين :

- مستوى الواقع الراهن .
- المستوى الذي يجب أن تبلغه الثورة العربية .

وهذا التمييز ضروري فكرياً وتنظيمياً .



وأكد الياس فوح على ضرورة معالجة الوضع الراهن بمنطق الفكر العلمي الثوري . يجب التشديد على الأصالة ، ونفي التقليد . كما يجب التشديد على التحليل العلمي ، لا النظري ، الواقع ، وتجنب النظرة الجزئية التي تكتفي بجزء من الصراع ، لا بكلية الصراع .

**محي الدين عويضة ( السودان ) :**

يجب أن نتجنب خطأ التعميم في التحليل والتجريد ، فالشعوب العربية ليست في مستوى واحد من مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . فالجمهورية العربية المتحدة استطاعت أن تنجز مرحلة حاسمة من مراحل النضال ضد الاستعمار القديم والحديث ، وان تحقق فعلاً مرحلة هامة من مراحل الثورة الوطنية الديمقراطية . وفي الوقت نفسه نجد مناطق أخرى من العالم العربي مازالت

ترزح تحت السيطرة المباشرة للاستعمار والاقطاع والنظم العشائرية . فالانجازات اذن في العالم العربي لاتسير في تيار متواز .

ومن ناحية اخرى فاننا عندما نتكلم عن دراسة الواقع دراسة علمية فاننا نعني دراسة التناقضات الخاصة بكل جزء من الاطار العربي . وهذه الدراسة يجب ألا تقتصر على التحديد العام كأن يقال الطبقة العاملة أو المزارعون أو الرأسمالية الوطنية .. الخ فالمزارعون في الوطن العربي مثلاً ليسوا طبقة واحدة . فهناك العامل الزراعي والفلاح الفقير ، وهناك الفلاح المتوسط ، وكبار الملاكين ، والاقطاعيون .. هذه كلها اعتبارات لابد من حسابها عند التفكير في وضع الأساس في الجبهة أو الوحدة الوطنية .

ويصف محي الدين عويضة كلام السيد حواته بأنه غير علمي اطلاقاً بالرغم من أنه يشير في حديثه الى الماركسية - اللينينية . ودلل على ذلك بالأمثلة التالية :

- تفسير نكسة حزيران على أنها جاءت نتيجة لأن الطبقة العاملة في ج . ع . م لاتحكم ولا تقود . اذ لايستبعد أن تصاب أية دولة اشتراكية تقودها الطبقة العاملة بمثل هذه المحنة . ويرى عويضة أن هذا الموضوع يرتبط باستراتيجية عامة وبتوازن القوى العالمية ، وببعض الأخطاء في التخطيط العسكري .

- الكلام المطلق عن الطبقة العاملة في السودان ولبنان والأردن دون تقدير دقيق للوزن الحقيقي لهذه القوى .

- الكلام على البورجوازية الصغيرة بوصفها قوى محافظة بصورة مطلقة .

فاروق قدومي ( فلسطين ) :

ثمة ملاحظات استنتجها من كل ماقيل :

- يبدو أن هناك ابتعاد للنظرية عن التطبيق .

- يبدو أن هناك عدم اعطاء مدلولات للمفاهيم .

ويقول المناقش : ينبغي الاتفاق أولاً على المسلمات وتنسيقها بشكل موضوعي .

ان القضية تتمثل في العمل العربي لا في النظرية . وثمة بعد عن الالتصاق بالواقع ومعطياته .

وتساءل قدومي : هل الثورات التي قامت هي فعلاً ثورات شعبية ؟

# القسم الثاني

## المرتكزات الفكرية والروحية للثورة العربية

### البحوث

- كمال جنبلاط (لبنان)
- كريم مروة (لبنان)

# المناقشات

مبتدر المناقشة : عثمان سيد أحمد ( السودان )

- عبد الله الريماوي ( الاردن )
- جمال العطيفي ( ج . ع . م )
- عزيز السيد جاسم ( العراق )
- نايف حواتمة ( فلسطين )
- أبو سيف يوسف ( ج . ع . م )
- محمد ابراهيم نقد ( السودان )

# المرتكزات الفكرية والروحية للثورة العربية

## بحث : كمال جنبلاط



ايها الرفاق والاخوان ،

إنه من دواعي غبطتنا جميعاً أن نجتمع اليوم في هذا القطر العربي الكبير الذي أخذ مكانه في الثورة العربية الاشتراكية وبدأ يتجه الى تنمية موارده الزراعية والصناعية والبشرية الهائلة بعد عهود طويلة من التخلف .

وإننا ، إذ نحيي قادة هذا الجزء العزيز من الوطن العربي ، يسعدني شخصياً، وباسم الحزب التقدمي الاشتراكي ، وباسم دولة لبنان، أن نجد انفسنا مع رفيقي أمين عام حزبنا - ولأول مرة في تاريخ حياتنا - في السودان، نحاول أن نطفئ الشغف العالق في حنايانا للمعرفة، ولمعرفة شعبه والاطلاع على أحواله وعلى منطلق معالم نهضته . ولاشك أن لهذا الشعب العظيم الذي تجسدت علاقته قبل الإسلام والنصرانية في اندراج تاريخ مصر القديم منذ آلاف السنين ، وبعد نشأة الناصري وبزوغ فجر الدين الحنيف حتى أيامنا هذه ، لاشك أنه سيكون لهذا الشعب دور خاص وأصيل - عندما تتفتح سبل تطوره الشامل - في التوحيد والتأليف بين التنمية المادية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتكاملة ، وبين

ما اتصف به هذا البلد من مسالك التقى ولكشف الحقيقة والنيل من مصادر الزهد والحكمة والعرفان .. فتخرج التجربة الاشتراكية في ربوع السودان الحبيب بلون جديد يضاف الى ثراء الحضارة ونتاج التجارب الاشتراكية الأخرى .

أشكر هذه المناسبة وطيب الدعوة والضيافة واتقدم الى الشعب السوداني الكريم ومن هذا البلد العربي بأفضل تمنياتي بالازدهار والتوفيق .

## مراحل الثورة العربية :

أول ما يجب ايضاحه هو أنه كان للثورة العربية ثلاث مراحل مختلفة ، تعاقبت زمناً منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، التي شهدت في غضونها قيام العرب بتحرك على نطاق كاد يشمل جميع أنحاء القسم الشرقي من الوطن العربي . وكان قد سبق هذا التحرك في القرن السابق وبدايات القرن الحالي ، انتفاضات شعبية وثورات محلية ، وصراعات دامية ، في جميع البلدان العربية الحالية من المغرب الأقصى الى العراق ، ومن شمال سوريا الى الجزيرة واليمن والسودان .. وهذه المراحل الثلاث هي :

آ – الثورة لأجل مقاومة الاحتلال الاجنبي في بدايات تسلله وفي حملاته العسكرية لبلوغ سيطرة الفتح . ثم لزعزعته وتهديده وتقويضه .. وبدأت هذه الثورات تستند بطبيعة تكوين الأجيال البشرية السابقة الى **مقومات الدين ودوافعه ، والى نزعة الشعوب الى تحقيق الحرية على نطاق الجماعة ، أي الى تحقيق الاستقلال الذاتي .**

وما لبثت هذه الثورات الاقليمية أن تنادت عبر الحدود وشعرت بتجاوبها الطبيعي ، وكأنها تلاقت في البدء **باسم الاسلام** ، كما كان شأن الحروب التي شنها العرب للتخلص من السيطرة الطبيعية ، وفي منتصف القرن التاسع عشر بشكل خاص ، وفي بدايات القرن العشرين أخذت هذه الثورات تتفاعل بعضها مع البعض الآخر ، وتتقارب باسم مفهوم القومية العربية الناشئة .. وكانت القومية العربية تظهر بسرعة ، أو تتباطأ في تجليها ، في نضال الشعوب العربية ، لتحل في الشعور العـام وفي الأهداف مكان الرابطة الدينية الاسلامية ، وفق ما كانت عليه الشعوب المعنية من تخلف علمي أو حضاري ، أو تأخر اقتصادي أو ظروف لغة أو أوضاع عنصرية ... وكانت سوريا الطبيعية ، بما تمثله آنذاك من فلسطين والأردن ولبنان وقسم من الجزيرة العربية ، أول من تحسست بالروح العربية الناشئة التي أيقظها نفير الشاعر اللبناني ابراهيم اليازجي ، ونبهتها الى رسالتها هذه أوضاع التجارة النامية نسبيا في بلاد الشام وحلب والقدس والمدينة ومكة وبيروت .

كما كان لصناعة الحرير وما نجمت عنه من ولادة فئة جديدة من العمال المهنيين والصناعيين والتجار اثر بالغ في انشاء القاعدة الخلفية للتطور السياسي ، وفي ابراز معالم البرجوازية.

وقد تلاقى هذا المد الثوري المطعم بالثورة الأدبيـــة السورية ـ اللبنانية الحديثة بمجاري الفكر التحرري العربي المنطلق من وادي النيل ، حيث كان ولا يزال يمثل هذا القسم الشمالي من مصر ، منذ أقدم عصور التاريخ حتى عصرنا هذا ، الجزء التجاري ـ وبالتالي النازع إلى الحرية ـ في بقـــاع وادي النيل ، بوصفه طريقاً ومعبراً للمواصلات وللقوافل .. فحيث تولد التجارة ، تتكاثف المواصلات المادية. وتتقوى الصلات المعنوية وتولد الحرية . هذه هي القاعدة الجغرافية السياسية ( الجغراسية ) التي لا تحتمل الشواذ .

ولا تزال بعض شعوب الدول العربية لاتتحسس كما يتوجب المفهوم القومي العربي ، هذا المفهوم الذي يتحتم عليه أن يكون علمانيا وفق انسياق التطور مع بقايا انعكاس لذهنية المعتقد الديني المسيطر .. ولكن هذا المفهوم يكون آنذاك قد تعرى من غلاف هذه الذهنية ومنطقها ..

. **المرحلة الثانية** : تميزت هذه المرحلة للثورة العربية بالسعي لتحقيق الحرية السياسية في الداخل ، خاصة بعد أن أخذت المفاهيم الأوروبية المرتكزة عـلى المثال الدستوري في شمال اوروبا وفي بريطانيا ، وعلى مثال ثورة ١٨٧٩ الفرنسية وميثاق الثورة الامريكية ، بعد أن أخذت هذه المفاهيم للديمقراطية السياسية الحديثة ، المجددة في الواقع لتجارب اليونان والرومان وسوام ، تنتشر في الشرق وتجذب اليها الجماهير .

وكان للنهضة الأدبية العربية في القرن السابق ، ولتلاقي ، الشرق العربي والغرب الأوروبي ، عبر الفتوحات ـ وخصوصاً حملة **نابليون بونابرت** على مصر ـ أثر في انفتاح الأفكار وشحذ الهمم وتنبه الارادات . وقد ظهرت أولى بوادر الحكم الديمقراطي السياسي في نظام ١٨٤٥ الذي وضع لما كان يسمونه بسنجق جبل لبنان ، والذي قضى بتأسيس أولى البلديات المنتخبة . وثم في نظام ١٨٦٤ الذي الغى الاقطاعية السياسية في السنجق المذكور وأسس مجلساً للادارة وقضاء عدليا مستقلا عن السيطرة والأهواء السياسية ، وركزت بعض حقوق وحريات الإنسان الأساسية .. كما أن مصر شهدت في عهد محمد علي اصلاحات واسعة في الإدارة المحلية ، بعضها على المثال الفرنسي آنذاك .

ان المرحلة الثانية من الثورة العربية تجلت بالمطالبة بالدستور وبالحرية الديمقراطية ، وبحق **الانتخاب** ، وبزوال الاقطاعية السياسية ، وثم بالقضاء على النظام الملكي واستبداله بالنظام الجمهوري .

ولا تزال هذه الفكرة الديموقراطية السياسية تتفاعل في الذهنية العربية ، لتنقذها من رواسب وآثار العقلية الدينية السالفة ؛ أو لتعمل ، من داخل اطارات الأنظمة الرجعية والأنظمة التقدمية ذاتها ، لإرساء مرتكزات وقواعد وأساليب ديموقراطية سياسية جديدة مسؤولة .. فالحرية السياسية ، وحق الانسان بها ، تماثل حقه بالعيش وبالعمل وبالتثقف وبالضمان الاجتماعي الشامل وبالمشاركة الاقتصادية. الحرية أساس جوهري وأصيل ينجم عن طبيعة العقل البشري وتطوره وسلوكه .. فيمكن أن تحتجب الحرية حقبة لأجل بلوغ بعض الأولويات الأخرى في التنمية والاشتراكية والتقدم والعيش ، ولكنها لاتلبث أن تظهر ولا تختفي أبداً في نزعتها الدائمة للتحقق .

**المرحلة الثالثة** : الثورة العربية هي ما يمكن تسميته بمرحلة الديموقراطية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، أي الاشتراكية . اننا نشهد اليوم قيامها في العالم العربي ونموها وانتشارها المضطرد . وقد تجسدت في الماضي فعلياً في انتفاضات فلاحية أو عمالية إقليمية معروفة في مواجهة الإقطاع السياسي وإقطاع الأرض بشكل خاص في معظم الدول العربية .

ولكنها لم تنطلق بشكل علمي وايجابي وعلى نطاق الشعوب الا باندلاع الثورة المصرية على يد الضباط الأحرار ، وتحولت مع الرئيس عبد الناصر فيما بعد الى ثورة اشتراكية هي الأولى من نوعها في الشرق ، ثم قامت الحركات والانظمة الاشتراكية في سورية وفي العراق وفي الجزائر ، ثم في اليمن الشمالي واليمن الجنوبي . وجاء دور السودان وليبيا أخيراً لا آخراً .. ولاتزال رقعة هذه الحركة التحررية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تمتد في نطاق الوطن العربي .فالبعث الفلسطيني الذي نشهده على صعيدالكفاح والفداء والتنظيم ، لابد من أن ينجم عنه نظام تقدمي واشتراكي ، يوم تأذن ساعة التحرير وتعود فلسطين الى وضعها التاريخي العربي الغابر .

من هذا العرض السريع جداً تتبين لنا المرتكزات الفكرية الرئيسية للثورة العربية ، على سبقها أو تداخلها وتشابكها في تكوين الذهنية العربية المعاصرة ، وفي دفع نضالها ، وفي تخطيط أهدافها وفي ابراز أساليبها ، وفي دفعها في مجاري التطور الذي يسرع بنا ويتصاعد تياره كلما تقدمنا في اكتساب التراث الحضاري العلمي والصناعي المتقدم في العالم ، وفي شقيه ..

ان هذه المرتكزات الفكرية للثورة العربية يمكن تلخيصها بما يلي :

## أولاً : التراث العربي والحضارة العربية :

وهي ما زالت تبرز في اصول جاهليتها فيا نحن عليه من ذهنية عامة ومن أوضاع. وما هذه الفردية القبلية والمصلحية والمنافسة ، فيا يتناقض مع المصلحة العامة أحياناً ، الا من ارثها المكبل الثقيل . فالسامية العربية فيا هي عليه من مناقب وصفات وأغوار بعيدة وقريبة ، هي ماثلة متمثلة فينا ولما تزل .

ولا عجب في ذلك ، فلأول مرة ربما في التاريخ يحدث أن تجمد لغة على ما تحويه وتتضمنه من تعابير ومفاهيم ومعان منذ أكثر من الف وثلاثمائة سنة ، أي منذ أن تجلت هذه اللغة العربية المدهشة – وهي أقدم اللغات السامية وافق الاكتشافات الحديثة – في القرآن الكريم .. ففي كل جملة آية سحرية ، على حد تعبير ماسينيون ، تكشف عن أعماق ما كان يفكر به الإنسان التاريخي العربي مدى اجيال طويلة من التاريخ تمتد الى ما قبل القرآن الكريم ذاته ..

ويتبين أثر تكاثف هذه اللغة على منطقنا وشعورنا وتصرفنا ، واحاطتها بتقاليدنا ونفحها لمسالك واطارات العمل والتحرك العربي ، عندما ندرك ان الكلمة بما فيها من رموز ومعان ودلالات هي المنسكب والقالب والأداة التي بدونها لا يستطيع الإنسان أن يفكر في المعنى الصحيح للتفكير .. ولا الكلمة لما انطلق الفكر من عقاله وانكفائه في لون من ألوان الحدس والكشف المباشر : « في البدء كانت الكلمة .. » .

فهذا الاطار العربي من التراث : من تراث المفاهيم والمعاني والتي لا نرى له مثيلاً في اللغات الأوروبية مثلاً–التي هي وليدة قرن او قرنين والتي اصابها التبدل والتطور– هذا الاطار العربي من التراث المعنوي والاجتماعي ، يؤلف احدى المرتكزات الرئيسية لحياتنا العامة وللثورة العربية المنطلقة والنامية ..

وكلما انتشرت لغة الضاد بين اقوام من العرب لا يتحدثون بها ، على اصالتها ، او فرضت عليهم ظروفهم التاريخية بما فيها العزلة والاستعمار ان يلجئوا الى سواها من اللغات ، وكلما تعمق بدراسة اللغة العربية السامية فئات اوسع او أكثر عدداً ، تبينت لنا ظاهرة غريبة في بابها ، هي ان الانسان ، عوض أن يبدل في اللغة وفي معانيها بفضل تفاعله بها ، انما هو الذي تأخذه هذه اللغة في شباكها وتبدله من داخله وتستحوذ عليه بمعانيها المتسلسلة اليه عبر التاريخ منذ أقدم العصور .. فلا أمل في كل ذلك في انتشار اللغات الدارجة الإقليمية ، بل هو اللسان اللغوي الذي يستولي تدريجياً على هذه اللغات الإقليمية ويجعلها أقرب من صرفه ونطقه .

ندرك في هذا المنحنى، أن ما من حزب يستطيع في المجال العربي وفي محيط ما أوضحناه، ان يتنكر للقومية العربية.. وكم من حزب يساري أصابه الشلل لتجاهله شؤون وعناوين ومفهوم هذه القومية النابعة من صميم تراثنا العربي والنازعة الى بلورة هذا التراث واستقطابه في حركة تنبثق منه وتلتف حوله وتعود اليه وتتعداه..

وكم في حياتنا العادية من بساطة وديموقراطية بديهية عشائرية ومشاركة معنوية، وحتى مادية أحياناً، تعود الى هذا الأصل من التراث العربي الأول العابر.

قد يكون في هذه الوصلة مع التاريخ والتراث المعنوي الكامل المتحد عبر اللغة بأوضاعنا وذهنيتنا، قد يكون فيه ما يثقل مسيرتنا نحو التجدد والتبدل، كمن يحمل على كتفيه ويحاول أن ينهض بمنكبيه، بهذا العبء من التكثف المتراكم المترامي والمتصل من التقليد والأدب والتخيل واختزال العقل والعاطفة.

ولكن مما لا شك فيه أن ما سيظهر في تجاربنا التقدمية والاشتراكية ـ من كل هذا ـ سيكون من العمق والثراء، ما يضفي على هـذه التجربة طابع الخبرة الإنسانية وطابع الحضارة..

واذا ما اضفنا الى ذلك، الى هذه الخلفية من التراث العربي المعنوي واللغوي، ما علق وامتزج به وتداخله من فعل الإسلام الحنيف ومذاهبه، وتشعبات مواجهاته للحقيقة، وانفعاله، ومن تصرف النبي وآله وصحبه ومثالهم البسيط العفوي الصارم العادل السوي، وكذلك التجارب الروحية الحية التي مر بها هذا المعتقد التجريدي، لخرجنا من كل ذلك ـ في عصر بعثنا الشامل المعاصر ـ بأنظمة للإنسان وبحضارة جامعة لجميع المنطلقات والنشاطات المالية والمعنوية التي هي فيه وفي ارثه المكون له ولمجتمعه، بوصفه هذا الانسان التاريخي العربي.

واذن وفي هذه المواجهة، فالقومية العربية النابعة من تراث هذا الانسان التاريخي العربي هي ملازمة لكل تقدمية واشتراكية عربية لا تنفصل أبداً عنها، بل هي ماهية وهوية هذه التقدمية وهذه الاشتراكية.

## ثانياً: التراث الاسلامي والمعتقد الاسلامي:

وهو المرتكز الثاني للثورة العربية. وسبق لنا وقلنا إنه تقدم اليقظة العربية في ربط الجماعة، وفي صبر نضالها وتوجيه أهدافها منذ برز الصراع مع البيزنطيين ومع الصليبيين ومع ايران، وثم مع النفوذ والاستعمار الأوروبي، قبل أن تبرز وتتضح

القومية العربية .. وكم من الشعوب ـ وخاصة في بلدان المغرب العربي وليبيا والجزيرة العربية وسواها من الأقطار ـ قد ركزت صراعها التحرري على مرتكز الدين والتراث الاسلامي، وهذا اللون ـ من العصبية غير المتعصبة التي تتجلى بمفهوم دار السلام.

ويجب أن لا ننسى في أي حال أن نبي الإسلام محمد ـ كان في آن واحد باعث العروبة ورائدها الأول ونبيها. وقد تلاحمت الصفتان والرسالتان فيه بحيث يصعب فصلها فصلاً كاملاً نسبياً كما يتصور البعض. فالقرآن والحديث وما عبر الينا من تلك الجاهلية المستعربة، وكذلك أقوال الصحابة والأنصار وأرباب الفتوح والبلاغة والولاية بينهم، كل هذا يؤلف المصدر الأساسي في الحقيقة للتراث العربي اللغوي والمعنوي المنحدر الينا من تلك الجذور. ولا يفوتنا كيف تفاعل هذا الأصل الجذع البكر ، بالعقل اليوناني وبالتراث الايراني وحتى المصري القديم وبما سبق من المذاهب المسيحية واليهودية والصابئة وسواها، بحيث ارتقى ـ رغم الجمود الذي أصابه في عهود الانحطاط ـ الى مستوى الحضارة الانسانية المشرقة المتكاملة.

كما انه يجب علينا أن نذكر دائماً ما كان لهذا التراث والمعتقد الاسلامي من رحابة في قبوله للأنبياء والديانات التي سبقته جميعها، واقتباسه لعقائدها، مما يسهل ولا شك عمل الأخذ والعطاء والتفاعل والتعايش والتوافق الاجتماعي..

ان المعتقد الديني هو ظاهرة اجتماعية ترافق الإنسان وتتطور بتطوره، يعكس فيها ما يخالجه ويفرزه من نظام للأخلاق ومن ارادة فيه لإيجاد مسلكية داخلية محض اختيارية وعفوية تقابل وتكمل نظام القانون الخارجي.

ثم ان المعتقد الديني يجيب على التساؤلات الكبرى للإنسان وفيما يتعلق بمعرفة ماهية الكون والطاقة الأخيرة للوجود والعقل النفسي والولادة والألم والفرح والموت، تلك التساؤلات التي لم يتوصل بعد الى حلها وتفكيك دلالاتها ورموزها العلم.. وكلما نما العلم وتقدم في كشفه، كلما تراجعت المفاهيم الدينية في تفسيرها ـ ان لم تكن منطبقة ـ على النظريات والكشوفات العلمية الأخيرة.

ومما لا ريب فيه ان حياة الاسلام بما عمر به النبي والصحابة الأول والخلفاء وأرباب الأدب والخلق والحكم والولاية والمتصوفة، كل ذلك كان له أثره الفعال في تكوين الخيال والشعور العربي في ابراز المقولات العقلية العربية..

ولعل أوضح مثال على ما نعنيه الدور الذي لعبته بعض الطرق الصوفية حتى في

حقل السياسة ذاتها في دول المغرب العربي وفي ليبيا وفي السودان وبعض المذاهب في اليمن والسعودية .

ومن تأثير تعاليم المعتقد والتراث الإسلامي أن ما من دولة في العالم العربي استطاعت أن تتجرد من مفهوم الثيوقراطية الإسلامية ، وان تعبر بالدولة المستحدثة الى عقلنة ديكارت والعلم الحديث ، والى علمنة الحكم كما يتوجب أن يكون عليه ، وكما نشخص ذلك في المثال الاوروبي المقابل وحتى في المثال الهندي الحديث أيضاً ..

وهذا الاعتبار يقودنا الى عرض المرتكز الثالث غير المتوضح للثورة العربية .

## ثالثاً : مفاهيم الديمقراطية السياسية العربية وما خلفته في اوروبا والعالم من فكر علمي وعقلانية وعلمانية :

يبدو للناظر والمؤرخ المتبصر أن العالم العربي لم يستنفد في تطوره الاجتماعي والسياسي أية مرحلة من مراحل التطور التي أشرنا اليها سابقاً .. بل أخذت دويلاته تقفز من مرحلة الى مرحلة أخرى قبل ان تكون المرحلة السابقة قد اعطت ثمارها كاملة وحققت مداها المستبطن ..

ولذا نشهد هذا الاختلاط والالتباس في التفكير الثوري الحديث ، وفي محاولات التفسير التي وضعت لأجل تبيانه ، كما ندرك سر عدم النجاح الذي أصيبت به بعض الأحزاب الثورية العربية .



ويبرز جلياً من مراقبة اوضاع الثورة العربية في ضوء ما احتضنته وتمخضت عنه وولدته تيارات التطور الاجتماعي والسياسي في الغرب :

أ — اننا لم نتوصل بعد الى مفهوم علمنة الدولة وفصل الدين عن الدولة ، مع ابقاء نفحة من الاخلاق العامة والضميرية والوجدانية والروحية في الحكم وممارسته .

ب — اننا لم نعبر من خلال ذلك ولم نتوصل الى طور سيطرة الفكر والعقلانية العلمية الحديثة ، التي هي غير تلك العلمانية التي تمكنت العقل الاوروبي في الطور الأول أي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وبدايات القرن العشرين الأولى .

وليس أدل على ما أقول من تلك العبارات والألفاظ التي توجت بها بعض دساتير الدول المتقدمة ، والاشتراكية منها ، أو هذا الحرم الديني الذي يوضع ولايزال في مناقشة

العلم والعقل – والمتمذهب بالعلم – لشؤون الروحانية والدين.. منذ كتاب عبد الرازق « الحكم في الاسلام »، الى جميع المؤلفات التي سيق مؤلفوها أمام المحاكم أو حظر طبعها ونشرها، كأننا لم نعد نعيش على الأقل في عصر اخوان الصفاء وفي جيل ابي العلاء المعري.

ولعلّ الفكر الاشتراكي سيفعل ما لم يستطع الفكر الديمقراطي الغربي، ولا العلم الحديث، تحقيقه في مجتمعنا العربي وفي ذهنيتنا..

ثم كانت كارثة ١٩٤٨ التي اعتبر حكام العرب آنذاك مسؤولين عنها.. وفي غيبة سيطرة الأحزاب الثورية الاشتراكية أو ضعف سيطرتها على الجماهير، انطلقت الثورات الانقلابية العربية على يد التنظيمات العسكرية – التي لعبت دور الأحزاب السياسية النامية في غيبتها – وكانت هذه الانقلابات العسكرية الثورية في دمشق وفي القاهرة ثم في العراق، الى ان تسللت فيما بعد الى اليمن واخيراً الى ليبيا والسودان. وقامت الحركات الثورية الشعبية في مراكش وفي الجزائر وفي تونس، بعد ان قامت أو كانت في مرحلة قيامها في سورية ومصر ولبنان والعراق. اتجهت معظم هذه الانقلابات والثورات، بل كلها، لبلوغ أهداف التحرر القومي، ولكنها لم تلبث عندما فرغت من تحقيق أهدافها السياسية الوطنية ان تبنت لوناً أو ألواناً من المبادىء والتجارب الاشتراكية.

واننا لا نزال في العالم العربي في مرحلة يمكن وصفها بالنسبة الثورة العربية بمرحلة التفتيش عن الفلسفة التفسيرية للمضمون الاشتراكي. فغالبية المثقفين تتبنى الماركسية اللينينية، وبعضهم الاشتراكية الصينية أو اليوغسلافية أو الألمانية الشرقية أو سواها في مجال التجربة.

ولانكم اننا تبينا منذ سنة ١٩٤٨ في الحزب التقدمي الاشتراكي بعض نظريات تيلار دي شاردن وهكسلي وكاريل ممن يكملون النظرية الجدلية الماركسية، فيما توضحت لنا مع الوقت هذه الجدلية وخصوصاً في ضوء الفلسفة اليونانية القديمة هيراقليطس وديموقريطس المنحدرة الى اليونان من الاصول الجدلية في الشرق الأقصى وايران ومصر القديمة، وكذلك في تتابع وتعميق مناقشتنا للتجارب الاشتراكية في أوروبا.

## رابعاً: المبادىء الاشتراكية والتفسير الماركسي:

بدأ هذا التضامن والتأثير بين المبادىء الاشتراكية والتفكير الماركسي يوم قام لينين بثورته في أكتوبر ١٩١٧، ويوم امتدت فيه يد المساعدة البولشفية لمصطفى

أتاتورك في كفاحه للتخلص من الاحتلال الأجنبي عقب الحرب العالمية الأولى. وقد لعب أتاتورك ومثاله دوراً كبيراً في مخيلة الجماهير العربية وفي جذب عاطفتها .. وتعتبر ثورة أتاتورك، ويعتبر كفاحه المسلح وبناؤه للمجتمع الحديث العلماني وتأميمه للصناعات، حزباً مميزاً خاصاً من احزاب النضال والبناء الاقتصادي والاجتماعي.

وفيا بعد أخذ الفكر الماركسي يتسرب الى الشرق العربي. وتأسست أسرة الأحزاب الشيوعية الأولى، فيا كانت الأفكار الاشتراكية الديمقراطية على النمط الأوروبي الغربي الشمالي، أو على النهج البريطاني العمالي تأخذ سبيلها. وقام بعض الأحزاب للمناداة بها وللانتساب الى مفاهيمها واهدافها. وتأسست في سياقها بعض الأحزاب في العراق وفي سورية وفي لبنان وفي مصر وسواها.

ولكن الصدام الدائم الذي كانت تواجهه الأمة العربية في مقاومة الاستعمار، وخصوصاً في دفع العدوان الصهيوني على أرض فلسطين العربية، كان يؤجج الشعور القومي ويذكي النزعة الثورية الانقلابية التي كانت تبدو وكأن صبرها وصبر الجماهير على الأحزاب التي تمثلها كاد ينفد .. فما لبثنا ان شاهدنا الثورات في العالم العربي تهب على أسس محض قومية دون أي التزام اجتماعي أو اشتراكي محدد.

ويمكن القول أن التجارب العربية وخاصة تجربة الجمهورية العربية المتحدة الرائدة - في هذا المجال - وتجارب سورية والجزائر والعراق وسواها، قد فتحت آفاقاً جديدة لتحرير الفكر العربي من الدوغماتيكية المعتقدية اذا شاء هذا الفكر وشئنا أن يتحرر ويكون اكثر اصابة في تمنطقه وتفسيره وتصرفه.

## خامساً : المسالك الثورية الحديثة :

ماوتسي تونغ، كاسترو، غيفارا، حركة الكفاح الفلسطيني والفداء، حركة الطلاب والشباب.

لايسعنا في نهاية هذا البحث الا أن نذكر شيئاً عن أثر هذا التفكير والنهج الجديد على نزعات الثورة العربية في مرحلتها الحالية.

ان ماوتسي تونغ أوضح في الواقع اهمية الثورة الدائمة وفق اسس ومفاهيم محض فكرية ومعنوية، وركز على أهمية العودة الذاتية الى العفوية.

وينتهي الى نقض اسس الحضارة الصناعية القائمة أو الى اكمالها في المعسكرين القائمين

وفيا يتعداهما : وذلك بإعادة الإنسان الى بيئته الطبيعية ، والتركيز على بساطة الأولياء في الحياة وعلى هوية الانسان أكاه أقول البدائي الأول ، وعلى مناهضة العنف في جميع أشكاله ، وعلى التنكر للقومية ولجميع مظاهر التفرقة والتمييز بين الناس ، وعلى تبديل أساليب التثقيف والتربية ، وعلى نبذ حياة المدن وعلى التحرر من كل برجوازية ، وعلى التركيز على قيم المحبة والأخوة المستقاة من جوهر حقيقة الإنسان ورسالات الأنبيـــاء مجردة عن كل عقيدة أو معتقدية لاحقة .

أما حركة الكفاح الفلسطيني والفداء فانها، كما سبق لي وقلت مراراً ، تلعب دور الخميرة النامية في تبديل الذهنية العربية التي اتصفت أجيالا بالاتكالية والكلامية السحرية والانتهازية .. ونظن أن الكفاح الفلسطيني والفداء سيسهمان مع الانظمة الاشتراكية والديمقراطية الصحيحة في عقلنة الفكر العربي والذهنية العربيــة بحيث يولد فيها حقاً سبينوزا أوديكارت، وتصبح الذهنية العربية جاهزة بأن تطعم بنتائج ونظريات العلم الحديث وتستطيع أن توافق الشعوب المتقدمة في ثروتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية الآتية والمرتقبة.

وكأنه يتلاقى في ذلك مع حركة الطلاب والشبيبة العالمية فيا تنزع اليه من مناقشة كل شيء، والعودة الى حياة البساطة والعفوية .ولكن حركة الطلاب والشبيبة تنزع الى اكثر من ذلك .



أيها الرفاق والاخوان

من هذا المزيج والخليط من المرتكزات الفكرية والروحية استقت الثورة العربية. ولم تعرف في مجالها أن تميز :

**أولاً** : بين النتائج التي كان يتوجب أن تحققها كل مرحلة من مراحل التطور العربي ،وضرورة الأخذ بهذه النتائج وتحقيقها ووضعها شعاراً للدولة .

**ثانياً** : بين الدراسات الجدلية الماركسية أو سواها التي وضعت لمرحلة معينة من التاريخ البشري في أوروبا ، وكانت ولا شك صائبة في حينها ، وبما أبرزته من حقائق علمية لمنطق تناقض المادية الاقتصادية التاريخية . هذا من جهة ،ومن جهة اخرى بين منطق الجدلية ذاته، منطق التناقض القائم في كل شيء.. في عقل الانسان ، في نفسيته ، في شرائح جسده وعاطفته وتفكيره، كما هو قائم في علاقات الفرد بالمجتمع والأفراد فيا بينهم ، وبين مجتمع ومجتمع آخر ، وبين مسالك قيم الضمير والنظام ، وبين تيارات التراث المختلفة التي

تتكون منها الجماعية وبين الغيرية التعاونية والانانية الفردية ، وبين الجهل والعلم ، وبين الدين، كمظهر اجتماعي وتفسيري اخير، والمعرفة العلمية ، وبين الدين والاختبارات الروحية الحية ، وبين ما اصطنعته الحضارة الحديثة من اطارات غير طبيعية ومعقدة لعيش الانسان وبين نزعة الكائن البشري الى العودة الى الطبيعة والبيئة البسيطة العفوية .. هذا التناقض الاخير الذي يرشدنا الى مضامين الثورات الطلابية وانتفاضات الشبيبة في العالم المتقدم ويفسر لنا حتميتها في العودة الى عالم تسيطر عليه المحبة والبساطة والصدق والعفوية فيما يتعدى الأنظمة القائمة .

هذه الجدلية للتبدل والتغيير الدائب في ظواهر المادة والحياة والمجتمع والانسان ، جدلية التناقض المستمر ، يجب أن يعقلن بها منطق الفكر العربي الحديث ، وأن يتشربها في قاعدتها وشرعتها الأساسية، وفيما ظهرت عليه في آن واحد فلسفة هيراكليس الذي يعتبره ماركس أكبر فيلسوف مر به التاريخ ، على قلة ما وصل منه الينا ، وفي تطورات ونظريات العلم المتقدم الحديث الذي لم يكن طبعاً لماركس في عصره وحينه أن يتبينها .. وعلينا في هذا الباب أن نستكمل نظرتنا الواقعية للوجود وتمنطقنا بالجدلية بدراسة بعض الذين يعتبرون — فيما عدا علماء الفيزياء الحديثة — من متممي ومطوري النظرة الجدلية الماركسيـــة في حقل دراساتهم العلمية كتلار دي شاردان ، وجوليان هكسلي ، ويونغ وسوام .

أحوج ما تكون اليه الثورة العربية أن تقف لتناقش نفسها وتصحح مفاهيمها وتعود الى الواقع الغرضي دائماً وأبداً بدون هوادة على ضوء مسلك فلسفة التنـــاقض لتتخلص من الدوغمائيكية كلما ذرت قرونها واستفحلت، فيدرك القيمون على الثورة العربية :

**أولاً**: ان الثورة ، بمفهومها التطوري الاجتماعي والحياتي الشامل ، هي دائمة ومستمرة ولا تتوقف ، فيجب أن لاتضع أمامها الحواجز حتى الحواجز الثورية ذاتها .

**ثانياً**: ان تيار هذه الثورة بدأ يشمل في عصرنا المتقدم الظواهر المادية والظواهر النفسية في آن واحد ،يفعل من خلال هذه على تلك ، أو من خلال تلك على هذه .

**ثالثاً** : انهذه الثورة قد تبدلت وتيرتها وتتبدل باستمرار ، في ازدياد مضطرد لسرعة هذه الوتيرة ، كلما تقدمت الحضارة وعبرت بنا مسالك العلم الى كشف المجهول .

**رابعاً** .ان العلم الحديث، من حيث منطوقه النظري والفكري ،والتقنية التي يولدها ، اضحى من اضخم عناصر التبدل والتغيير في المجتمعات الحديثة .

هذا ما بدا إلي من تفكرات في هذا الموضوع ، بالرغم مما أرى فيها من نقص بارز، وما استحوذته على مشاغلي الرسمية . فعذراً ، وشكراً لاستماعكم اليها ، ولهذه الضيافة التي لقيناها في هذا الملتقى الفكري من أرباب هذا البلد العربي الحبيب .

# المرتكزات الفكرية والروحية للثورة العربية

## بحث : كريم مروة

الحديث عن المؤثرات الفكرية والروحية في الثورة العربية يطرح ، بشكل مباشر ، أمام المفكرين الثوريين جملة من القضايا تتعلق بتكوين الفكرة العربية ، والاتجاهات التي تطورت فيها الحركة الثورية في البلدان العربية ، والمراحل التي اجتازتها ، والتراث الثقافي والفكري الذي اقترنت به . كما يطرح القضايا المتعلقة بالدوافع الثورية المختلفة التي سادت في كل مرحلة من مراحل تطور الحركة الثورية على الصعيد العربي العــام ، وفي كل بلد عربي لوحده .

وجميع هذه القضايا ، نظراً للاهمية القصوى التي ترتديها ، تحتاج الى مساهمة نشيطة ومستمرة من جميع المفكرين الثوريين .. في تعميق بحثها واستخلاص الاستنتاجــات الضرورية في ضوء ذلك .

واذا كان من المتعذر — في اطار هذا البحث — وفي المجال الذي يفسحه هذا الملتقى الفكري العربي الالمام بكل هذه القضايا .. فانها لا شك ستكون نقاطاً دائمــة للبحث والاستنتاج أمام المفكرين الثوريين العرب .

وغني عن البيان أن المبادرة الحالية التي قام بها قادة الثورة في هــذا البلد العربي الشقيق ، السودان ، ستشكل ، بالنتائج العملية التي ستخرج بها ، مساهمة جليلة في هذا المجال . والاكثار من هذه المبادرات من شأنه أن يحقق ، ولو على المدى البعيد ، هدفــين في آن واحد :

- التقارب والاتفاق بين فصائل الحركة الثورية العربية ... من جهة .
- المساهمة المشتركة في حل القضايا التي تواجه هذه الحركة ... من جهة ثانية .

وسيكون على حلقتنا في اطار هذا الملتقى الفكري ، أن تناقش واحداً من أهم المواضيع التي يتصدى لبحثها الملتقى .. وهي « المؤثرات الفكرية والروحية في الثورة العربية » . ولعل هذا الموضوع هو من أكثر المواضيع حاجة الى البحث والنقاش .. لا سيما في المرحلة الحالية من تطور الثورة العربية . فنحن الآن أمام منعطف تاريخي حاسم في تطور حركتنا الثورية ، وتحتاج الى اقصى الجهد لتوحيد اتجاهات هذه الحركة، وتحديد آفاقها والقاعدة الفكرية التي تستند اليها .

الا أن البحث في هذا الموضوع يتطلب بالضرورة تحليلا دقيقاً للعملية الثورية في البلدان العربية ، وفهماً عميقاً لخصائص تطور هذه العملية . ومن خلال هذا التحليل .. وفي ضوء هذا الفهم للعملية الثورية – يمكن الحكم على طبيعة التأثر والمؤثرات الفكرية والروحية في الثورة العربية .

على أن العملية الثورية في كل بلد هي وليدة عوامل عديدة متشابكة : اقتصادية– اجتماعية – سياسية – قومية – فكرية وروحية . وتحديد هذه العوامل وتحليلها يقودنا بالضرورة الى التحديد الصحيح والدقيق للمكان الذي يحتله العامل الفكري – الروحي في هذا التشابك من العوامل . لأنه من غير الطبيعي أن ننظر الى هذا العامل بمعزل عن العوامل الاخرى الاساسية المؤثرة. بل لا بد من النظر اليه بالارتباط الكامل مع العوامل الاخرى، لاسيما الاقتصادية والاجتماعية منها. فالفكر انما يستند اساساً في تكوينه الى البناء الاقتصادي – الاجتماعي . ويحدد محتواه وأشكاله مستوى التطور الذي يبلغه البناء الاقتصادي وعلاقات الانتاج السائدة في مجتمع معين .. والروابط التي تنشأ وتتطور بين المجتمعات المختلفة تحت تأثير تطور الآلة ووسائل الاتصال العلمية . ومع التغيرات التي تحصل في البناء الاقتصادي – الاجتماعي تحدث تحولات في الاشكال الفكرية .. لكن بوتائر مختلفة من حيث السرعة .

ولعل من الضروري ، قبل الاسترسال في البحث ، أن نحدد في مجال الحديث عن الثورة العربية ، طبيعة هذه الثورة .. من حيث كونها ثورة تحرر وطني معاد للاستعمار والامبريالية .. ثم من حيث كونها ، جغرافياً ، لم تكن ثورة واحدة .. برغم كل أسباب الاتصال القومية التاريخية والثقافية القائمة بين فصائلها ، لأنها عملياً تمت في بلدان جزأها

الاستعمار وفصلها بعضها عن بعض ، ثم من حيث كونها ، تاريخياً ، مرت في مراحل مختلفة : عهود الاستبداد العثماني ، فترة الانتداب ، والارتباط المباشر بالاستعمار ، وفترة ما بعد الاستقلال .

واذا بحثنا تاريخياً ، في الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي سادت المراحل المختلفة لتطور الحركة الثورية العربية .. فاننا سنجد انفسنا أمام مجموعة هامة من الوقائع لا بد من التوقف عندها قليلاً .. لنستطيع في ضوءها تحديد نوع المؤثرات الفكرية والمكان الذي تحتله في المراحل المختلفة للثورة العربية .

**أولاً** : لقد سبق للدول الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر، وفي الاستبداد الاقطاعي العثماني ان انشأت قواعد متعددة لنشاطها في اجزاء متعددة من المنطقة العربية الخاضعة للسيطرة العثمانية :

— المراكز التجارية التي قامت حول القنصليات الفرنسية والانكليزية كاستمرار للامتيازات الاجنبية .

— الارساليات الاجنبية التي ساهمت في نشر ثقافة المستعمرين بين ابناء كبار الملاك والتجار ، وفي بعض الاحيان بين ابناء فئات متوسطة بهدف تحضير بعض الكادرات الصغيرة لخدمة اعمال الوساطة والسمسرة والادارة الاجنبية فيا بعد ( الجامعة الاميركية ، والجامعة اليسوعية في بيروت بشكل خاص ).

وقد رافق هذا الوجود الاستعماري الكولونيالي، بداية تفكك في العلاقات الاقطاعية في الدولة العثمانية ، مع تطور بعض الحرف والصناعات المنزلية والتجارة البرجوازية ، مما خلق ظروفاً موضوعية ( المزاحمة الاجنبية الى جانب ردة فعل رجال الاقطاع بالاستمرار في المحافظة على امتيازاتهم ) لقيام بعض الانتفاضات الفلاحية ، كما حدث في لبنان مثلا ( عامية انطلياس ١٨٢٠ ، وعامية لحفد ١٨٢١، وثورة طانيوس شاهين عام ١٨٥٩ ) .

في حين كانت ثورة عرابي في مصر نموذجاً آخر للتناقض الذي أوجده دخول الاستعمار وعلاقاته الكولونيالية المتشابكة مع مصالح كبار الملاكين ( الباشوات ) مع التركيب الطبقي للمجتمع العصري آنذاك .

ونظراً للوقت المبكر الذي خضعت فيه الجزائر مثلا للسيطرة الفرنسية ، فقد

حاول الاستعمار الفرنسي ان يجد في الجزائر امتداداً جغرافياً – اقتصادياً لتطور العلاقات الرأسمالية داخل فرنسا فأصبحت معظم الاراضي الزراعية الخصيبة ملكاً للمستوطنين، وادخل اليها اسلوب الاستثمار الرأسمالي .

**ثانياً** : طيلة عهود الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الاولى ، تقريباً ، تطورت البلدان العربية بفعل التجزئة الاستعمارية بشكل مستقل، الواحد عن الآخر ، كمجموعة ولايات أولاً ، ثم كدول ، فيما بعد ، تحت الانتداب ، او في ظل الاستقلال . وطبع هذا التطور المستقل نسبياً بطابعه الخاص ، المرحلة التالية .

وخلال هذه الفترة، تكونت اوضاع اقتصادية واجتماعية ، تكاد تكون في بعض الاحيان شديدة الاختلاف ، حتى التناقض ، من بلد عربي الى بلد آخر . وهذا التفاوت الواضح في التطور الاقتصادي – الاجتماعي كان ، الى فترة طويلة ولا يزال ، برغم الظروف الجديدة ، حتى الآن ، احد العناصر الاساسية في التجزئة المستمرة .

**ثالثاً** : في كل بلد عربي تشابكت اشكال اقتصاد مختلفة ، كتعبير عن هذا التطوير غير المتناسق للبلدان العربية . الا ان الأشكال العامة للاقتصاد التي سادت ، في المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني ، وفي فترة الانتداب ، حتى الحرب العالمية الثانية ، كانت خليطاً من الاقتصاد الاقطاعي ذي الطابع القبلي او العسكري، والاقتصاد البرجوازي الصناعي – الحرفي الناشىء ، والتجاري بشكل خاص الذي تطور في المناطق الساحلية : سوريا ولبنان وفلسطين والمغرب العربي ، بما في ذلك مصر . وفي هذه الاثناء كانت تتطور كذلك صناعة النسيج في مصر وصناعة استخراج النفط في العراق .

**رابعاً** : هذا الوضع من التخلف الاقتصادي الذي سادت فيه العلاقات الاقطاعية وشبه الاقطاعية وبدايات أولية لعلاقات برجوازية ، لم يتغير ، بصورة جذرية ، بعد الاستقلال .

فقد تسلم السلطة السياسية ، بصورة عامة ، في البلدان التي استقلت ، تحالف من الاقطاع والفئات العليا من البرجوازية المرتبطة مصلحياً بالرأسمالية العالمية . إلا أن توازن القوى داخل هذا التحالف ، كان يختلف بين بلد وآخر . ففي مصر والعراق مثلاً كان للاقطاعيين الدور الحدد في هذا التحالف ، في حين كان وزن البرجوازية اكثر رجحاناً في سوريا . أما في لبنان فقد أدى التطور الخاص الى التمازج العضوي بين الملاكين

الاقطاعيين والبرجوازيين عملاء الرأسمال الأجنبي . وبسبب هذا التحالف في السلطة لم يكن بالامكان تحرير اقتصاد هذه البلدان من التبعية للامبريالية . فبقيت بمجملها جزءاً من الاقتصـــاد الامبريالي ، وبقيت العلاقات الاقطاعية وشبه الاقطاعية سائدة فيها . وعمل الاستعمار ، استناداً الى هذا التحالف في السلطة ، على ابقاء هذه البلدان في حالة التخلف التي أورثتها اياها السيطرة العثمانية الاقطاعية خلال مئات السنين ، وفرض عليها تطوراً اقتصادياً مشوهاً ووحيد الجانب : قطاع الخدمات في لبنان ، زراعـــة القطن في مصر والسودان ، كمحصول وحيد ، زراعة الكرمة وصناعة الخمور في بلد مسلم كالجزائر .

**خامساً** : بدأت تتكون البلدان العربية ، كدول مستقلة منفصلة بعضها عن بعض ، في وقت كانت الامبريالية العالمية قد أتمت اقتسام العالم اقتصادياً وسياسياً ، وبذلك انقطعت الامكانات الواقعية أمام نمو وتطور برجوازية مستقلة في هذه البلدان إلا في اطار علاقات التبعية للامبريالية . وحكم على الثورة العربية أن تتطور في اطار عـــام من التخلف الاقتصادي – الاجتماعي الموروث . وكان من الطبيعي جداً أن يطبع هذا المستوى من التطور الاقتصادي – الاجتماعي ، الحركة الثورية كلها بطابعه .

**سادساً** : في هذا الوضع من التخلف الاقتصادي ، لم يكن ممكناً ، بصورة واضحة ومحـــددة ، أن يكتمل الانقسام الاجتماعي ، وأن يتم الاستقطاب الطبقي وأن تتكون طبقة عاملة صناعية متطورة عددياً وتنظيمياً . ذلك لا ينفي بالطبـع ، ولادة حركة عمالية ، نقابية وسياسية ، منذ مطلع القرن الحالي ، في مصر وفلسطين ولبنان وفي بلدان عربية أخرى ، ولاسيا بتأثير نمو الحركة الثورية العالمية . وإن القليل من المؤسسات الصناعية الصغيرة والمتوسطة التي كان موجوداً قد ساعد في ايجاد تجمعات عمالية ، لم تلبث ، في الفترة التي أعقبت انتصار ثورة أكتوبر ، وبالتعاون مع مجموعات متقدمـــة من المثقفين ، ان أســست ، فضلاً عن نقاباتها ، أحزابها السياسية : الأحزاب الشيوعية في مصر وفلسطين ولبنان وسوريا ، وبعد ذلك بفترة في العراق .

واستطاعت هذه الأحزاب أن تقود نضالات عديدة ، بعضها كان ذا تأثير سياسي كبير : نضالات عمـــال النسيج في الاسكندرية ١٩١٩ – ١٩٢٤ ، ونضالات عمال التبغ ١٩٢٥ وعمال الطباعة ١٩٣٣ في لبنان ، واضراب العمال والأهالي ضـــد شركة الكهرباء ١٩٣٤ في العراق .

ومن الضروري التأكيد في هذا المجال ، على أن الأمر المهم في نشوء هذه الأحزاب ، ليس في نسبة وزنها الكمي الذي أضافته للحركة الثورية العربية بقدر ما هو في كونها طرحت فهماً جديداً ، في البلدان العربية ، للعملية التاريخية ، وأشكالاً نوعية جديدة للنضال وتنظيم الجماهير المضطهدة . ومهما كانت طبيعة تقديرنا اليوم لإقامة سوفيتات للعمال في مصر ١٩١٩ ، أو لطرح شعار حكومة عمال وفلاحين في سوريا ولبنان ١٩٢٨ ، فإن هذه الظاهرة تدل بحد ذاتها على تأثر الحركة الثورية العربية بمجرى التطور العام للحركة الثورية العالمية .

إلا أن التطور الذي حصل في تنظيم نضالات الطبقة العاملة على أساس فكري جديد ، ظل عديم التأثير في ظل هذا الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المتخلف.

**سابعاً** : ان الوضع الطبقي والعلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في مرحلة ما قبل الاستقلال ، بما في ذلك مرحلة النضال ضد الاستبداد العثماني ، فسحت المجال أمام البرجوازية أن تصوغ لوحدها ، البرنامج السياسي والفكري للحركة التحررية العربية . ولم تنعكس ، في نطاق هذا البرنامج مصالح البرجوازية العربية وحسب ، بل انعكست فيه ، بشكل أو بآخر ، مصالح هذه الدولة الاستعمارية أو تلك ، التي كانت تستند في صراعها ، بعضها مع بعض ، على هذا الجناح أو ذاك من البرجوازية العربية ، في هذا البلد العربي أو ذاك .



وبالانطلاق من هذا الواقع يمكن تفسير كثير من الأحداث السياسية والصراعات التي وقعت بين الدول العربية ، وفي داخل كل منها ، في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات .

إلا أن ذلك لم يؤثر في واقع ان البرجوازية استطاعت لفترة طويلة نسبياً ، أن تحافظ على وضعها القيادي في الحركة التحررية العربية بحكم ما تحقق ، تحت قيادتها ، من بعض المكتسبات لهذه الحركة ، بما في ذلك تحقيق الاستقلال والجلاء ، في بعض البلدان . وقد ساعد في ذلك من جهة ، استناد البرجوازية الى الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المتخلف وعدم التبلور الواضح في الوعي الطبقي لدى جماهير الطبقة العاملة ، ومن جهة ثانية ، عدم تمكن أحزاب الطبقة العاملة ، بوصفها قوة طليعية ، من صياغة برنامج يبلور المصالح المستقلة عن البرجوازية للجماهير الكادحة ويحدد اتجاه النضال وآفاقه ، ويشكل بديلاً للبرنامج الذي قدمته البرجوازية ، رغم ان هذه العملية بدأت تاريخياً بولادة هذه الأحزاب .

**ثامناً**: لقد طرحت مرحلة مابعد الاستقلال مهمات جديدة لم يستطيع برنامج البرجوازية استيعابها وتحقيقها بل اخذ يشكل حاجزاً امامها. يضاف الى ذلك انتشابك اسلوب الاستثمار الرأسمالي ببقايا العلاقات الاقطاعية في الريف، الذي لم تغيره البرجوازية، قد زاد من استغلال فقراء الفلاحين من ناحية، وشمل، من ناحية ثانية، بالإضافة الى الطبقة العاملة، فئات متزايدة من البرجوازية الصغيرة.

ولما كان برنامج البرجوازية في الفترات السابقة – أي في ظروف النضـــال ضد السيطرة الاستعمارية المباشرة – قد حرك الجماهير الواسعة، فإنه في الظروف الجديدة داخل في تناقض مع مصالح هذه الجماهير: الاقتصادية – الاجتماعية في داخل كل بلد عربي، والقومية على النطاق العربي العام لاسيما في المؤامرة الاستعمارية الصهيونية لاغتصاب جزء من الوطن العربي في فلسطين..

وقد كان هذا في أساس تقلص نفوذ البرجوازية، وفي الانفصام بينها وبين الجماهير الشعبية.. وقد اسهم في تسهيل هذه العملية الجو العالمي الملائم الذي اعقب الحرب العالمية الثانية، بنتيجة سحق الفاشستية على يد الجيش الأحمر ونشوء المعسكر الاشتراكي، والدور الذي لعبه في تطور الحركة الثورية العالميـــة ضد نظام الحكم الاستعماري والرأسمالية العالمية.



الا ان العزلة التي اصابت البرجوازية لم تخلق، في الطرف المقابل، اي في وسط الجماهير الشعبية، تكتلاً اجتماعياً وسياسياً منسجماً. وقد اتسمت هذه الفترة للأسباب الداخلية والقومية والدولية التي اشرنا اليها، بنهوض جماهيري سياسي عـــاصف: حركة لبنـــان ١٩٤٣، سورية ١٩٤٥، ومصر ١٩٤٦، والعراق ١٩٤٨ الخ..

وفي هذه الظروف نشأت او تطورت الى جانب احزاب الطبقة العامـــلة، احزاب للبرجوازية الصغيرة معادية للامبريالية ومناهضة للبرجوازية الكبرى والإقطاعية. ولدى التقييم الموضوعي لبرامج هذه الأحزاب خصوصاً في مراحل نشاطها المبكر، يتبين انها لم تستطع ان تتحرر من افكار وتأثيرات برامج الأحزاب البرجوازية التقليدية، خاصة في رفضها للنضال الطبقي، وفي فهمها للقضية القومية، بصورة غير علمية، وبوقوعها فريسة العداء للشيوعية. وهذا لايقلل بالطبع من الدور التقدمي الذي لعبته هذه الأحزاب في النضال ضد الامبريالية، كما لابد من الإشارة الى التغييرات التي حصلت في مواقفها اللاحقة باتجاه اكثر تقدماً وجذرية..

ان عملية التطور الداخلية هذه ضد البرجوازية ، قد توافقت زمنياً مع تواطؤ هذه السلطة مع المستعمرين ، لإقامة اسرائيل كياناً مصطنعاً غريباً في قلب العالم العربي ضد تطور بلدانه ووحدة شعوبها . وهذا ما سرّع في تفجير الأوضاع السياسية في المنطقة — وخاصة في الدول العربية المحيطة بفلسطين — وقيام عدة ثورات وانتفاضات في مصر والجزائر وسورية والعراق ، ونشوء عدد من الأنظمة التقدمية المعادية للامبريالية .

ورغم عوامل الضعف والتفكك والتذبذب التي رافقت هـذه التفجرات في الأوضاع السياسية ، فسرعان ما كشفت عملية التسلح من المعسكر الاشتراكي جانباً آخر من التناقض بين الشعوب العربية وبين الأمبريالية العالمية في ظروف اشتداد عدوانيتها .

فعلى أساس قضايا التطور الداخلية والنضال ضـد الرجعية ، وعلى أساس القضايا القومية العامة والنضال ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، احتدم بصورة معقدة الصراع الطبقي وشمل مختلف نواحي الحياة الاجتماعية ، وتحددت أطرافه بصورة أكثر وضوحاً .

وجاء العدوان الثلاثي على مصر ، والامتناع عن تمويل مشروع السد العالي من قبل البنك الدولي الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية ، من جهة ، والمساعدات ذات الصفة الإنتاجية — تمويل وتنفيذ بناء السد العالي ، انشاء مصفاة حمص وسد الفرات والعديد من المعامل — التي قدمها الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى ، من جهة ثانية ، جاءت هذه كلها لتغني فيما بعد حركة التحرر العربية بمضامين اجتماعية جديدة أهمها الارتباط الذي يزداد تبلوراً بين مهام التحرر الوطني ومهام بناء اقتصاد وطني مستقل في أفق بناء قاعدة مادية لمرحلة الانتقال نحو الاشتراكية .

• • •

ان هذا العرض السريع لبعض الوقائع الأساسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تطور العملية الثورية ، سيساعدنا في تحديد المؤثرات الفكرية في الثورة العربية ونوعية التأثير الذي حققته المراحل المختلفة لتطور هذه الثورة . ويمكن تقسيم هذه المراحل من حيث نوعية التأثير والمؤثرات الى ثلاث مراحل :

١ — أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي

٢ — المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية

٣ — مرحلة السنوات الخمس عشرة التي تبدأ بتأميم قناة السويس .

ففي كل مرحلة من هذه المراحل تكونت مصادر أساسية للفكر الثوري العربي تختلف عن المراحل الأخرى ، الا ان خيطاً اساسيا ظل يربط بين هذه المصادر هو الخيط نفسه الذي وصل المراحل التاريخية المختلفة بعضها ببعض وكون المحصلة الحالية لمجمل التطورات التي شهدتها حركة التحرر العربية في نصف قرن .

فن المعروف أنه في اواخر القرن التاسع عشر كان يتكامل مفهوم القومية العربية عند الفئات المتقدمة من المثقفين تحت تأثير الوحدات القومية في اوربا ومفاهيمها التي نشأت مع بدء تكون البرجوازية . وان كون الفكرة القومية في البلدان العربية قد نشأت في الفترة التاريخية التي بلغت فيها الرأسمالية مرحلة الأمبريالية ، وفي بلدان ترزح تحت السيطرة والاستثمار الأجنبيين ، جعل لها منذ البداية طابعا تقدميا لم يكن تعبيراً عن عن مصالح البرجوازية الناشئة وحسب ، بل كذلك عن مصالح الجماهير الشعبية ومطامحها للتخلص من الاضطهاد الأجنبي . وقد عبرت عن هذه المطامح والأهداف ، النوادي والجمعيات التي اسسها المثقفون والضباط العرب في اسطمبول ودمشق وبيروت وباريس والقاهرة ، وقد استمر — من حيث الاساس — هذا المضمون التقدمي المعادي للسيطرة الأجنبية في الحركة القومية ، في المراحل المختلفة لتطور هذه الحركة . وهذا ينبغي ألا يخفي المحاولات التي جرت من قبل قوى طبقة رجعية ، مدعومة من قبل قوى إستعمارية خارجية ، لتشويه هذا المضمون التقدمي واعطاء فكرة القومية العربية مضامين رجعية .

ويمكن الإشارة الى وجهتين اتخذتها الحركة القومية في البلدان العربية خلال تطورها : الوجهة الأولى اعلانها عن هويتها بصورة مباشرة وصريحة كحركة تجمع قومي قائمة على اسس إقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ( تيار عروبي ) وتمثل هذا التيار بصورة خاصة في سورية والعراق . وقد استند قادة هذا التيار إلى المبادىء والمرتكزات الفكرية التي اتت بها الثورة الفرنسية البرجوازية وحركات الوحدات الألمانية والإيطالية .

أما الوجهة الثانية ، فهي الدعوات والحركات القومية التي اتخذت طابعاً إسلامياً ( كما في الجزائر ودعوتي جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ) . وقد استند رواد هذه الحركة في دعوتهم إلى ما في الإسلام من مبادىء عامة موجهة ضد الظلم والاضطهاد والاستعباد ، وإلى التيارات الفكرية التقدمية المعروفة في الإسلام لتبرير أخذهم ببعض افكار عصرهم المتقدمة في الاقتصاد والاجتماع الخ ..

ان وجهي التطور هاتين للحركة القومية العربية ، قد تأثرتا خلال المراحل الثلاث التي أشرنا اليها ، بأربعة مصادر فكرية وسياسية أسهمت في تطوير هذه الحركة وبلورة مفاهيمها :

— الثورة الفرنسية والتيارات الفكرية التي مهدت لهـا ورافقت قيامها .

— التيارات الاشتراكية والفلسفية التي سبقت الماركسية : ســان سيمون ، برودون ، والحركة الفابية الخ ..

— ثورة اكتوبر الاشتراكية والفكر الماركسي اللينيني .

— التيارات الاشتراكية الحديثة المتأثرة بالماركسية او المنبثقة عنها ، والتيارات الأخرى المناهضة لها .

وبالنسبة للثورة الفرنسية ، فقد أصبح معروفاً أن جيل النهضة من المفكرين العرب الذين شكلوا البدايات الأولى للحركة الثورية في القرن التاسع عشر وفي مطلع القرن الحالي ، تأثروا في قسم اساسي من افكارهم التحررية بمبادىء الإخاء والحرية والمساواة التي نشرتها هـــذه الثورة البرجوازية ذات الأثر العميق في كل نهضة اوروبا الرأسمالية .

وقد دخلت افكار ومبادىء هذه الثورة ، ربما لأول مرة، بشكل جدي وواسع، مع دخول بونابرت الى مصر ، وتعمقت الى حد بعيد بواسطة البعثات الدراسية ، الى فرنسا . وتدلنا كتابات رفاعة رافع الطهطاوي في كتابه « تخليص الإبريز الى تلخيص باريز »، وفرنسيس فتح الله المراش في كتابه « غاية الحق » ، وعبد الرحمن الكواكبي في كتابه « طبـــائع الاستبداد » ، وشبلي الشميل واديب اسحق وفرح انطون ، حتى ولي الدين يكن وامين الريحاني ، ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ، في كثير مما كتبوه ، نثراً وشعراً ، على الأثر الكبير الذي احدثته هذه الأفكار عن الحرية والمساواة في نضالهم الفكري والعملي ضد استبداد السلطة العثمانية ، وحتى ضد الانتداب الانكليزي والفرنسي فيما بعد ، ولو جزئياً .

الا أنه ينبغي في مجال الحديث عن التأثير الذي احدثته التيارات الفكرية في الحركة الثورية العربية في هذه المرحلة التاريخية ، من الإشارة الى ان عصر النهضة في الحركة العربية ، الفكرية والسياسية ، كان في الوقت ذاته ، عصر النهضة في الحركة الثورية العالمية .

ففي هذه الفترة التاريخية كان « الشبح » الذي تحدث عنه ماركس والجلز في البيان الشيوعي عام ١٨٤٨، يتحول الى حركة عمالية ذات اهمية واسعة ، هي أهم نتائج الثورة الصناعية وتطور النظام البرجوازي ، واحتدام التناقضات الطبقية داخله .

ولذلك فقد كانت افكار الاشتراكية العالمية والطوباوية والفوضوية على السواء ، ونظريات داروين ومانديل من تطور الانواع ، تشارك افكار الثورة الفرنسية – بنسب مختلفة – تأثيراتها على المفكرين العرب وقادة الحركة الوطنية العربية وعلى الحركة العمالية الناشئة ، ولاسيما في اكثر البلدان العربية تقدما : مصر .

وفي هذه المرحلة التي تمتد بين الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، تواجدت ، في وقت واحد ، مؤثرات فكرية متعـددة ، تجسدت تأثيراتها في مذاهب فكرية وسياسية – جزئياً او كلياً – لعدد من المفكرين وقادة الحركة الوطنية . فإذا كان سلامة موسى واسماعيل مظهر قد تأثرا بالفـابيين وبأفكار داروين ، فإن نقولا حداد ومصطفى المنصوري وشبلي شميل وآخرين غيرهم قـد تأثروا بشكل خاص ، بالفكر الماركسي وقرأوا رأس المال وشرحوا القراء العرب النظريات الاقتصادية للاشتراكية وفضحوا إستناداً الى الأسس العلمية وقوانين التطور الاجتماعي ، النظام الرأسمالي ، كنظام نهب واستثمار .

وفي الوقت نفسه ، وإستناداً الى الحركة العمالية والتطور الذي شهدته نضالاتها خلال هذه الفترة ، وفي ضوء هذا الفهم العلمي للاشتراكية الذي كان يأخذ طريقه الى الفئات المتقدمة من المثقفين والى قـادة الحركة الوطنية – وكانوا ينشرونه كله على صفحات مجلات المؤيد والمقتطف وسواها – نشأت وتطورت حركة عمالية قامت بأولى اضراباتها في مصر أعوام ١٨٩٤ و ١٩٠٠ و ١٩٠١ و ١٩٠٢ الخ ، وفي لبنان عام ١٩١٢ وما بعد .

ومع تطور الحركة الوطنية ، واتساع وتعمق الاتصال بالفكر الثوري الأوربي ولا سيا بالفكر الماركسي – حتى ولو اقترنا بكونه ظل بحدود معينة – تكونت ، على المدى البعيد ، ظروف ملائمة لانتشار الفكر الاشتراكي في اوساط الطبقة العاملة الناشئة والمثقفين من البورجوازية الصغيرة والمتوسطة . ثم مـا لبث انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ان سرع هذه العملية . فقد الهمت قرارات ومراسيم اول حكومة اشتراكية في العالم حول الأرض ، والقوميات ، وحول حق الشعوب في تقرير مصيرها وفضح معاهدة سايكس – بيكو لاقتسام البلدان العربية بين المستعمرين ، الهبت الشعوب

العربية واعطتها زخما جديدا لحركتها الوطنية الصاعدة . وبفضل ما تكون من ظروف موضوعية ، خلال الفترة التي سبقت ثورة اكتوبر ، جرت في آن واحد تقريبا ، احداث تاريخية من نوعين يكمل احدهما الآخر : قامت عدة ثورات وطنية معادية للاستعمار في مصر والعراق وسوريا والمغرب ( ثورة الريف ) ، وتكونت بشخص الأحزاب الشيوعية التي انشئت في مصر وفلسطين ولبنان وسورية ، بدايات اولية لحركة عمالية منظمة .

وقد تميزت هذه الفترة في البلدان العربية بالأمور الأساسية التالية : وقعت معظم هذه البلدان اما تحت الانتداب أو تحت الوصاية او ربطت بمعاهدات استعبادية - حل محل الاستبداد الإقطاعي العثماني ، استعمار الدول الرأسمالية الصناعيــة المتطورة - فرنسا وانكلترا - التي ادخلت معها الى هذه البلدان الثقافة الاستعمارية كوسيلة من وسائل التحكم مع ابقاء هذه البلدان من حيث الاساس ، في تخلفها الاقتصادي والاجتماعي ، والعمل بمختلف الوسائل على منع تطورها الاقتصادي ، ولتشويه هذا التطور . وقد وضع ذلك شعوب هذه البلدان في تناقض حاد ، ما لبث ان تفجر في صراعات سياسية واجتماعية ، كانت في أساس حصول هذه البلدان على استقلالها ، واسهمت في تطوير العملية الثورية كلها ، فيما بعد في البلدان العربية ، واعطتها محتواها الاجتماعي الحالي . حصل ذلك في الوقت الذي كانت تتوطد ، غير بعيد عن البلدان العربية ، مواقع النظام الاشتراكي الجديد في روسيا ، الامر الذي عزز تأثير افكار هذه الثورة ومبادئها عند المفكرين ، وفي قلب الحركة التحررية العربية .



وقد شهدت الفترة الممتدة بين الحرب العالمية الأولى وانتصار ثورة اكتوبر ، وبين الحرب العالمية الثانية حتى الخمسينيات ، تطورا بارزا في الحركة التحررية - العربية ، لعبت فيه دورا معينا الأحزاب العمالية ، حاملة الفكر الاشتراكي العلمي . وكان هذا الدور اساسيا ، بشكل خاص ، في ادخال الوعي الاشتراكي ، ولو جزئيا ، وهذا يختلف بين بلد عربي وآخر ، في صفوف الطبقة العاملة .

وقد حصلت خلال هذه الفترة مجموعة من التفاعلات في البلدان العربية ، بتأثير عدد من العوامل الداخلية والخارجية يمكن ايراد اهمها : - تفاقم الصراع ، على النطاق العالمي ، بين الرأسمالية والاشتراكية ، والتأثيرات التي تركها على مجرى الحركة الوطنية ، في البلدان المستعمرة والتابعة ، بما في ذلك بلداننا العربية ، اشتداد التناقضات بين الدول الامبريالية المتشبثة بمواقعها وبين الشعوب الطامحة الى استقلالها ، وانهيار نظام الحكم الاستعماري وتفاقم الأزمة العامة للنظام الرأسمالي العالمي ، اضافة الى الصراع الذي لم يتوقف بين الدول

الرأسمالية ذاتها ؛ تطور التناقضات الطبقية داخل المجتمعات العربية بين طبقة عاملة نامية وفئات واسعة من البرجوازية الصغيرة في المدينة والريف ؛ تتعرض للاستثمار مثل الطبقة العاملة ، وبين تحالف الإقطاع والفئات العليا من البرجوازية ، المصرفية والتجارية على وجه الخصوص . وفي هذه المرحلة من تطور الحركة الثورية العربية التي تبدأ من حرب السويس ؛ حرب التدخل الاستعماري العسكري المباشر ، يمكن القول بوضوح أكثر أن الفكر الاشتراكي العلمي - ارتباطا بالدور المتعاظم للمعسكر الاشتراكي على النطاق العالمي - اصبح يشكل الإطار العام لتطور الفكر الثوري العربي . ان ذلك لاينفي بالطبع ، بروز تيارات في هذه الفترة ، لم تحمل من الاشتراكية غير الاسم ، في حين ان محتواها كان معاديا أساسا للاشتراكية ، كنظام فلسفي واقتصادي معاً . ولم يكن مستغربا ان يحصل هذا التشويش في الفكر الثوري العربي في هذه المرحلة التاريخية من تطور الحركة الثورية . فقد كان من الطبيعي في ظروف حركة ثورية ، غير متجانسة طبقيا ، وفي اطار معركة شديدة ذات محتوى موضوعي وعلمي ، يتجاوز حتى مطامح بعض القائمين بها ، وفي قلب هذا الصراع السياسي - الاجتماعي الذي يحتدم داخل المجتمعات العربية ، كان من الطبيعي ان تبرز مثل هذه التيارات المشوشة : اولا ، لعدم المقدرة عند البعض على استيعاب الفكر العلمي للاشتراكية . ثانيا ، لرغبة واضحة عند البعض الآخر في تشويه الفكر الاشتراكي ، بغية صرف الجماهير عن التأثر به .



وكلتا الحالتين تندرجان بهذا القدر أو ذاك ، في عملية تحريف الاشتراكية التي تتسع مع اتساع وتطور الحركة الثورية العالمية وتوطد مواقع الفكر الاشتراكي العلمي . فاذا كان أصحاب الاتجاه الاول يصرون على الطابع القومي لاشتراكيتهم تمييزاً لها عن الاشتراكية « المستوردة » من الخارج ، فان أصحاب الاتجاه الآخر يبذلون اقصى الجهد في افراغ الاشتراكية من محتواها الأساسي (القضاء على استثمار الإنسان للإنسان، وتحقيق الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج) وينكرون عليها اصرارها على الصراع الطبقي كمحرك أساسي للتطور الاجتماعي .

الا أن هاتين الحالتين تطورتا فيما بعد ، مع الانتشار الأوسع للفكر الاشتراكي العلمي ، وبفضل التطورات السياسية التي حصلت في العالم العربي والمعارك الكبرى التي جرت والمكاسب التي تحققت والهزائم التي لاتزال تعاني منها ، الى أن اصبحنا امام شكل جديد للمسألة .

لقد خرجت من قلب الحركة القومية فئات اعلنت تبنيها للاشتراكية العلمية ايمانا

منها بأن هذا هو الطريق الصحيح لمواجهة مشاكلنا المعاصرة ولتطوير حركتنا الثورية ، وهذا بحد ذاته أمر هام . إلا أن بعض هذه الفئات لم تستطع أن تتخلص من العقلية التي كانت أسيرتها . ولم تستطع أن تستوعب من الماركسية إلا أجزاء منها . في حين زعم بعض آخر ، أنه استوعب كل الماركسية اللينينية ولكنه غرق في النصوص الحرفية ، ولم يستطع أن يستفيد من الماركسية اللينينية ، كمرشد للعمل وكنهج للتفكير الثوري .

وهاتان الظاهرتان امتداد لمثيلاتها في تاريخ الحركة الثورية العالمية . وقد عالجها لينين في كتاباته على نطاق واسع . وهو يعيدهما إلى الأساس الاقتصادي في البلد المعين ، استنادا كما يقول في مقاله عن الخلافات في الحركة العمالية الأوروبية ، إلى « أن الرأسمالية لا تتطور بنفس السرعة في مختلف البلدان وفي شتى فروع الاقتصاد الوطني » . وهو يؤكد في ضوء هذا التحليل ، بأن « الماركسية إنما تستوعبها الطبقة العاملة ومفكروها على الوجه الأسهل والأسرع والأكمل والأرسخ ، في ظروف الحد الأقصى من تطور الصناعة الكبيرة . والعلاقات الاقتصادية المتأخرة - أو التي تتأخر في تطورها - تحمل أبدا على ظهور أنصار الحركة العمالية فلا يستوعبون سوى بعض جوانب الماركسية سوى بعض أقسام من المفهوم الجديد ، سوى بعض الشعارات والمطالب ، ويكونون عاجزين عن التخلص بحزم من جميع تقاليد المفاهيم البرجوازية بوجه عام ، والمفاهيم البرجوازية الديمقراطية بوجه خاص » .

وهاتان الظاهرتان - ولاسيما منهما التي تؤكد على التمسك بحرفية النصوص - تؤديان من جهة ثانية ، وبصورة غير مباشرة ، بأصحابهما إلى العزلة عن الواقع الموضوعي للبلدان العربية ، وبالتالي إلى تشويه معنى الاشتراكية من حيث كونها تتحول الآن إلى مطمح عام للجماهير ، كحل وحيد للمشاكل السياسية والاقتصادية التي تواجهها شعوب هذه البلدان .

وطبيعي أن الإصرار من قبل أعداء الاشتراكية ، على أن الاشتراكية الماركسية اللينينية لا تشكل حلا صحيحاً لمشاكلنا ، هو في الواقع الطرف الآخر لعملية منع الجماهير عن فهم واستيعاب الفكر الاشتراكي على حقيقته وصرفها عن تبني الاشتراكية العلمية كحل جذري لمشاكلها ، والاعتماد على البلدان الاشتراكية التي تشكل تجربتها ، برغم بعض الصعوبات ، المثل الذي ينبغي الاستناد إليه في نضال الجماهير من أجل التغيير الجذري وتحقيق الحلول الجذرية .

إلا أن تأكيدنا بأن الاشتراكية العلمية تشكل الإطار العام لتطور الفكر الثوري

العربي المعاصر ، لاينبغي ان يقودنا الى وقف البحث عن المؤثرات الفكرية الأخرى .
فلا لاشك فيه ان الثورة العربية تخضع في مرحلتها الراهنة لمؤثرات فكرية عديدة ، تنتقل في أكثر الأحيان بصورة ميكانيكية ، من اوربا الغربية وامريكا ، الى بلداننا العربية . ويقوم بهذه المهمة احيانا المستعمرون ومفكرو الاستعمار عن سابق تصور وتصميم ، ويقوم به ايضاً مفكرو احزاب الأممية الاشتراكية . ومهمة هؤلاء جميعاً لاتقتصر على نقل الافكار والنظريات المعادية للاشتراكية العلمية ، بل انهم يحاولون ، في احيان كثيرة نقل الافكار الاشتراكية بصورة مشوهة . ان هذه الظاهرة ليست غريبة . ففي المجتمعات الرأسمالية المتطورة تحصل الآن ، تحولات هامة في كثير من المفاهيم ، تفرضها الثورة الهائلة في التقنية ، والتغييرات السريعة نسبياً التي تحدثها في تركيب الطبقة العاملة وفي تكوين المثقفين ، والمكان الذي يحتله كل منها في الإنتاج ، والعلاقة التي تنشأ بينهما خلال عملية الإنتاج . وهذا الواقع ليس وليد عام واحد من التطور ، بل هو وليـــد فترات متواصلة متلاحقة . وقد ترك — وهو يترك الآن ايضاً بشكل واضح — تأثيره على كل الحركة الثورية في البلدان الرأسمالية ، دون ان يضع بالطبع موضع البحث طبيعة المهمة الأساسية التي تواجه الحركة الثورية في هذه البلدان للنضال في سبيل الاشتراكية.
وقد سمح هذا الوضع بولادة حركات فكرية بعضها من نتائج المعركة التي تخوضهـــا الرأسمالية المعاصرة ضد الاشتراكية ، وبعضها الآخر من نتاج النمو الجديد في الحركة الثورية في ظروف تعقد المهمات الجديدة المطروحة وصعوبة مواجهتها . فاذا كانت « الاشتراكية الشعبية » مثلاً ، وبعض النظريات الاقتصادية والاجتماعية التي وضعها بعض المفكرين البرجوازيين بديلا للاشتراكية العلمية ومفاهيمها عن المادية التاريخية ، تمثـــل الشكل الأول من هذه التيارات المعاصرة ، فان الأفكار التي بشر بها فرانز فانون مثلا واليسار الجديد ، المؤثر والمتأثر بأفكار غيفارا والتروتسكية القديمة والجديدة الخ . . تمثل الشكل الآخر من هذه التيارات ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجموعة الفوارق بين كل من هذه التيارات ، حتى من حيث طبيعتها ، والدور الذي لعبته سلبياً وايجابياً في الحركة الثورية على النطاق العالمي والعربي . وربمـا يكون من السهل الإقرار ، بدون استطراد في البحث ، بأن التيارات الفكرية المدافعة عن الرأسمالية ، لم تستطع ان تجد بصورة مباشرة وواضحة جواً مواتياً لتقبلها في قلب الحركة الثورية العربية في الوقت الحاضر ، علماً بأن بين هذه الحركة ميل الى الإصلاحية في فهمه للاشتراكية . فهو يدعو الى أولوية نظريات النضال القومي على النضال الاجتماعي بشكل مصطنع كما لو ان من الممكن الفصل بين هذين الوجهين للنضال العربي المعاصر ، وهو يدعو كذلك الى اتباع سياسة

التوازن بين المعسكرات ، على النطاق الدولي ، في محاولة لعدم قطع الجسور مع الدول الرأسمالية ووضع البلدان الاشتراكية على نفس المستوى مع الدول الأمبريالية .

الا ان التأكيد على تقهقر مواقع الفكر اليميني في قلب الحركة الثورية العربية في المرحلة الراهنة لاينفي وجود مواقع له حتى الآن ، وانه لايزال قادراً على التأثير في قسم من الجماهير استناداً ، الى الطابع القومي الذي يتخذه الصراع السياسي الحالي في البلدان العربية ، وبصورة خاصة في المعركة مع اسرائيل . وتلعب في ذلك بعض الدور مواقف اوساط من رجال الدين ومنظمات ديليةرجعية كـ«الإخوان المسلمون» في استنفار جماهير المؤمنين ضد الفكر الاشتراكي . ولكن طابع المعركة القومي هذا نفسه من حيث هي معركة ضد اسرائيل والصهيونية العالمية ، والامبريالية التي تساندهـا ، والرجعية العربية التي تشكل بمواقفها العملية حليفها الموضوعي ، هو الذي يؤدي تدريجياً الى المزيد من عزل الفكر اليميني . فمع اشتداد هذا الصراع ، ومع اتساع نطاق المعارك التي تجري في اطاره ، يزداد الوضوح الفكري والسياسي في صفوف القوى الطبقية التي تتشكل منها الحركة الثورية العربية المعاصرة ، ويتبلور المحتوى الطبقي للمعارك التي تخوضها . وتؤكد عملية الفرز التي نشهدها - مثلا - في صفوف حركة المقاومة الفلسطينية ، منذ عامين ، هذه الحقيقة . فإن تعقد الظروف واتساع وتفاقم المعارك ، مايتفك يبين لقادة المنظمات الفلسطينية بما في ذلك القوى اليمينية منها ، وأن طابع المعركة ليس قومياً صرفاً ، بل هو في اساسه طبقي ، وهو جزء من الصراع الطبقي الذي يجري على النطاق العالمي بين الرأسمالية والاشتراكية . وان من غير الجائز سياسياً ومن غير الممكن ، عملياً ، الفصل المصطنع - كما تجري بعض المحاولات - بين الحركة الثورية العربية ، والحركة الثورية العالمية بفصيلتها الطليعية المعسكر الاشتراكي وقوته الرئيسية الاتحاد السوفياتي .

وبقدر ماتتعمق عملية الفرز هذه التي تشمل كل الحركة الثورية العربية ، تزول عقبات جديدة من طريق وحدة عمل فصائل هذه الحركة . ذلك ان سيادة مفاهيم غير علمية ، لاتولد خلافات بين الفصائل الثورية في النطاق الايديولوجي فقط ، بل تصبح أساساً لخلافات سياسية تبرز اثناء النضال .

واذا كانت الأحداث قد بينت إمكانيات عزل الاتجاهات اليمينية المكشوفة - سواء منها المعارضة للتحولات الاجتماعية ولتطورها أو المعادية للديمقراطية ام الانهزامية التي تعيد اسباب النكسات في الحركة الثورية العربية الى التكوين الطبيعي للإنسان العربي

— فان الاتجاهات الانتقائية المترددة لاتزال تمارس دوراً كابحاً في تطور الحركة الثورية ، وهذا الدور لايعود بالضرورة الى وعي مسبق يهدف كبح تطور الحركة . لأن الانتقائية في جوهرها ، لايمكن ان تكون نظاماً فكرياً منسجماً ، وبالتالي لايمكن ان تكون اداة لتغيير وتحليل الواقع واستشراف ابعاد المستقبل بصورة صحيحة . اي انها لاتقدم اساساً لوضع تكتيك يؤدي الى استراتيجية محددة وواضحة . وهذا بالذات يعود الى الأساس الطبقي البرجوازي الصغير للفئات التي تتبنى هذه الأفكار الانتقائية .

ان هذه الاتجاهات قد قابلها في الطرف الآخر بروز تيارات يسارية مختلفة . وقد كان انبثاق هذه التيارات نتيجة طبيعية لنضوج وتعقد العملية الثورية ، سواء في النضال ضد الأعداء الخارجيين – بالأمبريالية والصهيونية – او في النضال ضد الأعداء الطبقيين داخل البلدان العربية ، بالطبقات المرتبطة بالاحتكارات العالمية والاستعمار الجديد . وهذه التيارات تشكل في أحد وجوهها رد فعل على الاتجاهات اليمينية المكشوفة ، وعلى قصور الاتجاهات الإصلاحية في المواجهة الفعالة للمهات المطروحة والأحداث والمعارك الجارية . كما انها تشكل ايضاً احد مظاهر رد الفعل على الهزيمة الكبرى التي منيت بها الحركة الثورية العربية في الخامس من حزيران ، وقد كانت التيارات اليسارية المتطرفة في اوربا خصوصاً مصدر اقتباس ووقود لها .

ومن الطبيعي في هذا المجال ألا نلقي احكاماً مطلقة سلباً او ايجاباً ، على جميع انصار هذه التيارات . ولكن لدى التقييم الموضوعي لهذه التيارات ، لايمكن إلا القول بوضوح بأنها تحمل اضراراً جدية للحركة الثورية لأنها ، بصورة عامة ، لا تأخذ بالحسبان الدقيق الواقع الموضوعي الاقتصادي والسياسي ونسبة القوى الطبقية السياسية الداخلية ولا ظروف الوضع الدولي . وازاء صعوبة وتعقد ظروف النضال والمهات التي تطرحها المرحلة في تطورها ، فإن مواقف بعض اصحاب هذه التيارات المتطرفة ، تقفز خارج الإطار الواقعي للحركة الثورية ، باتجاه الهروب الى الأمام ، استناداً الى شعارات وعبارات ثورية من حيث الشكل ولا تقدم اي حل عملي للقضايا المطروحة . وهذه الظاهرة ليست جديدة في تاريخ الحركة الثورية العلمية . فقد سبق للينين ان كشف امثال هذه التيارات في مقالات عديدة . وهو يقول في مقاله عن بعض خصائص تطور الماركسية التاريخي : « وبالضبط لأن الماركسية ليست مذهباً جامداً ميتاً ، مذهباً منتهياً ، جاهزاً ، ثابتاً لا يتغير ، بل مرشد حي للعمل ، كان لابد لها ان تعكس التغيير الفريد السرعة في ظروف الحياة الاجتماعية . فقد أدى هذا التغير الى تفسخ عميق ، الى البلبلة ، الى تقلبات متنوعة ، وبكلمة ، الى ازمة داخلية خطيرة في الماركسية . ولهذا توضع من

جديد في جدول الأعمال مهمة القيام بعمل جازم ضد هذا التفسخ ، ومهمة القيام بنضال شديد عنيد دفاعاً عن اسس الماركسية . ذلك ان اوسع الفئـــات من الطبقات التي لم تستطع اجتناب الماركسية ، عند صياغة مهامها ، كانت قد استوعبت الماركسية في المرحلة السابقة بأكثر الأشكال تشويها وجوداً . فقد حفظت هذه « الشعارات » او تلك هـــذه الأجوبة او تلك على المسائل التكتيكية ، دون ان تفهم المقاييس الماركسية لهذه الأجوبة ...

ويضيف لينين بأن « ترديد شعارات محفوظة عن ظهر قلب ، ولكن دون فهم ودون تأمل ، أدى الى انتشار ضرب من التعابير الجوفاء على نطاق واسع . وهذه التعابير انتهت « الى ميول برجوازية صغيرة مناقضة للماركسية بصورة جذرية ... »

ان جميع هذه التيارات الفكرية على اختلافها ، التي حفلت وتحفل بهـــا الحركة الثورية العربية ، في مرحلتها الراهنة ، قد طبعت هذه الحركة بطابع خاص . فاذا كانت الحركة الثورية العربية ، قد بلغت مستوى عالياً من التطور ، اي مستوى عاليـا من المجابهة مع الامبريالية والصهيونية والرجعية — وهو ما تعمقه المعركة الحالية حول قضية فلسطين ولا سيا بعد العدوان الاسرائيلي الامبريالي في الخامس من حزيران ١٩٦٧ — فانها لم تمهد بشكل مدروس وثابت ومنظم الوضع السياسي الداخلي ، وخاصة في ميدان التعبئة السياسية المركزة والتنظيم السياسي المركز ، اي في توسيع صفوف الأحزاب الثورية وتحقيق صيغ واشكال من التعاون فيا بينها . وهذا ما يمكن ان نشير اليـه في القول بأن المادية الضاغطة للحركة الشعبية في العالم العربي كانت كبيرة الى درجة تمكنت معها من تحقيق انتصارات كبرى ، حتى قبل ان يتبلور وعيها العام بصورة كافية وقبل ان تخلق الاشكال التنظيمية الجديدة المحددة لتركيز قواها والافادة منهـــا . فرغم وجود نوع من الاستقطاب الفكري والتنظيمي العام للجماهير باتجاه الالتفاف حول بعض الزعامات او الأحزاب او الأنظمة ، فقد ظل هذا الاستقطاب والالتفاف عاطفياً ، من حيث الأساس . ويمكن القول استناداً الى ذلك بان العفوية كانت ولا تزال احدى نقاط الضعف في الحركة التحررية العربية . ومع التطور السريع للاحداث واتخـــاذ المعركة مع اسرائيل والامبريالية طابعها الحاد الحالي ، اخذت تبرز بشكل جدي مخاطر استمرار هذه العفوية في الحركة الثورية العربية .

ذلك أن هذا النوع من المعركة الذي تستخدم فيه جميع أشكال النضال ، بما في ذلك النضال المسلح ، يتطلب نوعاً جديداً من المواجهة ، ايديولوجياً وتنظيمياً . وهذا الامر لا يمكن ان يتحقق لمجرد الرغبة في تحقيقه . انه مرتبط كامل الارتباط بالقوى الطبقية

والسياسية التي تلعب الدور المحدد في هذه المعركة . وقد دفعت الأحداث خلال السنوات الخمس عشرة الماضية، ولاسيا في العامين اللذين اعقبا هزيمة الخامس من حزيران ، الى المقدمة القوى الاجتماعية ذات المصلحة في تجذير النضال وفي السير به الى نهاياته . وتصبح الطبقة العاملة وحلفاؤها من جماهير الكادحين في المدينة والريف ، من الناحية الموضوعية والعلمية، اكثر القوى الاجتماعية قدرة على قيادة العملية الثورية واكثرها قرباً من تحقيق هذه المهمة ، وتؤكد ذلك ، على الدوام ، وتزيده تعميقاً المهمات التي تطرحها الحركة الثورية في المرحلة الراهنة ، واطراف الصراع التي تزداد وضوحاً ، على النطاق العربي العام وداخل كل بلد عربي ، وعلى النطاق العالمي . فإن هذه المهمات ليست مهمات عادية في ظروف عادية لحركة ثورية عادية . لأن ما يجري في قلب العالم العربي اليوم ، ومنذ فترة ، يشكل احد النماذج الرئيسية الجديدة لصراعات هذه المرحلة من التطور التاريخي على طريق انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية . انه شكل من اشكال النضال العالمي الذي تعتبر حرب الفيتنام أحد الأمثلة النموذجية لافي مجال تعميم التجربة ـ رغم ان ذلك ليس خارج البحث ـ بل في تحديد شكل من اشكال الصراع العالمي وفي تحديد نوعه . ان هذا الواقع يقودنا الى تأكيد آخر ، وهو ما أشرنا اليه في سياق البحث من أن طبيعة هذه المرحلة من تطور الحركة الثورية والمهمات التي تطرحها ، تجعل ارتباطها الأفقي بالحركة الثورية ، فكرياً وسياسياً أعمق من أي وقت مضى ، لا من الناحية الموضوعية وحسب ، بل من الناحية العملية كذلك .

وفي هذا المجال لابد من الاقرار بأن الأحزاب الشيوعية، أياً كان تقييم الوزن الذي احتلته وتحتله في قلب الحركة الثورية العربية ، وأياً كان الدور الذي لعبته وتلعبه في تنظيم هذه الحركة وفي توجيهها وفي قيادة المعارك التي تخوضها ، قد وضعت الأساس المتين للتحويلات الأساسية المقبلة في الحركة الثورية العربية :

ـ في شكل التنظيم الذي بدأت تمارسه بعد تكونها ، في اعقـاب انتصار ثورة اكتوبر ، على أساس التجربة الغنية للبولشفية ـ في توجيهها نحو الطبقة العاملة أساساً والجماهير الكادحة بشكل عام، وتحقيق الاستقلال التام للطبقة العاملة عن البرجوازية ، وادخال الوعي الطبقي الى صفوفها وتنظيم نضالاتها .

ـ في نشرها للفكر الاشتراكي العلمي ، الماركسية ـ اللينية ، في صفوف الطبقة العاملة وبين الجماهير الكادحة .

– في الربط الأعمى الذي اكدت عليه ، وتمثل بها ، بين الحركة الثورية العربية والحركة الثورية العالمية .

ان كل ذلك يدفعنا الى الاستنتاج الذي يفرض نفسه ، وهو انه اذا كانت الاشتراكية قد شكلت الإطار العام لتطور الثوري العربي في المرحلة الأخيرة من تطور الحركة الثورية العربية ، فإن المرحلة القادمة من تطور هذه الحركة ستفرض في ضوء المهمات المطروحة ، الاشتراكية العلمية ، الماركسية - اللينينية ، نظرية ثورية وحيدة لهـــذه الحركة . وفي هذا المستوى من الرؤية تطرح ، أمام القوى الثورية الحقيقية ، بمهمة إيجاد الصيغ الملائمة لوحدة عملها من أجل رؤيا افضل لاستراتيجية وتكتيك الحركة الثورية وإيجاد شكل افضل لتنظيم الجماهير في مختلف المجالات على اختلاف اشكالها .

# المناقشات

خلاصة مكثفة

اشترك في مناقشات الموضوع الثاني كل من السادة :

- مبتدر النقاش : عثمان سيد أحمد ( السودان )
- عبد الله الريماوي : ( الأردن )
- جمال العطيفي : ( ج . ع . م )
- عزيز السيد قاسم : ( العراق )
- نايف حواتمة : ( فلسطين )
- أبو سيف يوسف : ( ج . ع . م )
- محمد ابراهيم نقد : ( السودان )



عثمان سيد أحمد ( السودان ) :

إن موضوع المرتكزات العسكرية والروحية للثورة العربية يفرض علينا إعادة طرح أسئلة أساسية هي :

ـ ماهية الثورة العربيـــة ؟ من هم الثوار العرب ؟ تحت أية شعارات يخوض الشعب العربي هذه الثورة ؟ وكيف تنعكس هـــذه الثورة في نفسية الشعب العربي ؟

انني أرى أننا مازلنا أسرى الفكر العربي ، ومـا زلنا نقولب لغتنا في قوالب غربيـة . ونطرح المشكلات من زاوية غربية . ولا بد من أن نتحرر من هذا .

عبد الله الريماوي ( الأردن ) :

لابد لكل عمل ثوري من نظرية ثورية . والنظرية الثورية هي شيء آخر غير الاستراتيجية الثورية . ان النظرية الثورية ايضاً هي غير الأهداف ، لأن الأهداف تصاغ على هدي النظرية ، كما أن النظرية الثورية هي شيء آخر غير المنابع الثورية .

إن أول نقطة في مجال البحث في النظرية الثورية هو موقف التركيز على أن النظرية الثورية لابد وأن تكون نظرية قوميـــة . انها موقف أساسي من ثلاث مسائل :

- الانسان
- المجتمع
- حركة التاريخ أو منطق التاريخ

ومن هذا الموقف الأساسي تنبع أربعة مواقف :

- مسألة القومية بأبعادها ، والنزوع القومي ، أي نزوع الأمة الواحدة الى إقامة دولتها الواحدة .
- مسألة الاشتراكية والصراع الطبقي .
- مسألة الديمقراطية وما يرتبط بها من مفهوم للدولة وطبيعتها .
- مسألة العقلانية العلمية في مواجهة اللاعقلانية واللاعلمية .

وانطلاقاً من ذلك يمكن ان نبحث أهداف النظرية الثورية . على أن هناك سمات للنظرية الثورية هي : سمة شمول الانسان إذ ينبغي للنظرية ان تكون ذات تحول انساني ، وأن يصار الى تحديدها في مستوى الزمان والمكان والمستوى القومي وروح العصر . إن منابع النظرية هي التجربة الانسانية عبر الزمان والمكان .

د . جمال عطيفي ( ج ع م ) :

أكد على خمس نقاط :

١ – يجب ان نعمل على تنقية الأفكار الاشتراكية المؤثرة على الثورة العربية من المفاهيم الليبرالية التي لاتزال تسيطر على الفكر السياسي العربي . إن بعض المتحمسين العرب للاشتراكية العلمية مازالوا يهيمون في الليبرالية الفردية . إن في ذلك انحرافاً لمسيرة الثورة الاشتراكية يجب الالتزام بالشرعية الاشتراكية .

٢ – ينبغي تنقية الاشتراكية العلمية من الأفكار الخارجة عنها ، كالربط مثلاً بين الاشتراكية وبين القيم العربية والإسلامية الروحية بصفة عامة . مثل هذا الربط يهدف الى اقامة بديل للاشتراكية .

٣ – الاشتراكية العلمية تسلم أن لكل بلد طريقـاً خاصة بها لبلوغ الاشتراكية . حتى في الوطن العربي، يمكن التحدث عن طريق للاشتراكية يختلف عن طريق بلد عربي آخر .

٤ – إن تبني الفكر الاشتراكي العلمي يتطلب تفهم الدور الذي يمكن أن يؤديه الدين في المجتمع العربي . لأن إدخال هذه الحقيقة يعزل الجماهير عن الحركة الاشتراكية .

٥ – إن الاعتماد على الدين كسلاح لتدعيم الفكر الاشتراكي يجب ان يقترن بكشف للمؤسسات الدينية والرجعية .

عزيز السيد جاسم ( العراق ) :

. إن الأحزاب التقدمية العربية ، كحزب البعث العربي الاشتراكي والاتحاد الاشتراكي وجبهة التحرير الجزائرية ، قد تبنت الاشتراكية العلمية . والموقف الايجابي الذي تقفه الأحزاب ازاء الدين الاسلامي، هو موقف علمي تقتضيه واقعية

الوجود الضخم للدين الاسلامي وارتباطه بالقومية والتاريخ العربيين . على أنه ينبغي التفريق بين الدين في جوهره،وبين المحاولات الرامية لاستغلاله سياسياً .

ثم تحدث عن شروط قيام المجتمع الاشتراكي . وعلى رأسها شرط توفر الحزب الثوري الطليعي ، وأن اليسار العالمي قد أصبح أحد مرتكزات الثورة العربية ؛ أي أن هذه الثورة ، هي حلقة من حلقات اليسار العالمي . إلا أن للثورة العربية خصائصها القومية وينبغي ألا نهملها . إن علينا أن نفيد من الإجراءات التطبيقية التي تمت في المعسكر الاشتراكي العالمي . علينـــا أن نفيد من خبرات الآخرين . ان من اكبر الأضرار التي تؤذي التطور الاشتراكي العربي مسايرة الإقطاع والبورجوازية ، وعدم تطبيق مبدأ الصــراع الطبقي بشكل كامل ، والتهرب من توجيه الاقتصاد باتجاه انهاء الاستغلال ، وكذلك التهرب من التصنيع الثقيـل .

**نايف حواتمة ( فلسطين ) :**

إن تحديد طبيعة المرتكزات الفكرية والروحية السائدة في حركة التحرر الوطني ، هو كيفية حل هذه الحركة لقضية الدولة والثورة . ذلك أن هذه القضية هي الحلقة الرئيسية التي تمكن الجماهير من انجاز مهمات الثورة الديمقراطية الوطنية .

ان الإقطاع والبورجوازية الكبيرة ، بل والبورجوازية الصغيرة ، لم تستطع انجاز مهمات هذه الثورة ، ولذلك فإن هذه المهمة تقع على عاتق الفلاحين والعمال .

**أبو سيف يوسف ( ج . ع . م ) :**

هناك ثلاثة أنواع من المؤثرات في الواقع الراهن للثورة العربية :

ــ القيم الدينية والروحية، ويمكن اعتبارها قاسماً مشتركاً بين الاشتراكية

والدين ، خاصة وأن الأسلام كدين يتضمن جملة تعاليم وقيم تحارب الاستعمار والاستغلال والعنصرية .

– القيم الثقافية القومية ، وفي هذا المجال ماتزال الجهود التي تبذل لنسج هذه القيم في حياتنا المعاصرة ضعيفة للغاية .

– القيم الثقافية الإنسانية . ويقول خصوم الماركسية : إن هذه القيم هي أفكار مستوردة . وفي ذلك خطأ كبير يسيء الى العرب الذين كانوا من أحسن من نقلوا في الماضي عن اليونان وأوروبا .

على أنه يجب التميز بدقة بين الماركسية ،بوصفها من أكثر المفاهيم علمية ، وبين الإتجاه الرامي الى تطبيقها تطبيقاً حرفياً .

**محمد ابراهيم نقد ( السودان ) :**

أكد على فكرة المنهج في دراسة التراث القومي والمرتكزات الروحية وأشار الى أهمية ربط الأقطار الاشتراكية العلمية بالعناصر العامة التي يتضمنها التراث العربي .

وهذه العناصر يمكن أن تحرك الجماهير في طريق الكفاح من أجل الحرية والعدالة والاشتراكية . ويكون من نتيجة ذلك أن يرتبط الكفاح الحاضر بقيم الماضي . أو ترتبط قيم الماضي التي يؤمن بها المجتمع بقيم الحاضر . ومثل هذا المسعى يؤدي الى عزل القوى الرجعية عن استغلال القيم الروحية استغلالاً سيئاً . وأهم ماينبغي الانتباه اليه ، هو أن ينطلق المثقفون العرب من واقع أن الثورة الوطنية هي شرط يفتح الطريق أمام بناء الاشتراكية .

# القسم الثالث

## الهيكل الاقتصادي للثورة العربية

### البحوث

- اسماعيل صبري عبد الله (ج . ع . م)
- محمد المكاوي مصطفى ( السودان )
- الشيخ عبد الله الطريقي ( السعودية )

# المناقشات

- أحمد بهاء الدين (ج.ع.م)
- عبد الرزاق حسن (ج.ع.م)
- انطون مقدسي (ج.ع.س)
- جمال العطيفي (ج.ع.م)
- عزيز السيد جاسم ( العراق )
- محمد الميلي ( الجزائر )
- ناصر السيد ( السودان )
- عبد الله الريماوي ( الأردن )
- عبد الهادي ناصف (ج.ع.م)

# الهيكل الاقتصادي للثورة العربية

بحث : د. اسماعيل صبري عبد الله



لعل أكبر مكتسبات النضال الثوري في العصر الحديث هو الإدراك العميق لأهمية العوامل الاقتصادية . فكرامة الانسان ، وهي الغاية الأصيلة لكفاحه التاريخي ، لا تتأكد إلا إذا تحرر من العوز والاستغلال وانفتحت أمامه أبواب الثقافة والفكر ، بحيث يحدد بإرادته الواعية ومعرفته الدقيقة بالإمكانات والعقبات ، في يومه شكل غده . ويمكن في غير عناء أن تجتمع كلمة المشاركين في هذا الملتقى ، وغيرهم من الثوريين العرب ، على أن الثورة العربية هي جوهرياً حركة تحرر من السيطرة الاستعمارية ونضال من أجل التقدم الاجتماعي والوحدة القومية . وتلك الأهداف الثلاثة لابد أن ترتكز على ركيزة اقتصادية تكون الأساس المتين الذي يرتفع فوقه صرح الدور الحضاري للعرب في عالم اليوم .

أولاً، الهدف : التنمية الشاملة :

١ ـ التنمية الشاملة : اننا في هذا الجمع لن نختلف على أننا لن نحقق للأمة العربية وضعها الكريم في صفوف البشرية بالتغني بتاريخها وذكر اسهامها الماضي في الحضارة البشرية أو بترديد الحديث عن صفاتها القومية . وهنا يجب أن نسلم بأننا تخلفنا عن ركب البشرية عدة قرون . وعلينا أن نصفي هذا التخلف بأسرع ما يمكن. وبعبارة أخرى، علينا أن نحقق تنمية شاملة ، أي تطويراً شاملاً لكل مظاهر الحياة العربية : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية . ان الصدام بيننا وبين العدو الصهيوني الأمبريالي لن يكون في كل لحظة من لحظاته صداماً عسكرياً خالصاً ، بل إنه صدام حضاري بأوسع معاني الكلمة . ونحن نجتمع اليوم ، واسرائيل تحتل اجزاء غالية من بلادنا ، فضلاً عن جريمتها الأولى . وهي تتباهى بما يمكن أن نسميه « عقدة التفوق الأوروبي » ، وتغذي مطامع لا حد لها في التوسع الإقليمي ثم في السيطرة الاقتصادية . انها تطمع في بسط نفوذها الاقتصادي على المنطقة العربية لأنها تؤمن بعجزنا عن استغلال مواردنا بأنفسنا لتخلفنا العلمي والتكنولوجي . وأملها في الأسواق العربية قائم على الاقتناع بقصور الصناعة العربية عن تغطية تلك الأسواق . ومكانة اسرائيل في كثير من الاوساط المثقفة في العالم ترجع الى دور العلماء والأدباء والفنانين الإسرائيليين في كل مظاهر الحياة الفكرية والعالمية . ونفوذ اسرائيل في عدد كبير من البلدان الأفريقية لا يرجع في الأساس الى « المال والجنس » ، كما كتب في بعض الصحف العربية احياناً ، وإنما يرجع قبل كل شيء الى قدرة اسرائيل على أن تقدم لتلك البلدان خبراء في مستوى عالمي يتميزون بالفعالية والجدية ، ومشروعات

مدروسة على أسس علمية . ويجب ألا نخدع أنفسنا عن شيء من ذلك كله . بل إن الصدام العسكري ذاته أصبح في عصرنا هذا يعتمد الى حد كبير على أوجه تقدم المجتمع . فالأسلحة الحديثة معقدة يقتضي استعمالهـا مستوى حضارياً معيناً . وانتاجها وصيانتها واصلاحها تفترض تقدماً صناعياً ملموساً . والتعبئة القومية المنشودة في حرب مصيرية تحد منها مظاهر التخلف المتمثلة في التواكل وعدم الانضباط وعدم التقدير الدقيق لقيمة الوقت .. الخ . ان التنمية بمعناها الواسع، هي البنيان الشامخ الذي يمكن أن يصمد لهجمات الاستعمار والصهيونية ، ثم يدحرها ويصفي قواعد العدوان تصفية حاسمة وقاطعة . لذلك فإن تلك التنمية هدف أساسي من أهداف نضالنا ، بل انها الهدف الذي تتجمع عنده وتفضي اليه الأهداف الأخرى .

٢ — وحجر الأساس في التنمية الشاملة هو بلا شك **التنمية الاقتصادية** . ونشر التعليم ، والرعاية الصحية ، وتوفير المسكن ، وتطوير البحث العلمي ، تبقى أحلاماً بعيدة المنال ما دام الشعب لا يملك الوسائل المادية لتوفيرها . فالزيادة المضطردة في الانتاج بمعدلات عالية هي وحدها التي تضمن اضطراد الزيادة في الدخل القومي وارتفاع مستوى المعيشة وتوفير الامكانية الموضوعية لانطلاقة حضارية تمكن العرب من تصفية مخلفات قرون من القهر والتخلف . ولابد أن ننبه في هذا المقام الى خطر الخلط بين الغنى والنمو الاقتصادي . فارتفاع متوسط الدخل القومي ليس دليلاً مطلقاً على التنمية الاقتصادية . فمن المعروف مثلاً ان هذا المتوسط أعلى في أبي ظبي منه في الولايات المتحدة الامريكية ، بأي طريقة كان حساب الدخل القومي . ولا يزعم أحد أن الإمارة العربية الصغيرة أكثر تقدماً من امريكا . وحتى لو تم توزيع الدخل القومي بطريقة تسمح بارتفاع

حقيقي في مستوى الجماهير الشعبية ، فإن هذا لا يعني أن هناك تنمية اقتصادية . وحين يعد بلد معين نفسه غنياً لأنه يحصل على عوائد عالية مقابل تسليم ثروة طبيعية مثل البترول للاحتكارات العالمية ، فإنه ، بالرغم من ارتفاع مستوى المعيشة ، لا يحقق التنمية الشاملة بمعناها الحضاري الواسع . فالجزء الأعظم مما يحصل عليه من عائدات يعود مرة أخرى الى الدول الاستعمارية في شكل ودائع في بنوكها أو مدفوعات، مقابل ما يشترى منها من سلع الاستهلاك . وتكفي نظرة واحدة الى ايران التي تحصل على عائدات البترول منذ قرابة نصف قرن لنقتنع بأنه كان أداة لاخضاع الشعب الايراني للأمبريالية بدل أن يكون سبيلاً للتحرر . وكان للسلطة الرجعية والقوى المحافظة في المجتمع بدل أن يكون طريقاً للتقدم الاجتماعي. هذا فضلا عن أن مصدر الثروة في مثل هذه الحالات مهدداً بعوامل شتى : نضوب الآبار ، انخفاض سعر البترول بشكل حاد على أثر اكتشاف حقول بترول وغاز طبيعي متعددة وغنية ( مثل حقول سيبريا والاسكا وجنوب شرق استراليا ) . أو نتيجة للتوسع في استخدام مصدر جديد للطاقة مثل الذرة . ولاشك أن الرواج يكون أوهن إذا كان مصدره قطاع الخدمات المالية والتجارية والسياحية لأن عوامله تكمن عندئذ في الخارج، ولا ترتكز الى تطور حقيقي في الاقتصاد القومي .

٣ - ولذلك فان جوهر **التنمية الاقتصادية هو التصنيع وتطوير الزراعة** . فالاقتصاديون الجادون لا يقيسون درجة النمو بمتوسط دخل الفرد ، وإنما يفضلون قياسها بمتوسط استهلاك الفرد من الصلب ومن الكهرباء .

فالصلب ومنتجاته من أهم مستلزمات الإنتاج في عدد من الصناعات ، بما في ذلك صناعة الآلات الزراعية . ومن ثم كانت الزيادة في استهلاك الصلب دليلاً قاطعاً على تقدم التصنيع وامكان تطوير الزراعة . والكهرباء مصدر للطاقة

متعدد الاستخدامات في الصناعة والزراعة والنقل والمواصلات ، فضلاً عن دوره في قطاع الخدمات ( الإنارة والأدوات الطبية ، السينما ، الإذاعة ، التلفزيون .. الخ . ) . وجـــدير بالذكر هنا هو ان التصنيع محرك لنمو اقتصادي شامل . فالمصانع هي التي تنتج الآلات والأسمدة والمبيدات الحشرية التي لا بد منها لتطوير الزراعة . وهي التي تنتج وسائل النقل الحديثة . وهي كذلك التي توفر الآلات لتطوير أعمال التشييد أو لتيسير تقديم الخدمات . بل انها لا بد أن تصطحب بتنمية اجتماعية وثقافية . فهي تحتاج الى المهندسين والمحاسبين والاقتصاديين ورجال الإدارة والعمال الفنيين . ومن ثم فإن انتشار الصناعة لا بد ان يواكبه تقدم في التعليم كماً وكيفاً . كما ان المجتمع الصناعي يمتاز بازدهار عادات وقيم اجتماعية متقدمة ( مثل تقدير قيمة الوقت ، الانضباط ، السعي وراء التقدم ، والترحيب بكل ما هو مستحدث ... ) وذلك بخلاف مجتمع الرعي أو الزراعة التقليدية . وأخيراً فإن عمل الإنسان في الصناعة يحقق انتاجية أعلى بكثير من عمله في غيرها من ضروب الانتاج . ولذلك فإن التصنيع يؤدي الى ارتفاع كبير من الناتج القومي يمكّن المجتمع من الانفاق عن سعة في مجالات الرعاية الطبية والتأمين الاجتماعي والتعليم والثقافة والبحث العلمي وهكذا نصل الى المقياس الأخير للتقدم ،وهو مستوى المعيشة الفعلي للمواطن في جوانبه المادية والثقافية والروحية .

ثانياً ، الشرط : التحرر من السيطرة الاستعمارية :

١ - ومن العبث الحديث عن التنمية قبل التحرر من الاستعمار . فالتحرر من السيطرة الاستعمارية بكافة أشكالها هو الشرط الأساسي لإمكان التنمية . والتناقض بين الاستعمار والتنمية الشاملة تناقض أصيل وكامل لا يقبل انصاف

الحلول . ودون أن نطيل في حديث اقتصادي في ليس هنا مقامه ، يهمنا أن نبرز السبب العميق وظاهرة التخلف . واذا تجاوزنا جانب التفسيرات الاستعمارية التي ترجع التخلف لأسباب عنصرية ( قصور قدرات غير الأوروبيين ) ، أو دينية ( كالزعم بأن الإسلام يدعو للتواكل ) ، أو جغرافية ( كالقول بأن الحر يورث الكسل ) لا يبقى أمامنا الا تفسير علمي واحد محوره مفهوم الفائض الاقتصادي . وفي ايجاز نقول إن كل مجتمع ينتج في العادة أكثر مما هو ضروري للمحافظة على كيانه ، ويطلق اسم « الفائض الاقتصادي » على ذلك الجزء من الناتج القومي الذي يزيد عن حاجة المجتمع الضرورية . فإذا استخدم هذا الفائض كله ، أو جله، في زيادة الإنتاج استمر التقدم ،وإذا تبدد الفائض في أغراض غــير انتاجية ساد الركود مظاهر الحياة الاقتصادية . وبتوالي سنوات الركود تتكون ظاهرة التخلف . وفي البلاد التي خضعت للاستعمار كان الفائض الاقتصادي يؤول الى المستعمر ( الذي يصدره الى بلاده ابتزيد من معدلات نموها ) والى شيوخ القبائل وكبار الملاك الإقطاعيين وجهاز السلطة الذي يخدم تلك الأوضاع ( وهؤلاء يبددون نصيبهم من الفائض في انفاق بذخي ) . وبعبارة أخرى ، التخلف في بلدان العالم الثالث هو الوجه الآخر للتقدم في أوروبا وأمريكا . لقد موّل عرق العمال والفلاحين في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية الرأسمالية الغربية بما حصلت عليه مباشرة في شكل أرباح وفوائد ، وما حصلت عليه بطريق غير مباشر ببيع منتجاتها الى الطبقات الحاكمة في تلك البلاد ومن ناحية أخرى كل تنمية حقيقية في بلادنا تعني تضييق السوق أمام الرأسمالية الغربية التي لا تستطيع أن تعيش بدون تصدير للسلع ورؤوس الأموال ولهذا تحارب الأمبريالية محاولات التنمية الجادة كأشد ما يكون الحرب .

٢ ـ لا تنمية اذن بلا تحرر . ولكن التحرر ، ليس مجرد الاستقلال السياسي الذي يمكن ان ينحصر في بعض المظاهر الشكلية : انتخاب رئاسة الدولة ، العلم الوطني والنشيد ، عضوية الأمم المتحدة ، وأحياناً شركة طيران تحمل اسم البلد المستقل وتسيطر عليها احدى الشركات العالميـــة . إن العبرة **بالاستقلال الاقتصادي** ، أي بتصفية مواقع الاستعمار وجيوبه داخل الاقتصاد القومي . ان التحرر يعني في الأساس ما أسماه جمال عبد الناصر « **استرداد حرية الارادة الوطنية** » . ولا يمكن ان تكون الارادة الوطنية حرة والقطاعات المسيطرة على الاقتصاد القومي بأيد أجنبية تسيرها مصالح استعمارية . ان حياة الإمم تتوقف في التحليل الأخير على فعالية نظامها الاقتصادي . ومن يملك وسائل الانتاج الأساسية يملك تشكيل النظام الاقتصادي وتوجيهه . وبالتالي فالحديث عن الحرية دون تصفية المراكز الاقتصادية للاستعمار عبث بالعقول ، أو بالقدر الأدنى ، جري وراء سراب .



٣ ـ ولقد نجح الاستعمار في سنوات سيطرته في تحقيق الالتحام الكامل بين مصالحه ومصالح الطبقات الرجعية الحاكمة التي أصبحت تؤمن ألا حياة لها بدونه . ولذلك فإن **تصفية الطبقات المتعاونة مع الاستعمار** جزء أساسي من عملية التحرر من السيطرة الأجنبيـــة . ان تلك الطبقات لا بد أن تعمل على استمرار النفوذ الاستعماري بعد الحصول على الاستقلال السياسي وتحمي المصالح الأجنبية . ألم نر حكاماً بعد الاستقلال يتمسكون بأذيال الاستعمار ، ويستجدون بقاء القواعد الأجنبية ( حتى بلغت الأمور في بعض الأحوال حد عرض تعويض على المستعمر عما ينفقه على تلك القواعد ... ) ويتمسحون بحضارته ويصرون على الانتماء الى « الجماعة الفرنسية » أو « الكومنولث البريطاني » .. ؟

لقد ظلت الجماهير العربية حقبة طويلة تركز على مطلب الاستقلال السياسي وحده ، وتحاول أن تحقق وحدة الأمة العربية حوله . ولكن التجربة الثورية أثبتت انه يستحيل التحرر من الاستعمار الا بالقضاء على عملاء الاستعمار في نفس الوقت .

٤ - ولا يكفي تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي ، بل لابد من المحافظة عليها . وهنا يجب أن ندرك تماماً أنه من الضروري للتنمية ان تلك القوة العسكرية اللازمة للدفاع عنها . ان الانفـاق العسكري - في المفهوم الاقتصادي الدقيق - ليس انفاقاً انتاجياً . ولو كان بوسعنا ان نخصص كل مواردنا للاستعمار الانتاجي لكانت النتائج افضل ولا شك . ولكننا لابد ان ندرك حقيقة مايحيط بنا من اوضاع ، ولانصغي لما يردده بعض المثقفين الغربيين عن عن تبديد مواردنا في هذا الشأن . فالاستعمار لايكف ابداً عن محاولة النيل من استغلالنا . وهو قد زرع اسرائيل في قلب الوطن العربي قاعدة عدوانية تتحرك لضرب الثورة العربية في كل منعطف حاسم في طريق تقدمها ، ولذلك فلابد ان نعد لمواجهة الاستعمار والصهيونية في هذا الصدام الطويل المرير كل مانستطيع من قوة . ان نفقات الدفاع الوطني تعد من وجهة النظر الاقتصادية، من ضمن النفقات الضرورية للتنمية في عالم اليوم . والسؤال الوحيد الذي يثار بشأنها هو فاعليـة استخدامها وليس مبدأ اجرائها .

ثالثاً - الطريق : الاشتراكية :

١ - ان القضية الكبرى للتحرر من السيطرة الاستعمارية هي استرداد حرية الارادة الوطنية وفتح الطريق امام ما كان مستحيلاً بدونه . ويبقى بعد

ذلك ان قيمته الحقيقية تتوقف في نهاية الامر على ماتصنع به بعد الحصول عليه . فالحرية في يد الشعوب ، كالحرية في يد الافراد ، مكنة غنية بالاحتمالات . ولكن تحويل ماهو كائن بالقوة الى قائم بالفعل يحكمه في النهاية كيف يستخدم الشعب حريته المستردة . وفي اطار حديث الاقتصاد يتوقف كل شيء على : كيف نحاول تحقيق التنمية الشاملة . والأمر المؤكد في هذا الصدد هو ان الرأسمالية طريق مسدود . فالتنمية الرائعة التي تمت في البلدان الرأسمالية الغربية جرت في ظروف يستحيل تكرارها في عالم اليوم . فقد بدأت التنمية في غربي اوربا في وقت كان العالم كله يجهل الصناعة الحديثة ، وبالتالي كانت الكرة الارضية على اتساعها سوقاً لمنتجات الصناعة الآلية الوليدة . واعتمدت على نهب منظم لشعوب المستعمرات من ذهب بيرو ، الى فضة الارجنتين ، الى قطن الهند ومصر ، الى شباب افريقيا السوداء . وفرضت على الشعوب الاوروبية ذاتها ابشع انواع الاستغلال الطبقي ( اكثر من ١٢ ساعة عمل في اليوم ، اجور بالغة الانخفاض ، ظروف عمل قاتلة .. الخ ) . ونحن نبدأ التصنيع بعد ان سبقتنا اليه دول صناعية كبرى بعشرات السنين ونعاني من منافستها مانعاني . ونحن لايمكن ان نستغل شعوبا اخرى . وفي عالم اليوم لم يعد في وسع احد ان يفرض على شعب مثل ما عاناه الشعب الانجليزي في النصف الأول من القرن الماضي . يضاف الى ذلك عجز أصيل لدى الرأسمالية الكبيرة العربية ، حيثما وجدت ، عن تبني مشروعات التنمية الاساسية . انها رأسمالية مستضعفة ، نشأت في احضان الاقطاع وتمت على فتات الاستعمار ، يحكمها روح الكسب السريع ويجذبها النشاط الطفيلي . انها تعيش عصر انتصار الاشتراكية وأفول شمس الرأسمالية ، لذلك تنقصها الثقة في المستقبل ، وتضع العقبات امام كل مشروع طويل الأجل ولو كان عائده ضخماً .

٢ - ونحن لانريد مجرد نمو اقتصادي تلقائي بمعدلات منخفضة (حتى لو كان ذلك ممكناً) وانما نريد تنمية اقتصادية، وجهداً ارادياً منظماً من اجل تطوير سريع وجذري لهيكل الاقتصاد القومي. والسبيل الى ذلك هو تعبئة الفائض الاقتصادي ثم استخدامه استخداماً رشيداً، أي الاستخدام الذي يحقق على مدى طويل وبشكل منتظم أعلى معدلات النمو. **والطريق الاشتراكي هو وحده الذي يتيح الفرصة لتحقيق الهدف**. فالاشتراكية تعني الملكية الجماعية لوسائل الانتاج بحيث يؤول الفائض الاقتصادي مباشرة الى المجتمع ممثلا في الدولة. وهذا مايتم عن طريق التأميم، وتملك الدولة للمشروعات الجديدة، وكذلك عن طريق **الاصلاح الزراعي وانتشار التعاونيات الانتاجية** للفلاحين والحرفيين. أما الاستخدام الأمثل للفائض الاقتصادي ثم استثماره على خير وجه، والارتفاع المستمر بانتاجية العمل وكفاءة الاستثمار، وضمان عدالة التوزيع، فذلك هو جوهر الاشتراكية في المفهوم الاقتصادي. ولا يجدي في هذا الشأن أعمال الخيال في ابتكار أنواع من الاشتراكية لم تخطر من قبل على قلب بشر. فالظواهر الاقتصادية تخضع في حركتها لقوانين اقتصادية موضوعية لاسلطان لارادة البشر عليها، شأنها في ذلك شأن ظواهر الطبيعة. والقوانين الاقتصادية للاشتراكية قد اكتشفها العقل البشري ولم يخترعها. ومن ثم كان اسم «الاشتراكية العلمية». والاشتراكية من حيث الجوهر واحدة، وانما يختلف التطبيق من بلد الى آخر وفقاً للظروف القومية من مرحلة تاريخية معينة.

٣ - ولكن الاشتراكية ليست حلا «تكنيكيا» لمشكلة التخلف، وانما هي تحول اقتصادي واجتماعي وسياسي وثقافي جذري عموده الفقري دور الجماهير. فالملكية الجماعية لوسائل الانتاج تعني أنها ملك للشعب في مجموعه (الملكية

العامة ) أو في جماعات منه ( الملكية التعاونية ) . والتخطيط يمس حيـــاة كل مواطن ومستقبله ، وحياة أولاده ويعتمد على مدى اسهام كل مواطن في نجاح عملية التخطيط . والتنمية تفرض على الجماهير تضحيات كبيرة لأن تعبئة الفائض الاقتصادي تقتضي ضغط الاستهلاك لزيادة التراكم ، ولأن زيادة الانتاج تفترض التفاني في العمل لكسب الصراع ضد الزمن . ولا ضمان لتوفير اسهام الجماهير ايجابياً في كل ذلك إلا بأن يستقر في ضمير الشعب ان بلاده ملكه ، وجهده عائد اليه ، وان صوته مسموع في تحديد مصيره . ان النظام العبودي فرض العمل المضني بالسوط ، والنظام الاقطاعي فرضه بالقهر المادي المتمثل في ربط الفلاح بالأرض ، والنظام الرأسمالي فرضه بالقهر الاقتصادي المتمثل في شبح البطالة لمن لايملكون الا القدرة على العمل . أما النظام الاشتراكي فلا سبيل له إلا الاعتماد على اقتناع الجماهير وحماسها للانتاج . ولذلك فان الاشتراكية تكون ديمقراطية أو لاتكون أصلا . وتتمثل الديمقراطية الاشتراكية أساساً في أمرين : أن تكون الدولة سلطة شعبية نابعة من الجماهير ممثلة لها ، لصيقة بها . وان **تشارك الجماهير مشاركة فعلية وفعالة في تسيير شؤون البلاد الاقتصادية والسياسية.** لاشك أن الطبقة العاملة في هذا الاطار دوراً متميزاً . فهي عماد حركة التصنيع ، وهي المرتبطة بأكثر أشكال الانتاج تقدماً ، وهي بحلفها مع الفلاحين تشكل العمود الفقري للحركة الشعبية كلها .

٤ - ولكن الاشتراكية لاتعني تأميم كل شيء . فالملكية الجماعية مؤسسة نظرياً على الطابع الجماعي للانتاج الناشيء عن استخدام الآلات والاعداد الكبيرة من العمال . وفي كل البلاد العربية توجد مشروعات لم تبلغ من الحجم حداً تتأكد فيه الطابع الجماعي للانتاج الذي يبرر التأميم . ولهذا فإن للرأسمالية الوطنية

دوراً تاريخياً في معركة التنمية يجب أن تؤديه وأن تشجع على أدائه . وانما لابد أيضاً من احاطة هذا الدور بالضمانات التي تكفل حسن الأداء . عزل الرأسمالية الوطنية عن الارتباط بالرأسمالية العالمية ، تصفية مظاهر النشاط الطفيلي للرأسمالية ( أعمال المضاربة والوساطة .. الخ ) توفير الحماية الكافية للتأمين في القطاع الخاص ، توجيه الأسعار حماية للمستهلك ، جذب جزء من التراكم الذي تحققه الرأسمالية الوطنية الى قطاع الدولة عن طريق الضريبة .. وأهم من ذلك كله أن تظل القيادة السياسية للعمال والفلاحين ، وأن يقاوم المجتمع الأيديولوجية البورجوازية التي تجعل من الثروة الفردية أعلى قيمة اجتماعية ، ومن السعي لتحقيقها أعظم هدف للمواطن . ان الاشتراكية تحتاج الى فترة انتقال طويلة يتم فيها بناء الأساس المادي للاشتراكية ( عن طريق التصنيع وتطوير الزراعة ) والأساس الفكري ( عن طريق نشر العلم والثقافة واقرار المثل العليا الاشتراكية ) .

رابعاً - الضرورة : الوحدة :

١ - وفي اطار المعركة من أجل التنمية الشاملة تظهر الوحدة كضرورة اقتصادية وليس كهدف قومي فحسب . وأول دواعيها الاقتصادية هو توسيع السوق . فمن المعروف أنه كلما كان نطاق السوق المحلية واسعاً وحجم المشروعات الصناعية بالتالي كبيراً ، أمكن خفض تكاليف الانتاج والارتفاع بانتاجية العامل ودعم الصناعة الوطنية ومواجهة المنافسة الدولية . ان التصنيع الحقيقي لابد أن يقوم على أسس من مجموعة متكاملة من الصناعات الثقيلة التي تنتج مستلزمات الانتاج مثل صناعة الصلب ، والكيماويات الأساسية ، والصناعة البتروكيمائية الخ ... وهي صناعات لا تتوافر لها ظروف انتاج اقتصادية سليمة الا ابتداء من حجم معين ( مليون طن من انتاج الصلب مثلا ) . وواضح أن غالبية الدول العربية لا تتسع

سوقها الاقليمية لانتاج مثل تلك المشروعات الكبيرة . ومن ثم نجد ان مجهود التصنيع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنضال من أجل الوحدة القومية حتى تقام الصناعات الثقيلة على أساس تغطية احتياجات عدد كبير نسبياً من الأسواق العربية . بل ان كثيراً من الصناعات الاستهلاكية أصبح بسبب التقدم التكنولوجي السريع محتاج الى وحدات انتاجية ضخمة ، لما من الموارد مايمكنها من تطوير الانتاج ومواصلة التقدم التكنولوجي . واذا كانت عوامل مشابهة تحمل اليوم الدول التي تنتمي الى قوميات مختلفة ـ طالما نشبت بينها الحروب ـ على السعي لتحقيق الوحدة الاقتصادية ، فما أجدرنا ونحن نتتمي الى قومية واحدة أن نحث السير في تلك الطريق . ومن ناحية أخرى هناك تكامل طبيعي في الموارد الطبيعية والبشرية بين الدول العربية لم تنجح سنوات التمزق التي فرضها الاستعمار في طمس معالمه . وهو يوفر أرضية رائعة لتنمية سريعة ولأحسن استخدامه في اتجاه تقدمي . والأمر الذي يجب أن يستقر في الأذهان ويشغل كل القوى الثورية هو ان امكانات التنمية السريعة في أي قطر عربي على حدة محدودة بالضرورة ، وان طريق التنمية السريعة يلتقي حتماً بطريق الوحدة .

٢ ـ ولكن اثر الوحدة على التنمية يظل بدوره محدوداً مالم تكن الوحدة في إطار اشتراكي . فما يصدق على تطوير موارد كل قطر على حدة يصدق أيضاً على تطوير موارد اقطار مجتمعة . فالثروات الطبيعية والقوى البشرية يمكن ان تظل معطلة أو لا تعطي كل مايمكنها أن تعطيه من عائد . وعلى العكس يمكن ان ننتظر أفضل النتائج اذا تمت الخطوات الوحدوية في المجال الاقتصادي على أساس من الملكية العامة والتخطيط الشامل . وهذا يعني بالضرورة ان نتطلع أولاً وقبل كل شيء ـ حين نتكلم عن التكامل الاقتصادي العربي ـ الى خطوات التكامل بين

الدول العربية المتحررة التي تستهدف بناء الاشتراكية وتأخذ بنهج التخطيط . وعندئذ يتضح الطريق العملي للوحدة الاقتصادية . فلابد بادىء ذي بدء من خطة طويلة الأجل ( حوالي ١٥ عاماً ) لتنمية الأقطار التي تريد التكامل الاقتصادي . وهي بالضرورة تختلف عن الخطط المتوسطة الأجل في كل قطر ، من حيث انها تقتصر على مجموعة من المشروعات الأساسية ذات الأهمية المشتركة ، التي مازالت في مرحلة الدراسة والتي يستغرق انشاؤها عدة سنوات بحيث يختص كل قطر بمشروع معين أو أكثر يغطي انتاجه احتياجات الأقطار الأخرى . ويصبح الاتفاق على مثل تلك الخطة اطاراً تتحرك في داخله أجهزة التخطيط في كل قطر حين تعد خططها الخمسية أو السنوية . أما المشروعات القائمة بالفعل ، فالسبيل الوحيد هو محاولة التنسيق بينها عن طريق التخصص والتخطيط للتوسعات الجديدة .

لقد مزق الاستعمار بلادنا ، ووجه كل مجموعة من الأقطار نحو بلد استعماري ، وعلينا أن نغير اتجاهات التجارة الخارجية وان نعطي الأولوية للسلع العربية .

ان التفكير في اقامة سوق مشتركة أو محاكاة أي شكل آخر من اشكال الوحدة الاقتصادية محدود الفاعلية للغاية . واخيراً فان التركيز على التكامل الاقتصادي بين الدول العربية المتحررة يعني اهمال التعاون مع بقية الدول العربية . فالنظم الرجعية زائلة لامحالة . وكل خطوة في سبيل دعم الصلات الاقتصادية تستخدم بلاشك الهدف الأخير . وانما كان القصد هو بيان المجال الذي يمكن للخطوات الوحدوية فيه ان تثمر ، وتتحول الى مسيرة ثابتة نحو غاية واضحة .

٣ - ان النكسات التي أصابت محاولات الوحدة الدستورية قد خلقت

في كثير من الاقطار العربية اتجاهاً نحو التقوقع الاقليمي . وانعكس ذلك في المجال الاقتصادي بالتركيز المطلق على مشروعات التنمية القطرية واهمال التفكير في التكامل الاقتصادي ومشروعات التنمية المشتركة . والقوى الثورية العربية ، وهي تدرك أهمية الوحدة القومية كهدف، لابد ان توالي نضالها من أجل التقارب في الاجراءات الاقتصادية وان تنوع في اشكال التعاون الاقتصادي ولا تضن بجهد في سبيل دراسة المشروعات المشتركة وتبنيها والدعوة لها ، وتربية الجماهير بروح التفكير فيها والعمل من أجلها .

ان الوحدة الاقتصادية يجب ان تصبح قضية جماهيرية توليها الأحزاب والتنظيمات السياسية عنايتها ، وتحتضنها التنظيمات النقابية والتجمعات المهنية والاتحادات العمالية . ان مستقبل التنمية في الوطن العربي كله يتوقف على الوحدة الاقتصادية ، ولهذا فلايمكن ان تترك القوى الثورية لجامعة العربية وغيرها من الهيئات الحكومية وحدها .



٤ ـ وفي مجال الوحدة الاقتصادية مالا يدرك كله لايترك جله . بل ان النظرة المسؤولة لواقع الأمة العربية تكشف عن أن امكانات التكامل الاقتصادي ستكون لفترة طويلة امكانات تكامل بين عدد محدود من الدول العربية . وقد أوضحنا أن هذه الامكانات تثمر اذا كانت في اطــــار اشتراكي ، أي بين دول تقدمية تناضل من أجل التنمية معتمدة على قطاع عام واسـع وتتخذ التخطيط الشامل سبيلاً . ولاشك ان بُعد الثقة وعدم الاتصال الاقليمي وضعف الروابط الاقتصادية التاريخية هي عقبات في طريق التكامل لايستهان بهـــا . والثوريون لايغرقون في الأحلام ولايقنعون بالتمني ، بل انهم يحرصون على التعرف على الواقع بكل مشكلاته تعرفاً شاملاً . ولكنهم لايستسلمون لهذا الواقع ، وانما يعملون

بنهج علمي على تغيره. ولاشك كذلك في أن الاتصال الاقليمي، والتجاور، ووجود روابط اقتصادية تاريخية من شأنها ان تيسر التكامل. ولكن العامل الحاسم في التنمية هو النظام الاقتصادي. ومحاولة تحقيق التكامل بدعوى الجوار، بين دول تستهدف الإشتراكية واخرى تستمرىء الرأسمالية لايمكن ان تتقدم حثيثاً، وهي تحمل في طياتها خطر احتواء الاتجاه الإشتراكي، اما اذا اجتمعت وحدة الهدف الاشتراكي، والاتصال الاقليمي فإن التكامل الاقتصادي يجد أفضل الفرص، واذا احسن استخدام تلك الفرص خرجت الآمال الى حيز الوجود.

## خامساً ـ الخطر: الاستعمار الجديد:

١ ـ وثمة خطر دائم يتهدد طريق التنمية الشاملة في الوطن العربي الا وهو خطر الاستعمار الجديد. ان شعوبنا قد عانت الاستعمار القديم، وخبرت اساليبه وتمرست بالنضال ضده، وهي بسبيل تصفية آخر مواقعه التقليدية. ولكن الاستعمار خلف لنا اسرائيل عدوانا مستمراً ومتجدداً. وهو من ناحية أخرى يصر على التسرب الى بلادنا باشكال شتى. ان جوهر الاستعمار كان دائما الاستغلال الاقتصادي. وما كان الاحتلال والقهر والحكم المباشر والحماية والانتداب الا وسائل لتحقيق الاستغلال، تحاول حتى اليوم ان تفرض استغلالها للشعوب على أعلى مستوى بوسائل أكثر خبثا وأقل تكلفة لها. واساليب الاستعمار الجديد تهدف أولا الى شل نضال الشعوب من اجل التنمية. فالأمبريالية تذكي النزاعات القبلية والنعرات الاقليمية لتضعف صفوف كل شعب وتفرقه في صراعات عقيمة. وهي على سبيل التحديد تقاوم الاتجاه الطبيعي نحو الوحدة العربية بكل ما ملكت من وسائل الاغراء والتمويه.

٢ ـ وفي رأس أساليب الاستعمار الجديد مايسمى «بالمعونات». فما

تقدمه الدول الأمبريالية من معونات يستهدف قبل كل شيء ربط بعض البلاد العربية بالسياسة الغربية . وهذه المعونات أقل بكثير مما تحققه الدول الرأسمالية من تجارتها مع الدول العربية . وهي قطرة في بحر اذا ما قورنت بالأرباح الطائلة التي تحققها الاحتكارات الغربية من استغلال الثروات الطبيعية العربية وعرق العمال والفلاحين العرب . ولكن الأدهى من ذلك أن تلك المعونات تدفع الى التواكل ، وتعطل تعبئة الموارد المحلية . وهي في نفس الوقت لاتمول مشروعات تنمية أساسية . وبالتالي فهي في التحليل الاخير وسيلة لتخريب مجهود التنمية . وفي المستوى الاجتماعي يذهب الجزء الاعظم منها لجيوب عدد محدود من المنتفعين الذين يعملون في برامج المعونة او يتعاملون معهــا لتدعم طبقة بورجوازية طفيلية ترتبط بالامبريالية فكرا ومصلحة وتتمايز عن الجماهير الشعبية وتعطل التنمية . ان الجهود اللازمة للتنمية ضخمة ، والمعونة الخارجية فيها لايمكن ان ترفض من حيث المبدأ ، ولكن علينا ان نحذر كل الحذر المعونات المشروطة ، متذكرين ان الشروط يمكن ان تكون لأول وهلة غير واضحة الخطر مثل اشتراط الاعتماد على خبرة اجنبية معينة ، او تخصيص المعونة لمشروعات غير جدية او انفاقها بغير معرفة الدولة الخ . .

١ — والخدعة الكبرى التي يروج لها الاستعمار الجديد هي دعوى ان الاستثمارات الاجنبية ضرورية للتنمية . فلا يكاد ينقضي يوم الا ويطالعنا مقال يمجد الاستثمارات الاحتكارية . والامر الذي يتناساه أولئك الدعاة هو ان بلادنا ظلت مفتوحة امام الاستثمار الاوربي عشرات السنين . فماذا كانت النتيجة؟ كانت هذا التخلف الذي نريد فكيف غدا وجود تلك الشركات بين يوم وليلة هدفاً يطمع اليه البعض ؟ وفيم كان التأميم اذن ؟ ولماذا لا ترد تلك الشركات الى

« أصحابها » القدامى ؟ ان اعظم نجاح للاستعمار الجديد في بلدان العالم الثالث هو انه وجد حكاماً وحكومات يتملقونه ويسترضونه لكي يعود ويستثمر بلادهم. وكانت حصيلة تلك السياسة ان عددا كبيرا من البلاد التي استقلت خلال العشرين عاماً الماضية اصبحت اليوم اكثر ارتباطا بالاستعمار وخضوعاً له مما كانت وهي مستعمرة . يقولون ان التنمية تحتاج الى رؤوس أموال طائلة ، وانه مهما كانت أهمية رأس المال الوطني فإن أي اضافة خارجية اليها تعني استثمارات اكبر، وبالتالي معدلات نمو اسرع . هذا صحيح بشرط . وأول تلك الشروط ان تأتي رؤوس الاموال من الخارج لتضاف الى اعلى تعبئة ممكنة للموارد القومية ، وليس كبديل لها . وثانيها ، ان تأتي تلك الاموال في شكل قروض للدولة تستخدمها بملء حريتها . وثالثها ان تستخدم تلك القروض بالفعل في زيادة الانتاج والافقدت مبررها وعجزت الدولة عن سدادها . ورابعها ان يكون سعر الفائدة وآجال السداد بحيث يمكن اداء الاقساط من الزيادة في الانتاج المترتبة على استثمار القروض الاجنبية . اما رأس المال الاحتكاري الذي تفتح له الابواب للاستثمار المباشر ، فلا بد ان يختار ما يشاء من مشروعات ، وهو لن يختار الا أكثرها ربحا وأقلها اهمية بالنسبة للاقتصاد القومي . وهو لابد ان يطلب « تسهيلا » في تشريع العمل فيسمح له باستغلال عمالنا . وهو لابد ان يخلق في البلاد مناخا رأسماليا يعطل التحول الاشتراكي ويشجع نمو الرأسمالية المحلية ويجذبها اليه بعيداً عن الجماهير الشعبية . واخيرا فانه لن يقنع الا بأعلى الارباح . ولنذكر هنا انه في سنة ١٩٦٤ مثلا كان مجموع الاستثمارات والمعونات التي قدمتها الولايات المتحدة لدول امريكا اللاتينية سبعة آلاف مليون دولار ، في حين كان مادفعته

تلك الدول الولايات المتحدة بصفة ارباح وفوائد واقساط بلغ احد عشر الف مليون .. ويبرر دعاة الاستعمار الجديد دعوتهم لتشجيع رأس المال الاجنبي بحاجتنا الى الخبرة الفنية اللازمة للصناعة الحديثة والتي يقدمها الغرب مع رؤوس الأموال . وينسى القوم ان الخبرة يجب تقديمها لشعوبنا دون شروط .

٢ ـ ويبقى بعد ذلك ان الاستعمار الجديد يستغل شعوبنا عن طريق **المبادلات التجارية غير المتكافئة** . فصادراتنا اليه تنخفض اسعارها ، من عام الى عام ، في حين ان وارداتنا منه ترتفع قيمتها بانتظام . واذا اضفنا الى ذلك ارتفاع انتاجية العمل في الغرب بفضل التقدم التكنولوجي فإن المنطق الاقتصادي يقول بضرورة انخفاض ثمن المنتجات الصناعية بدورها . ولكن الحقيقة هي ان الدول الاستعمارية تستخدم كل وزنها الاقتصادي لتكون نسب المبادلة في صالحها باستمرار . وليس ادل على ذلك من ان المواد الاولية والمحصولات الزراعية التي تسيطر على انتاجها الدول الاستعمارية تحافظ على اسعارها ، وهذا معروف بالنسبة للقمح والنحاس مثلا . بل ان القطن الامريكي لم ينخفض ثمنه منذ ١٩٤٨ الا بنسبة الثلث ، في حين انخفض ثمن القطن طويل التيلة الذي تنتجه مصر والسودان بأكثر من النصف ، ومن ناحية اخرى . من المعروف أننا لانستطيع بيع منتجاتنا الصناعية في الاسواق الرأسمالية الا بأبخس الاثمان . ولهذا فإن الصراع ضد الاستعمار الجديد ينبغي تحرير التجارة الخارجية لدولنا من التبادل الكثيف مع الدول الغربية . علينا ان ننمي بكل الوسائل المبادلات بين الدول العربية بعضها مع بعض ، وبينها وبين الدول الاشتراكية الصديقة ، وكذلك مع دول العالم الثالث المتحررة .

وبعد ، فانه يمكن ان نلخص كل ماسبق في جملة واحـــدة نختتم بها هذا الحديث : ان دعائم « الهيكل الاقتصادي للثورة العربية » هي : الحرية والاشتراكية والوحدة .

# الهيكل الاقتصادي للثورة العربية

بحث : محمد المكاوي مصطفى

١ - ان البلاد العربية وان كانت على درجات مختلفة من النمو الاقتصادي بمقارنة بعضها ببعض ، إلا أنه يصح القول تعميماً إنها لا تزال ضمن نطاق الدول المتخلفة اقتصادياً ، وان اقتصادياتها لا تزال تعاني من أعراض التخلف والتبعية التي تعاني منها مثل هذه الأقطار . وتتجلى مظاهر هذا التخلف وهذه التبعية في :

١ - ان الجانب الأكبر من الدول العربية لا تزال اقتصادياته تعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على انتاج وتصدير المواد الخام سواء كان ذلك محصولات زراعية أو بترولاً خاماً .

٢ - ان الاحتكارات الاستعمارية ورؤوس الأموال الأجنبية لا تزال مسيطرة على الجانب الأكبر من الاقتصاد العربي بدرجة تجعلها تتحكم فيه وتسيره وفق مصالحها ورغباتها ،

٣ - ان معدلات النمو الاقتصادي لمعظم هذه البلاد لا تزال ضئيلة للحد الذي لايمكنها من الانطلاق في طريق التقدم الاقتصادي وتحقيق الرفاهية المنشودة لمواطنيها .

٤ - ان مستوى دخول الأفراد في هذه الأقطار لايزال منخفضاً انخفاضاً شنيعاً لا يحقق لسكان هذه الأقطار أقل درجات المعيشة المطلوبة حتى على مستوى الكفاف ، وان قطاعات كبيرة من سكان هذه الأقطار لايمكنها الحصول في بعض الأحيان على المتطلبات الضرورية للحياة مثل الماء .

٥ - ان الغالبية العظمى من سكان بعض الدول العربية لاتزال خاضعة لاستغلال الاقطاع الداخلي المرتبط بالاستعمار الحديث وسيطرة رأس المال الأجنبي.

٦ - ان جميع هذه الصفات لا تنطبق بالطبع على جميع الاقطار العربية . فهناك من هذه الأقطار من تمكن من فك أسار التبعية للاستعمار ورأس المال الاجنبي وتحطيم مواقع الاقطاع الداخلي ، ودخل في مرحلة التحول الاشتراكي وفرض سيطرة الشعب على وسائل الانتاج .

بل ان هناك من هذه الأقطار من قطع شوطاً بعيداً في ارساء قواعد تجربة جديدة للتطبيق الاشتراكي وبناء مجتمع الكفاية والعدل . ولكننا ان كنا نعني بالثورة العربية أنها ثورة تشمل بالالزام جميع الاقطار العربية ، وتنظم في نطاقها الانسان العربي ككل ، فنحن لانزال أمامنا الكثير من العقبات والمعوقات التي يجب ازالتها لتحقيق هذا الحلم .

وحتى بين الاقطار التي التزمت بالسير في طريق الاشتراكية وارتضتها سبيلاً للتغير الاجتماعي والاقتصادي لتحقيق أماني شعوبها في مجتمع تسوده الكفاية

والعدل لا يزال هناك تباين في مستويات التطبيق الاشتراكي، واختلاف مراحله، وهو ما اقتضته المراحل التاريخية التي تمر بها هذه الشعوب. لذا فانه في اعتقادي لابد من أخذ جميع هذه الظروف والاعتبارات في الحسبان عند البحث في مسألة « الهيكل الاقتصادي للثورة العربية »، لأنها ظروف موضوعية واقعية تؤثر وتتأثر بالنتائج التي ينتهي اليها البحث في الهيكل الاقتصادي للثورة العربية .

ان « الهيكل الاقتصادي للثورة العربية » لابد أن يكون نابعاً من المفهومات والمعتقدات السياسية والاجتماعية لهذه الثورة حتى يتكامل معها ويصبح الأداة الطيعة لخدمة أغراضها وتحقيق أهدافها والوسيلة الهادفة لتحقيق آمال جماهيرها العريضة وتلبية رغباتها .

ان الثورة العربية قد اختارت الاشتراكية العلمية طريقاً يقودها الى التقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي ووسيلة للتحرر الوطني ، وأرضاً صلبة تنطلق منها للنضال ضد كافة أعدائه من الاستعمارية العالمية والصهيونية العميلة وحليفاتها من الرجعيين . ولم يكن اختيار الثورة العربية لطريق الاشتراكية العلمية اعتباطاً عفوياً أو استهواء نظرياً ، وانما جاءت كنتيجة للاستقراء العلمي لطبيعة تطور المجتمعات البشرية عبر التاريخ الطويل ، وعن اقتناع كامل بأن الطريق الرأسمالي طريق محدود لا يؤدي إلا الى التخلف والجمود والتبعية ، وان الأمل الوحيد في الانعتاق والسير في طريق التقدم والانطلاق هو السير في طريق البناء الاشتراكي الذي يعالج قضايا النمو والتقدم الاقتصادي والاجتماعي وفقاً لمصالح الطبقات التي ترتكز عليها الثورة نفسها حتى ينتقل المجتمع العربي الى علاقات المجتمع الاشتراكي .

ان سمات التحول الاشتراكي التي يبنى عليها بالضرورة « الهيكل الاقتصادي للثورة العربية » ، والتي قد لا تكون مصدراً للجدال بين الاشتراكيين العرب على اختلاف تطلعاتهم النظرية ، يمكن بحثها على الأسس التالية ( والتي لا تدعي الحصر ) :

١ ـ تحرير الاقتصاد العربي من سيطرة الاستعمار الحديث بتصفية جميع مواقعه التي تستنزف ثروات البلاد ومواردها لوضع هذه الثروات والموارد في خدمة الثورة الاجتماعية .

٢ ـ تصفية مراكز الإقطاع والنفوذ التقليدي المستغل لقدرات الشعوب .

٣ ـ دعم القطاع العام وجعله مهيمناً على مراكز النفوذ الاقتصادي ، حتى تتحقق سيطرة الشعب على وسائل الانتاج .

٤ ـ إعادة تركيب وبناء الهياكل الاقتصادية في البلاد العربية المختلفة على أسس اقتصادية حديثة ، بما يواكب متطلبات النمو الاقتصادي والاجتماعي ومصالح الطبقات ذات المصلحة في الثورة ، والاستفادة من أساليب التقدم التكنولوجي المعاصرة .

٥ ـ تحقيق الثورة الاجتماعية بضمان عدالة التوزيع والتقدم نحو مجتمع الرفاهية .

٦ ـ الالتزام بمبدأ التخطيط الاقتصادي والاجتماعي الشامل تغليباً للإرادة الثورية ، وتحقيقاً للأهداف الاشتراكية التي يؤمن بها المجتمع ، واسترشاداً بالأسس والمبادىء العلمية .

٧ ـ السير في طريق التكامل الاقتصادي العربي عن ايمان قائم على البحث

العلمي والدراسة الدقيقة ، يقيناً بأن هذا هو السبيل العلمي لتحقيق النهضة الاقتصادية الكاملة لجميع الشعوب العربية افراداً وجماعات على أساس القطر الواحد والوحدة المتكاملة على السواء .

٨ - العمل على توطيد الصلات في جميع المجالات مع البلاد الاشتراكية وبقية الأقطار المتحررة والسعي المتواصل لتضييق دائرة تعاملنا مع الاقتصاد الرأسمالي .

هذه بعض الأسس العامة التي قد تصلح كأساس للبحث فيما ينبغي أن يكون عليه « الهيكل الاقتصادي للثورة العربية » عند تكامله . وهي ليست على سبيل الحصر كما أوردتها ، ولكنها قد تشير الى الاتجاه العام .

ولكن الأمر لا يمكن أن يقف عند هذا . فإنني أحس اننا بتحديدنا لمثل هذه الأسس لم نتعد أن نكون قد طرحنا القضية طرحاً مبدئياً ، ولكننا لم نخلص الى جوهرها بعد ، والجوهر الذي يجب أن نخلص اليه مثل هذا الملتقى الفكري في اعتقادي هو بحث المشاكل التفصيلية التي يثيرها التطبيق العملي لهذه الأسس والمبادىء ، الفكرية منها والمرحلية . كما انه ونحن نبحث عن الهيكل الاقتصادي الذي يلائم الثورة العربية وتلائمه ، لابد لنا من النظر في بعض التجارب الرائدة للتطبيق الاشتراكي التي نفذت في بعض البلاد العربية ، لمعرفة ما اذا كان الهيكل الاقتصادي المنشود للثورة العربية سوف يكون مطابقاً تمام المطابقة لتلك التطبيقات الاشتراكية أم أنه سيكون مخالفاً لها .

وهناك نقطة أخرى جديرة بالبحث الدقيق ، وهي : هل يلزم بالتحديد أن يتخذ شكل التطبيق الاشتراكي نمطاً واحداً لا يختلف في صغيرة أو كبيرة في كل البلاد التي تسير اليوم وسوف تسير غداً في درب الثورة العربية ، ام أن

تجربة التطبيق الاشتراكي سوف تختلف من بلد عربي الى آخر حسب الظروف والمقتضيات الموضوعية لكل قطر على حدة ؟

فنحن مثلا أمامنا تلك التجربة العظيمة الرائدة في التطبيق الاشتراكي التي قام بها الاتحاد السوفييتي العظيم على النطاق العالمي ، كما أنه أمامنا ، على نطاق الأمة العربية ، تجربة الجمهورية العربية المتحدة الفريدة في التطبيق الاشتراكي المليئة بالدروس الرائعة الملهمة لكل من يسيرون على درب الاشتراكية بعدها .

ولكن الذي يستوقف النظر هو انه هناك بعض الاختلافات في التطبيق العملي بين التجربتين . فالنظرية الماركسية - اللينينية التي بنيت على هديها التجربة السوفيتية ترى ان استكمال بناء النظام الاشتراكي يحتم القضاء على جميع أشكال الملكية الفردية لأدوات الانتاج لتحل محلها الملكية العامة والملكية التعاونية ، وإن كان هناك تسامح في هذا ، في مراحل تاريخية معينة ولاعتبارات مرحلية سابقة لمرحلة البناء الاشتراكي . غير أن التجربة المصرية ترى غير ذلك ؛ فنجد هنا امكانية بقاء أشكال معينة من الملكية الفردية لأدوات الانتاج استناداً إلى أهمية هذا النوع من الملكية الصغيرة الذي له دور خاص في تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية ، زيادة على اشتراط خضوع هذا النوع من الملكية الفردية لسيطرة الشعب عن طريق عملها في اطار الخطة الوطنية الشاملة دون استغلال .

وايراد مثل هذه النقطة هنا ليس من باب الجدل النظري المجرد . ولكنه في اعتقادي قد يكون ذا أهمية عملية لبعض الأقطار العربية ، كالسودان مثلا ، التي تمتلك طاقات زراعية هائلة يكون استغلالها المحرك الرئيسي لعجلة التنمية الاقتصادية . فهل تسمح الثورة السودانية بقيام ملكيات زراعية فردية صغيرة

في أماكن الأراضي المطرية مثلاً كجزء من تجربة التطبيق الاشتراكي ، أم تسير التنمية الاقتصادية في هذا القطاع على أساس الجمعيات التعاونية فقط ، مع حظر الملكية الفردية ، مع العلم بأن تسمية ملكية هنا لا يتعدى حسب العرف السائد في السودان حق استعمال الأرض وليس الامتلاك الحر ؟

ان هذا بحث يثير نقطة أخرى لها أهميتها ولها به بعض الارتباط ، وهي مسألة اعتبار الرأسمالية الوطنية غير المرتبطة بالاستعمار احدى فصائل القوى الثورية . وبما أن وجود الرأسمالية الوطنية يستدعي بالإلزام وجود نوع من أنواع الملكية الفردية أو ما يقاربه ، فهل احتساب هذه الفئة من ضمن فصائل الثورة اعتبار مرحلي أم يتعدى ذلك الى بقائهـا حتى في مرحلة البناء الاشتراكي ؟ وبمعنى آخر هل هذه الفئة حليف مرحلي ، أم جزء أصيل من قوى الثورة العربية ؟



هذه بعض النقاط التي تستوجب الدرس والاستجلاء في نظري ، ان كنا نرغب في الوصول الى مشارف الرؤية الواضحة التي يمكن من خلالها الاتفاق على أسس مبدئية تصلح لكي تكون الأساس الذي يبنى عليه مفهومنا لـ « الهيكل الاقتصادي للثورة العربية » .

ومن النقاط الهامة الأخرى التي تستوجب النظر والبحث ، مسألة التكامل الاقتصادي بين الأقطار العربية وارتباطها بقضيتي التنمية الاقتصادية والتحول الاشتراكي . إذ انها تفرض نفسها بإلحاح عند البدء في بحث الشكل الذي يجب أن يكون عليه الهيكل الاقتصادي للثورة العربية .

انه يكاد يكون من المتفق عليه أن وجود قاعدة عريضة من الاقتصاد

القومي يتوفر فيها من الموارد المادية والبشرية والهياكل المتكاملة المرنة من الصناعات الأساسية اللازمة للنمو الاقتصادي الحديث أمر لا يمكن أن يتحقق بصفة عملية في البلاد العربية كل على انفراد في وضعها الراهن ، وخصوصاً في عصرنا الحاضر الذي أصبحت فيه ظروف النمو المستمر في الحجم الاقتصادي الأمثل للوحدات الانتاجية أمراً تحتمه تطورات التكنولوجيا الحديثة .

اننا إذا ألقينا نظرة عابرة على الوضع الاقتصادي الراهن للبلاد العربية لوجدنا أن أغلبها ما يزال يعتمد على انتاج المواد الأولية الزراعية ، واستخراج الخامات المعدنية كمصدر أساسي للدخل . وأغلب هذه المواد تصدر في شكلها الخام ، ولا يصنّع منها محلياً الا النذر اليسير . ولهذا فإن الصناعة التي قامت في البلاد العربية على قلتها لم تخرج عن محيط الصناعات التحويلية البسيطة ، مما يجعل مكانها ، كمصدر من مصادر الدخل القومي ، مكاناً متواضعاً لا يحس بأثره . كما أنها كمصدر للعمالة لا تستوعب الا القليل من الأيدي العاملة .

إن أغلب الصناعات القائمة في الوقت الحاضر لا تتعدى أن تكون في اجمالها صناعات للأغذية والمشروبات والتبغ والمنسوجات والملابس . وهي بهذا الوضع تشكل في مجموعها ما بين ٥٠ الى ٧٠٪ من اجمالي الناتج من الصناعات التحويلية في أغلبية البلاد العربية . ومعنى هذا ان الصناعات الثقيلة ـ كصناعات المعادن والصناعات الكيماوية والهندسية ـ تكاد أن لا يكون لها وجود في أغلب البلاد العربية .

ان الاعتماد على الزراعة المتخلفة ، بل حتى على الرعي ، في عدد من البلاد العربية ، كمصدر أساسي للدخل ، كانت نتيجته الحتمية هي انخفاض شنيع في دخول

الأفراد . وحتى هـــذه الدخول المنخفضة تخضع لذبذبات كثيرة تبعاً لتقلبات الأسعار العالمية للمواد الخام . وليس هذا فقط . بل ان مستويات هذه الدخول على قلتها أصبحت في الحقبة الأخيرة عرضة للتناقص المستمر، بالنظر لتدهور شروط التبادل الدولي التي استمرت منذ فترة ليست بالقصيرة لصالح الأقطار المتقدمة صناعياً . وإذا استثنينا بعض الدول العربية المنتجة للبترول، فإننا نجد ان متوسط دخل الفرد في البلاد العربيـــة يتراوح بين ٨٠ الى ٢٠٠ دولاراً في السنة ، وهي نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بمتوسط دخل الفرد في بلاد غرب أوروبا ، وقد لا تزيد على أن تكون خمس دخل الفرد هناك .

إن وضعاً اقتصادياً كهذا يعوق عملية التنمية الاقتصادية اعاقة كبيرة ، ويقف عقبة وسداً منيعاً في سبيل تحقيقها . ولهذا فليس من المستغرب ان لا تزيد معدلات النمو في كثير من هذه البلاد عن ثلاثة الى أربعة في المائة في المتوسط ، وإن كانت هذه المعدلات قد ترتفع في بعض الأحيان في البـــلاد العربية التي اكتشفت البترول حديثاً الى حوالي خمسة ونصف في المائة ، كما انها بلغت في الجمهورية العربية المتحدة ، بعد أخذها بمبدأ التخطيط الشامل ، الى حوالي سبعة ونصف في المائة .

إن هذا ما هو عليه الوضع الآن ، وفي حالة التفتت والتفرقة التي يعيشها العالم العربي اليوم . ولكن لو ألقينا نظرة أكثر شمولاً وعمقاً ، لأدركنا انه ليس هناك ما يبرر هـذا الوضع المتخلف الذي تعيشه البلاد العربية حالياً . فالبلاد العربية تزخر بخيرات طبيعية كثيرة ومتعددة . فزيادة على البترول الذي تنتج منه ما يعادل ٢٣٪ من جملة الإنتاج العالمي ، ويبلغ احتياطها منه حوالي ٦٠٪

من المخزون العالمي ، فهي أيضاً تمتلك ثروات معدنية من الكروم والرصاص والحديد والفوسفات والمنغنيز والفحم والنحاس مما يشكل قاعدة عريضة لقيام الصناعات الثقيلة . كما انها أيضاً تنتج من الحاصلات الزراعية - مثل القمح والأرز والقطن والموالح والحبوب الزيتية - ما يمكنها ، مع الثروة المعدنية ، من اقامة اقتصاد متكامل بشقيه الزراعي والصناعي . هذا زيادة على ان بعض الدول العربية تمتلك من ناحية أخرى أرصدة ضخمة من العملات الأجنبية الحرة التي لو استغلت في داخل نطاق البلاد العربية لأوجدت حلاً لمشكلة قلة رأس المال اللازم للاستثمار، التي تلازم كثيراً من البلاد العربية الأخرى ، ولأصبح في الامكان الاستغناء عن القروض الأجنبية ذات الشروط المجحفة اقتصادياً وسياسياً ، والتي تلجأ اليها بعض دول الوطن العربي مدفوعة لذلك بضرورات ومتطلبات التنمية العاجلة التي تمليها أماني وتوقعات المواطنين الملحة لحياة أفضل .

هذه هي الأرضية الصلبة والحقائق الثابتة التي يجب ان تنبع منها المناداة بالوحدة العربية من ناحية الواقع المعاش والمصالح المشتركة لجميع الشعوب العربية .

ان حقيقة اتساع الوطن العربي بكل ما فيه من مقومات النمو الاقتصادي من موارد بشرية واقتصادية وطبيعية ورؤوس أموال تساند الاستثمار وتدفعه ، وهي التي تضع الأسس الموضوعية وتفتح الطريق الى الوصول الى القاعدة الاقتصادية العريضة التي يمكنها أن تحقق لجميع أقطار الوطن العربي الوصول الى بناء المجتمع الاشتراكي الواحد عن طريق التخطيط الاقتصادي الشامل .

إنني أقول هذا وأنا مدرك تماماً لكل الصعوبات العملية التي تقف حائلاً في سبيل تحقيق هذه الأمنية العزيزة في المدى القصير الذي ننشده . فطبيعة مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي في مختلف أقطار الوطن العربي والمشاكل التي تواجه هذه الأقطار ، والظروف السياسية التي تحيط بها ، تشكل بعضاً من هذه الموانع والعقبات . هذا من ناحية ، ولكن هناك من الناحية الأخرى الأشكال العديدة للتعاون الاقتصادي على شتى الطرق والمستويات التي يتم الاتفاق عليها عن طريق الجامعة العربية ، كاتفاقية السوق العربية المشتركة ، واتفاقية الوحدة الاقتصادية بين البلدان العربية ، وغيرها من المشروعات الاقتصادية العربية المشتركة : كالصندوق العربي للإنماء الاقتصادي ، والشركة العربية للملاحة البحرية ، والتي وإن كانت لاترقى الى المستوى الذي يتطلبه التخطيط الاقتصادي الشامل ، والتي تتعثر في كثير من الأحيان في وضعها موضع التنفيذ الفعلي ، فهي ، بالرغم من هذا ، تدل دلالة واضحة على الاحساس العميق بما يمكن أن تحققه اقطار الوطن العربي من خلال انواع التنسيق الاستثماري والتعاون الاقتصادي المشترك لمصالح كل الشعوب العربية مجتمعة .

وإذا كانت العوائق السياسية والاجتماعية قد جعلت من تحقيق التكامل الاقتصادي بين جميع شعوب الوطن العربي أمراً عسير المنال في الوقت الحاضر ، فقد هيأت الظروف المواتية التي تحققت بعد قيام ثورة الخامس والعشرين من مايو ( أيار ) وثورة الفاتح من سبتمبر ( ايلول ) الظروف الموضوعية الملائمة لتحقيق تكامل بين السودان والجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الليبية على أساس اتفاق كامل في الفكر والعقيدة ، واقتناع بحتمية التطبيق الاشتراكي ، وصولاً

الى وحدة شاملة بين الأقطار الثلاثة . وان هذه التجربة ستكون بلا شك عند اكتمالها ليس فقط النواة للتكامل الاقتصادي للعالم العربي بأكمله ، بل أيضاً مثلا يحتذى به وتجربة تجني ثمارها كل الشعوب العربية . إذ أن الأساس الاقتصادي الذي ستقوم عليه هذه التجربة تهيأت فيه كل العوامل اللازمة لانجاح مثل هذا التكامل . فالجمهورية العربية بامكانياتها الصناعية المتقدمة وخبراتها الفنية والعلمية المتوفرة ، والجمهورية الليبية بثروتها البترولية العظيمة ورصيدها الضخم من عائدات البترول ، والجمهورية السودانية بثرواتها الزراعية الهائلة وأراضيها البكر الشاسعة . . كل هذه الموارد المادية والبشرية والمالية لابد أن تخلق مجتمعة قاعدة اقتصادية عريضة وعميقة تؤدي الى انطلاق اقتصادي يكون من الخير والرفاهية لسكان الأقطار الثلاثة ، ويكون أيضاً مصدر منعة وقوة للعالم العربي بأكمله .



ان الحديث الذي سقناه سابقاً هو في الواقع تطلعات لما قد ينبغي أن يكون عليه الهيكل الاقتصادي للثورة العربية على المدى الطويل . أما في هذه اللحظات الراهنة ، والأمة العربية تعاني من آثار الهزيمة ، ومطالبة أن تعبىء كل مقدراتها وامكانياتها لتقف موقف الصمود أمام العدوان الاسرائيلي الغادر ، ومن خلفه الاستعمار الامريكي يمده بالمال والسلاح والرجال ، فليس أمام الأمة العربية غير أن تقوم بتعبئة وتنظيم جميع مواردها ومقدراتها من أجل توجيهها نحو المجهود الحربي . انه بالطبع من غير المتوقع أن تقوم جميع الدول العربيـــة بتحويل اقتصادها الى اقتصاد حرب ، إذ أن تأثر هـذه الدول بالحرب ليس على مستوى واحد . فدول المواجهة هي بلا شك الدول التي تجد نفسها في وضع يفرض عليها أن تعطي الأسبقيـــة للمجهود الحربي ، وذلك بحشد جزء متزايد من مواردها

للمجهود الحربي . وهذا يقتضي إدخال نوع من التغيير على الأسبقيات والعلاقة في تخصيص الموارد بين الاستثمار والاستهلاك لصالح الاستهلاك الحربي .

ان عملية كهذه لا تخلو أن يكون لها تأثير على المجهود الضخم ، الأمر الذي كانت تقوم به هذه البلاد في عمليـــة التنمية للقضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي بين سكانها . غير أن هذا التأثير يجب أن لا يسمح له بأن يبلغ المدى الذي يعوق عمليات التنمية في هذه الأقطار ، وذلك لأن أحد أهداف العدوان هو في الحقيقة صرف أنظار الدول العربية عن القيام بعمليات التغيير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية للبقاء في وضع ضعيف متخلف يسهل معه أن تكون فريسة سهلة للاستعمار ومؤامراته . ثم ان القيام بحرب ممتدة وطويلة مثل التي تخوضها الآن الدول العربيـة تتطلب المزيد من الانتاج والمزيد من العمل على تطوير قوى الانتـــاج وطرقه حتى يستطيع اقتصاد هذه الأقطار مواجهة احتياجات الحرب الحديثة .



ان موضوع اقتصاد الحرب وعلاقته بعمليـة التنمية كان من المواضيع التي لاقت اهتماماً كبيراً من الاقتصاديين في أقطار المواجهـــة ، وعلى الأخص في الجمهورية العربية المتحدة . وقد انتهت وجهات النظر الى ضرورة توجيه الاقتصاد نحو المجهود الحربي مع استمرار عملية التنمية في نفس الوقت .

ان عملية كهذه ، لاشك ، عملية شاقة وعسيرة ، فالموارد المتاحة لهذه الأقطار موارد محدودة ، وكانت تواجه ضغطاً حتى قبل الحرب بالنسبة للاتجاه نحو تحقيق معدلات عالية للتنمية للاسراع بعملية التحول الاشتراكي . ولهذا ، والحالة هذه ، فان الاستمرار في عملية التنمية ، مع مواجهـــة متطلبات المجهود

الحربي ، لابد أن يؤدي الى الضغط على الاستهلاك في هذه الأقطار ، ولو أن مجرد الضغط على الاستهلاك قد لايتيح الموارد الكافية لما يقتضيه خوض حرب حديثة من موارد . وهنا يأتي دور الدول العربية الأخرى التي تجد نفسها خارج خط المواجهة ،فيكون واجبها أن تمد دول المواجهة بكل المواردوالامكانيات التي تمكنها من الاستمرار في مواجهة العدوان حتى النصر . إذ ان العدوان الاسرائيلي لايستهدف دول المواجهة فقط ، وانما يستهدف الدول العربية بأجمعها والحضارة العربية نفسها .

لقد حاولت فيما قدمت أن أورد بعض الأسس والملاحظات التي لابد أن يتجه اليها انتباه الباحث في أمر الهيكل الاقتصادي الأمثل للثورة العربية استجلاءً لطبيعة بعض جوانبها الهامة ، بقصد تقديم بحث متكامل وشامل .

فأرجو أن يتقبلها الأخوة بهذا الاعتبار . اني في الحقيقة قد آثرت ماآثرت لفتح باب الحوار حتى يخرج موضوع «الهيكل الاقتصادي للثورة العربية» اكثر اكتمالا بعد الدرس والنقاش .

# دعوا النفط المؤمّم يتدفق

بحث : الشيخ عبد الله الطريقي

هنالك مثل امريكي يقول : « لا يمكنك أن تأكل الكعكة وتحتفظ بها في نفس الوقت » وهذا المثل ينطبق على السياسات التي تمارسها الحكومة الامريكية حيال الوطن العربي . فهي تريد تحطيم القوى التقدمية في الوطن العربي عن طريق بناء قاعدة عسكرية مدمرة لهم على ارض فلسطين ، وفي نفس الوقت تريد السيطرة على موارد النفط والأسواق العربية وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، وهنا يجب أن نميز بين حكومة امريكا وشعب امريكا ، لا تمثل بالضرورة إرادة الشعب الأمريكي لأن شعب امريكا ينتخب حكومته عن طريق انتخاب رئيسه ومجلس برلمانه ، ثم يذهب ليمارس نشاطه الحياتي بعيداً عن السياسة . وقد استغل الساسة الأمريكيون والصهيونية انشغال الرأي العام الأمريكي في مشاكله اليومية ، واخذوا يتصرفون بما توحي به مصالحهم الخاصة . والسياسي الأمريكي يعتقد

ان كل ما هو في مصلحته هو في مصلحة امريكا . واليهودي الامريكي ، الذي تعتمد عليه الصهيونية في الحصول على المساعدة والعون من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي ، يعتقد اعتقاداً عميقاً ان قيام دولة اسرائيل في فلسطين هو في مصلحة اليهود في كل مكان كما هو في مصلحته الخاصة ، وليست هناك مصلحة اخرى يهمه الدفاع عنها . وهذا الكلام لا يعني أنه لا يوجد بعض اليهود الذين لا يرون وجود علاقة بين انشاء دولة صهيونية في اي مكان في العالم واليهود المنتشرين في البلاد المختلفة . وهذه الفئة القليلة جداً تعتبر أن الدين اليهودي دين كالأديان السماوية الأخرى ، ولا يوافقون على تفسيره بأنه في نفس الوقت قومية وعنصر . ولسوء حظ الأمة العربية التقت مصالح اليهود ، سواء كانوا من الصهيونيين الذين يبحثون لأنفسهم ولبقية شعبهم « المختار » كما يدعون ، عن مكان ينطلقون منه الى اقصى مدى يمكنهم الوصول اليه ، او كانوا من اليهود الرأسماليين الذين تعودوا السير في ركاب الاستعمار لتحقيق اهدافهم في جمع المال ونهب ثروات الشعوب المتخلفة . التقت هذه القوى الشريرة مع الاستعمار البريطاني فوق أرضنا ، وهي تحاول جاهدة تشريد الإنسان العربي ونهب ثرواته الطبيعية . فخلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين وهؤلاء المستعمرون والطامعون في ثروات ارضنا والواقع الجغرافي الاستراتيجي لبلادنا يسلطون علينا كل مالديهم من قوى ، للحفاظ على الإنسان العربي متخلفاً والبلاد العربية متفرقة ممزقة ، ليتسنى لهم من خلال ذلك السيطرة على الأرض والتراث والأجواء . وبعد الحرب العالمية الأولى ، حلت الولايات المتحدة الأمريكية فوق ارضنا . وقد دفع لها الحلفاء المستعمرون ثمن مساعدتها لهم اثناء الحرب امتيازات نفطية في الأرض العربية . وبعد الحرب العالمية الثانية تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية ـ بقوتها العلمية والاقتصادية ـ من أن تكون

لها السيطرة الأولى على الثروات النفطية والأسواق العربية. والنفط العربي ضرورة قصوى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، لا لتستورده الى بلادها حيث لا تأخذ منه أكثر من ٣ ٪ ( ثلاثة في المائة ) من مجموع حاجياتها من المنتجات النفطية، ولكن لتتاجر به في جميع انحاء العالم وتشهره كسلاح استراتيجي للضغط الاقتصادي على الدول الصغيرة والكبيرة. وامريكا تملك ٥٩،٩ ٪ من امتيازات النفط في الوطن العربي مقسمة على النحو التالي :

٣٨،٦ ٪ في منطقة الخليج العربي ( وتمثل هذه النسبة ٥٥،٩ ٪ من انتاج منطقة الخليج العربي ) .

و ٢١،٣ ٪ في شمال افريقيا ( وتمثل هذه النسبة ٦٨،٩ ٪ من انتاج شمال افريقيا ) .

وهي تملك وتؤجر لآجال طويلة، اغلبية وسائل النقل من ناقلات ومن انابيب تنقل النفط العربي الى أسواقه، وتملك ٣٩،٣ ٪ من مجموع طاقة معامل العالم التكريرية. والشركات العالمية الكبرى المعروفة بالكارتل هي :

١ - شركة ستاندارد أويل أوف نيوجرسي الامريكية .

٢ - شركة ستاندارد أوف كاليفورنيا الامريكية .

٣ - شركة جالف أويل كوربوريشن الامريكية .

٤ - شركة تكساس الامريكية .

٥ - شركة موبيل الامريكية .

٦ - مجموعـــة رويال داتش شل، ويملكها الهولنديون والانجليز بنسبة ٦٠ - ٤٠ في المائة على التوالي .

٧ – شركة البترول البريطانية ، وتملك الحكومة الانجليزية ٤٨ ٪ من اسهمها ولها حق الفيتو في مجلس ادارتها ، حتى ولو هبطت اسهم الحكومة الى حوالي ٢٥ ٪ فقط .

وتأتي بعد هؤلاء شركة البترول الفرنسية ، وهي تعتبر احياناً من نفس المجموعة ، وتملك الحكومة الفرنسية ٣٤ ٪ من اسهمها وتسيطر على ٤٠ ٪ من اصوات الجمعية العمومية .

## الجدول رقم ( ١ )

| | | | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| – مجموع انتاج المصالح الامريكية من النفط العربي | ١٢،٧١٦،٢١٣ | برميل يومياً | ٥٩،٩ |
| – « « « البريطانية « « « | ٧،٦٢٢،٢٠٢ | « « | ١٩،٢ |
| – « « « الفرنسية « « « | ٢،٤٣٨،١٣٦ | « « | ١٠،٣ |
| – « « « الهولاندية « « « | ١،٣٠٠،٩٥٢ | « « | ٣،٨ |
| – « « « اليابانية « « « | ٤٨٢،٥٧٢ | « « | ٢،٦ |
| – « « « الاجنبية الاخرى « « | — | « « | ٤،٢ |



ان هذه المجموعة التي تسيطر على أكثر من ٥٠ ٪ من انتاج العالم وطاقة تكريره وتسويقه ونقله ، اغلبيتها من الشركات الامريكية ، ومعظمها لهـا احتياطي في الوطن العربي أكثر مما لها في أي مكان آخر . وقد جمعت معظم ثروتها من ارباح النفط العربي . ولو فقدت هذه الشركات مصادر النفط العربي لما ظلت لمدة كبيرة تعتبر شركات عالمية كبرى . فهي قد بنت معظم وسائل نقلها ووسائل تكريرها ووسائل تسويقها من ارباح النفط العربي ، حيث ان تكلفة انتاج البرميل الواحد من النفط العربي حتى عام ١٩٥٠ لم تكن لتكلفها اكثر من ٢١ سنتاً تدفعها للحكومة المحلية ، بالاضافة الى ١٤ سنتاً ، وهي تكلفـة

اخراج البرميل من الارض . بينما كانت الاسعار التي يباع فيها تتراوح بين ١٫٧٥ دولار الى ٢٫٢٥ دولار للبرميل الواحد .

لقد جمعت شركات النفط في الوطن العربي آلاف الملايين من الدولارات ارباحاً صافية وظفتها في بناء الناقلات وبناء معامل التكرير ووسائل التسويق في انحاء العالم المختلفة ، خصوصاً في اوروبا الغربية واليابان .

وبعد عام ١٩٥٥ ،حيث بدأ العمل بمبدأ مناصفة الارباح بين حكومات البلاد المنتجة للنفط والشركات النفطية العاملة في بلادنا ، اصبح البرميل من النفط العربي يكلف الشركات في المتوسط دولاراً واحداً . وبعد ان تنقله الشركة وتكرره وتسوّقه لاتقل أرباحها منه عن دولار واحد في العملية، بينما لاتقل مجموع الضرائب المباشرة وغير المباشرة التي تجنيها حكومات البلاد المستهلكة على المنتجات المستخرجة من البرميل الواحد عن خمسة دولارات . ولهذا فإن برميل النفط العربي لايعطي ارباحاً للشركات فقط ، ولكنه يلعب دوراً مهما جداً في اقتصاديات البلاد التي تستورده ، وهو ضرورة قصوى لتسيير الصناعات في اوربا الغربية واليابان . كما انه مصدر للطاقة المحركة للاساطيل والقواعد الاميركية في اوربا والشرق الاقصى . ولو فقدت هذه الشركات مواردها من النفط العربي فانها ستضطر لشرائه بأسعاره المعلنة من مصادره الغربية وغير الغربية ولكن بسعر يزيد دولاراً عما تأخذه به الآن .

## قطع امدادات النفط وتخريب المنشآت النفطية

ان كاتب هذه السطور لايؤمن بقطع امدادات النفط عن أي بلد ماعدا البلاد التي نكون في حالة حرب معها . ويجب ان يكون شعارنا : « دعوا النفط

المؤمم يتدفق ، يجب ان تستقبل البلاد العربية كل ناقلة ترغب ان تمتلىء من نفطنا وهي مستعدة ان تدفع الثمن العادل . وكاتب هذه السطور يعتبر ان وجود الشركات الاجنبية لاستغلال الثروات النفطية في معظم اجزاء الوطن العربي في الوقت الحالي يشكل عبئاً اقتصادياً على الامة العربية ، وليست هناك ضرورة لبقاء هذه الشركات . فنحن نملك من النفط الثابت وجوده في الارض العربية مايعادل ٣٢٦ بليون برميل . وهذه الكمية تمثل ٦٢٪ من مجموع احتياطي العالم الذي يبلغ ٥٢٣٫٨ بليون برميل طبقاً لآخر احصاء ( ١٩٦٩/١٢/٣١ ) . وهذه الثروة الطبيعة العظمى موجودة بالدرجة الأولى في منطقة الخليج العربي، وشمال العراق ، وخليج السويس والصحراء الغربية في الجمهورية العربية المتحدة والصحراء الليبية ، وصحراء الجزائر ( راجع الجدول رقم -٢- ) . وهذا التوزيع الجغرافي لثروتنا النفطية يسهل ايصال النفط الى اسواقه في القارات المختلفة .

والنفط من الحقول العربية يمكنه ان يتدفق ، اذا ماحافظنا على انتاجه بطريقة علمية ، الى مائة سنة منذ الآن . والسبب الذي يجعلنا نقرر ان صناعة النفط العربية لم تعد بحاجة الى الشركات الاجنبية هو ان مجموع الآبار المنتجة للنفط في الوطن العربي يعادل ٤٠٦٠ بئراً تنتج يومياً ١٣٫١ مليون برميل، طبقاً لارقام عام ١٩٦٩ ، أي ان متوسط انتاج البئر الواحدة هو ٣٢٢٦ برميلاً (ثلاثة آلاف ومائتين وستة وعشرين برميلاً ) في الاربعة والعشرين ساعة ، بينما يبلغ متوسط الانتاج للبئر الواحدة في اكبر دولة منتجة للنفط في العالم وهي الولايات المتحدة الاميركية اثناعشر برميل في اليوم . ويوجد في ولاية بنسلفانيـــا وهي احدى الولايات الاميركية المنتجة للنفط خمسة وثلاثين الف بئر (٣٥٠٠٠ بئر) لاتنتج الواحدة منها اكثر من برميل واحد في اليوم .

جدول رقم (٣)

## الاحتياطي النفطي الثابت وجوده ومجموع الانتاج اليومي ومعدل انتاج البئر الواحدة في الوطن العربي وفي اهم المناطق الاخرى المنتجة للنفط في العالم لعام ١٩٦٩ .

| البلد | الاحتياطي الثابت وجوده نفط خـــام بآلاف البراميل | غاز طبيعي بمليارات الاقدام المكعبة | الانتاج اليومي من النفط الخام مقدراً (بآلاف البراميل) | معدل انتاج البئر الواحدة من النفط الخام (براميل يومياً) |
|---|---|---|---|---|
| **البلدان العربية في منطقة الخليج** | | | | |
| المملكة العربية السعودية | ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ | [illegible] | ٢,٩١٤,٦ | ٦,٩٧٣ |
| الكويت | ٦٨,٠٠٠,٠٠٠ | ٢٩,٠٠٠ | ٢,٥١٨,٠ | ٣,٤١٦ |
| العراق | ٢٧,٥٠٠,٠٠٠ | ١٩,٥٠٠ | ١,٥٢٩,٠ | ١٢,٥٣٠ |
| ابوظبي | ١٦,٠٠٠,٠٠٠ | ١٠,٠٠٠ | ٦٠٠,٩ | ٦,٦٨٧ |
| البحرين | ٣٤٣,٠٠٠ | ١,٠٠٠ | ٧٦,٠ | ٣٦٩ |
| مسقط وعمان | ٥,٠٠٠,٠٠٠ | ١,٥٠٠ | ٣١٧,٦ | ٦,٣٥٢ |
| المنطقة المحايدة | ١٣,٠٠٠,٠٠٠ | ٣,٥٠٠ | ٤٥٤,٧ | ١,٠٠٦ |
| قطر | ٥,٥٠٠,٠٠٠ | ١٠,٠٠٠ | ٣٥٥,٢ | ٥,٢٢٣ |
| سوريا | ١,٥٠٠,٠٠٠ | ٥٠٠ | ٦١,٢ | ٩٥٨ |
| مجموع البلدان العربية في منطقة الخليج | ٢٧٦,٨٤٣,٠٠٠ | ١٣٤,٥٠٠ | ٨٢٧,٤ | |

## البلدان العربية في شمال افريقيا

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الجزائر | ٨،٠٠٠،٠٠٠ | ١٥٠،٠٠٠ | ٩٣٦،٦ | ١،٢٤٠ |
| ج ٠ ع ٠ م ٠ | ٥،٠٠٠،٠٠٠ | ٥،٠٠٠ | ٢٣٦،٤ | ١،٠٩٤ |
| ليبيا | ٣٥،٠٠٠،٠٠٠ | ٣٠،٠٠٠ | ٣،٠٦٦،٧ | ٣،٥٢٩ |
| المغرب | ٧،٥٠٠ | ١٨ | ١،٤ | ٣٥ |
| تونس | ٥٠٠،٠٠٠ | ١،٠٠٠ | ٧٩،٦ | ١،٧٣٠ |
| مجموع البلاد العربية في شمال افريقيا | ٤٨،٥٠٠٧٥،١٠٠ | ١٨٦،٠١٨ | ٤،٣٢٠،٧ | |
| مجموع العالم العربي | ٣١٥،٣٥٠،٥٠٠ | ٣٢٠،٥١٨ | ١٣،١٤٨،١ | |

## اهم المناطق الاخرى المنتجة للنفط في العالم

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الولايات المتحدة الامريكية | ٣٨،٧٠٠،٠٠٠ | ٢٨٣،٠٠٠ | ٩،١٧٧،٦ | ١٢ |
| كندا | ٨،٧٨٢،٠٠٠ | ٥٠،٦٥٠ | ١،٢٠٠،٠ | ٥٢ |
| فنزويلا | ١٤،٧٥٠،٠٠٠ | ٢٥،٠٠٠ | ٣،٥٨٠،٠ | ٣٦١ |
| الاتحاد السوفيتي | ٦٠،٠٠٠،٠٠٠ | ٣٥٠،٠٠٠ | ٧،١١٨،٦ | ١٢٧ |
| نيجيريا | ٥،٠٠٠،٠٠٠ | ٥،٠٠٠ | ٥٣٧،٣ | ٣،٢١٧ |
| اندونيسيا | ٩،٠٠٠،٠٠٠ | ٢،٣٠٠ | ٨٢٤،٦ | ٣٥٤ |
| ايران | ٥٥،٠٠٠،٠٠٠ | ١٠٠،٠٠٠ | ٣،٣١٤،٤ | ١٤،١٦٤ |

## هل يمكن مقاطعة النفط العربي في حالة تأميم صناعته ؟

اذا تصورنا ان البلاد العربية قررت مقاطعة اميركا رداً على التحدي الاميركي الشرس وانحيازها التام لاسرائيل وقررت تأميم جميع ممتلكات اميركا

وايقاف التعامل الاقتصادي معها ، فما الذي سيحدث؟ هل سيقاطع حلفاء اميركا النفط العربي ويذهبون الى مصادر اخرى ؟ هل ستقاطع اميركا شراء النفط العربي بعد تأميمه ؟ هل ستقاطع اليابان النفط العربي ؟ على هـــذه الاسئلة سنجيب ، وسيتضح للقارىء الكريم ان قوتنا التفاوضية ممتازة جداً وانه بامكاننا ان نؤمم اسهم الشركات الاميركية العاملة في صناعـــة النفط دون ان يتغير أي شيء او يجرؤ اي سياسي سواء كان في اميركا او في اليابان على مجرد اقتراح مقاطعة النفط العربي في الأسواق العالمية . فاستهلاك العالم ، بما فيه الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى ، يقدر بحوالي ٤١٫٥ مليون برميل يومياً طبقاً لاحصائيات عام١٩٦٩ ، تنتج منهااميركا وكندا وبقية نصف الكرة الغربي ١٥و٤ مليون برميل يومياً ، وينتج منها الاتحاد السوفياتي وبقية الدول الشرقيـــة ٧و١ مليون برميل يومياً ، وتنتج ايران ٣و٣ مليون برميل يومياً ، وينتج الوطن العربي منها ١٣و١ مليون برميل : ٨و٨ مليون برميل يومياً من منطقة الخليج العربي و ٣و٤ مليون برميل يومياً منشمال افريقيا العربية ( الجمهورية العربية المتحدة ، ليبيا، الجزائر ) . وهناك مصادر اخرى كاندونيسيا ونيجيريا ليست بذات أهمية في الوقت الحاضر ، اذ لايوجد حالياً لدى هذه البلاد احتياطي نفطي كبير يجعلها قادرة في المستقبل على زيادة امداداتها الى الاسواق العالمية ، ولكن بتكلفة اعلى بكثير من تكلفة انتاج النفط العربي . كما ان الاكتشافات الجديدة للنفط الخام في الاسكا ، والغاز الطبيعي في بحر الشمال ، لن تكون قادرة كما تدل النتائج التي عرفت حتى الآن على ان تصبح منافسة للمصادر العربية .

وقد يستطيع النفط من (ألاسكا) زيادة امدادات الساحل الغربي للولايات المتحدة . كما ان غاز بحر الشمال يستهلك كل ما ينتج منه في الجزر البريطانية .

## جدول رقم (٣)

### الدول المستوردة للنفط العربي عام ١٩٦٨

| اسم البلد المستورد | مجموع ما تستورده من الوطن العربي |
|---|---|
| النمسا | ٢,٧٦٧ |
| بلجيكا | ٣٢٤,٥١٧ |
| الدانمرك | ١١١,١٦٣ |
| فرنسا | ١,٤١٤,٤١٧ |
| المانيا الغربية | ١,٣٩٢,٦٥٠ |
| اليونان | ٧٤,٧١٧ |
| ايرلندا | ٣٨,٢٧٢ |
| ايطاليا | ١,٥١٨,٨٠٤ |
| هولندا | ٥٩٨,٨١٤ |
| النرويج | ٦٧,٩٦٣ |
| البرتغال | ٣٦,٥٨٦ |
| اسبانيا | ٤٤٥,٨٢٢ |
| السويد | ٩٧,٢٤٨ |
| سويسرا | ٨٠,٠٥٩ |
| تركيا | ٦٨,٥١٣ |
| المملكة المتحدة | ١,١٩٨,٧٧٤ |
| الولايات المتحدة الاميركية | ٣٦٧,٣٧٠ |
| اليابان | ١,٧٤٤,٦٩٩ |
| كندا | ٦٨,٤٩٤ |
| بلاد أخرى | ٢,٠٣٤,٦٧٧ |
| المجموع | ١١,٦٨٦,٣٧٦ |

وبالامكان أن يصل الغاز العربي من الجزائر وليبيا في المستقبل الى الجزر البريطانية بتكلفة أقل من تكلفة انتاج غاز بحر الشمال نظراً لارتفاع تكلفة الانتاج وصعوبة المحافظة علي منشئات الانتاج والتجميع لرداءة الجو في بحر الشمال . والجدول رقم (٣) يبين أهم البلاد المستوردة للنفط العربي والكميات التي تستوردها من هذا النفط .

وهكذا نرى انه ليس من السهل ، بل يكاد يكون من المستحيلات ان تقاطع اوروبا أو اليابان النفط العربي ، لأن ذلك سيرغمها ولاشك على دفع ثمن باهظ لتغيير المصادر العربية بمصادر أخرى ، علماً بأن المصادر الاخرى لن تكون قادرة على الاستمرار في مدها بالنفط اللازم لها لآجال طويلة . كما انمقاطعة النفط العربي معناه اضطرارها الى كثير من الصعاب كأن تستعمل الفحـــم بدلاً من المواد النفطية ، او ايقاف كثير من الصناعات في بعض البلاد الأخرى التي قد لايكون فيها مصادر اخرى محلية للطاقة او لاتكون قادرة على دفع ثمن النفط الاميركي او الكندى او الفنزويلي . فلو اخذنا السوق الأوربية المشتركة ومعها بقية بلاد اوروبا ، فاننا نرى بأنها تستورد من النفط العربي حوالي ٨٫١ ملايين برميل يومياً ، أي مايعادل ٧٣٪ من مجموع ماتستورده (١١٫١ مليون برميل يومياً) . ويبلغ ماتجمعه من ضرائب مباشرة وغير مباشرة عن البرميل الواحد المستورد الذي يصل الى بلادها ١٠٫٥ دولار للبرميل ، كما يظهر من دراسة منظمة الاوبك عن قيمة برميل النفط المنتج في البلاد الأعضاء في المنظمة في اوروبا بعد تكريره وبيعه للمستهلكين التي نوردها فيما يلي :

| | |
|---|---|
| متوسط تكلفة انتاج البرميل الواحد | ٢٨،٥ سنتاً |
| اجرة نقل البرميل الواحد | ٦٨ سنتاً |
| تكلفة تكرير البرميل الواحد | ٣٥ سنتاً |
| مصاريف التخزين والتوزيع للبرميل الواحد | ١،٧٩ سنت |
| الارباح الصافية للشركات المنتجة عن البرميل الواحد | ٦٨،١ سنتاً |
| ضرائب الحكومات المستهلكة | ٥،١٠ دولار |
| دخل الحكومات المنتجة من البرميل الواحد | ٨٥،٣ سنتاً |

ويجب ان يلاحظ ان تكلفة الانتاج هنا تمثل متوسط تكلفة الانتاج في جميع البلاد الأعضاء في منظمة الدول المصدرة للنفط ، وتقل تكلفة الانتاج في معظم البلاد العربية عن هذا الرقم . واذا مافكرت هذه البلاد في ان تستورد النفط من بلاد اخرى فلن تجد في أي حال من الأحوال الكميات الكافية لسد حاجتها ، لماذا ؟ للأسباب التالية :

١ ـ الولايات المتحدة الاميركية التي يمكن لأوروبا ان تلجأ اليها تنتج ٩،٢ مليون برميل وتستورد ٦،١ مليون برميل يومياً ، ويمكنها ان تزيد من من انتاج آبارها في الحالات الضرورية القصوى لكي تنتج زيادة عن متوسط انتاجها، بما يعادل مليوني برميل في اليوم الواحد .

٢ ـ وفنزويلا التي كانت تعتبر حتى شهور قليلة اول دولة مصدرة في العالم تنتج ٣،٥٨ مليون برميل في اليوم الواحد وتستهلك ٢٢٧ الف برميل يومياً والباقي يصدر على شكل منتجات ونفط خام يذهب معظمه الى الولايات المتحدة الاميركية ، ومايعادل ١٥٪ من مجموع صادراتها يذهب

الى اوربا الغربية وهذا يعادل ٥٪ من مجموع واردات تلك البلاد . ويمكنها ايضاً ان تزيد انتاجها بحوالي نصف مليون برميل اخرى .

٣ – نيجيريا التي دمرتها الحروب الأهلية والتي تنتج في الوقت الحاضر مايعادل ٦٠٠ الف برميل قد تكون قادرة على انتاج مايعادل مليون برميل يومياً في آخر هذا العام .

٤ – الاتحاد السوفياتي الذي يمد أوربا الشرقية حالياً بمعظم ماتحتاجه من نفط خام ومنتجات نفطية لاتزيد في مجموعها عن مليون برميل في اليوم الواحد قد أعلن لحلفائه في اوربا الشرقية ان عليها ان تبحث عن مصادر اخرى للنفط ، لأنه لن يكون قادراً في المستقبل على مدها بكل ماتحتاج اليه من مواد نفطيـــة . وسيكون هو ايضاً مضطراً في المستقبل غير البعيد على ان يستورد النفط لمناطقه الجنوبية لأن آبار تلك المناطق قد بدأت تجف ، وهي مصدر مهم للطاقة لصناعات كبيرة في الاتحاد السوفياتي . وارخص طريقة لاستمرار العمل في تلك المناطق هو استيراد نفط قليل التكاليف كالنفط العربي والايراني . وقد باشروا فعلاً بالعمل على استيراد الغاز الطبيعي الايراني حيث ينقلونه بالأنابيب من جنوب ايران الى المناطق الروسية الواقعة على بحر قزوين .

ان اوروبا الغربية واليابان اللتان تستهلكان يوميا ١٤و١ مليون برميل من المواد النفطية ارتبطت اقتصادياتها بحقول النفط العربي ، وهي لن تستطيع في المستقبل المنظور ان تجد بـــديلا عن النفط العربي ، ولن تكون في مركز يسمح لها بالخيار من المصادر . وهي يهمها بالدرجة الاولى استمرار تدفق النفط من آباره الى اسواقه بغض النظر عمن يملكه ، كما ان التأميم لن يزيد التكلفة على المستهلك النهائي ، لأن حصة الشركات من انتاج النفط لا تمثل الا ٦و٣ في المائة

مما يدفعه لنا للمنتجات النفطية . ويمكن لحكومات البلاد المستهلكة ان تخصصها من مجموع الضرائب التي تضعها على المنتجات النفطية والتي تبلغ ٤٧٫٥ في المائة من مجموع قيمة المنتجات التي يدفعها المستهلك النهائي . وتبلغ قيمة المنتجات النفطية التي تستخرج من البرميل الواصل الى اسواق الاستهلاك ١٠٫٧٣٩ دولار كما هو مبين في الجدول التالي :

| | دولار | النسبة المئوية للمجموع |
|---|---|---|
| تكلفة الانتاج | ٠٫٢٨٥ | ٢٫٧ ٪ |
| تكلفة التكرير | ٠٫٣٥٠ | ٣٫٣ ٪ |
| أجور النقل بالناقلات | ٠٫٦٨٠ | ٦٫٣ ٪ |
| مصاريف التخزين والتوزيع مع ارباح الموزعين | ١٫٧٩٠ | ٢٦٫٠ ٪ |
| أرباح شركات النفط | ٠٫٦٨١ | ٦٫٣ ٪ |
| الضرائب التي تجمعها حكومات البلاد المستهلكة | ٥٫١٠٠ | ٤٧٫٥ ٪ |
| دخل البلاد المنتجة | ٠٫٨٥٣ | ٧٫٩ ٪ |
| | ١٠٫٧٣٩ | ١٠٠٫٠ |

المرجع : نشرة أوبك لشهر سبتمبر ١٩٦٩

إن تأميم نصيب الشركات الأميركية في صناعة النفط العربية هو العمل القانوني السليم الذي يمكن للوطن العربي ان يلجأ اليه ، إمـــا قطع الامدادات النفطية ، او تخريب المنشآت النفطية في البلاد العربية فهذا عمل محفوف بالمخاطر وسلاح ذو حـــدين ، وأحسن مايمكن ان نستشهد به في هذا المجال قول المستر

انتوني ايدن في عام ١٩٥٦ للمستر خروتشوف والمستر بولغانين عندما كانا يزوران المملكة المتحدة حيث قال لهما ما معناه: « لكن معلوماً للجميع اننا لانستطيع ان نتحمل قطع امدادات النفط من الشرق الأوسط، واننا مستعدون للذهاب الى الحرب لمنع الإقدام على مثل هذا العمل . »

وكذلك قول المستر ويلسون رئيس وزراء الحكومة البريطانية الحالي عندما طلب منه ان تقوم حكومته بالمساعدة على قطع الامدادات النفطية من جمهورية جنوب افريقيا بسبب سياستها العنصرية قال: « انه لايستطيع فعل ذلك لأن قطع الامدادات النفطية عن بلد ما معناه خنق ذلك البلد . ولا بد ان هناك أساليب أخرى يمكن استخدامها للضغط غير قطع إمدادات النفط » . ونحن العرب محتاجون لكل قرش يمكننا ان نجمعه من بيع النفط العربي . فالولايات المتحدة الاميركية ، طبقاً لتقارير وزارة الداخلية الاميركية ، تجمع أرباحاً صافية من النفط العربي ( بعد دفع تكاليف الإنتاج والضرائب للحكومات المنتجة ) قدرت عام ١٩٦٦ بألف ومائة مليون دولار، وهذه تمثل ربحاً على الرأسمال الموظف يقدر بـ ٦٤٫٥٪ . كما ان الولايات المتحدة الاميركية تجمع أرباحاً صافية من التجارة مع البلاد العربية ومن الخدمات التي تقدمها شركات الخدمات الاميركية قدرت بحوالي ٦٠٠ مليون دولار لعام ١٩٦٦ . ولعل من المناسب ان نذكر هنا ان نسبة الأرباح على الأموال الموظفة في صناعة النفط في الخليج العربي هي ٦٤٫٥٪ ، بينما لم تزد هذه النسبة على ٥٫٣٪ في اوربا الغربية وعن ١٣٫٨٪ في اليابان . كما ان اللجنة الوزارية التي شكلها الرئيس الاميركي نيكسون لدراسة نظام استيراد النفط الخام والمنتجات النفطية الى الولايات المتحدة الاميركية قررت في معرض تقديرها لقيمة النفط المستنتج من حقول ولاية الاسكا الجديدة ان نسبة

١٥٪ أرباحاً على الأموال الموظفة هي نسبة مجزية تتناسب مع ما يتعرض له المال من مخاطر . ويقدر مجموع الاستثمارات الامريكية في الشرق الأوسط بمقدار ٢ بليون دولار معظمها في صناعة النفط العربية .

ان تأميم مصالح الولايات المتحدة الامير كية في الوطن العربي ليس عملا قانونياً سليماً فقط ، بل انه العمل الذكي الوحيد الذي يمكننا الاقدام عليه في الوقت الحاضر،لأنه سيضع بين أيدينا زيادة على دخلنا الحالي من النفط تقدر بحوالي ١١٠٠ مليون دولار في العام قابلة للزيادة بنسبة ٧ ٪ سنوياً على الأقل . وهذا المبلغ يمكن أن يوضع معظمه تحت امرة القيادة الموحدة للجيوش العربية والباقي يستخدم في تطوير المشاريع العربية المشتركة . وهذه المبالغ الضخمة تذهب الآن الى المساهمين الأمير كان ، وبعضهم من اليهود الذين يتبرعون بجزء كبير من أرباح أسهمهم لاسرائيل لأنهم ان لم يفعلوا ذلك دفعوها ضرائب لحكومة الولايات المتحدة الامير كية التي تسمح قوانينها باعفاء ما يدفع لاسرائيل من الضرائب . وهم يفضلون بطبيعة الحال دفعها لاسرائيل . وهكذا يعيدون الينا الأموال التي جمعت من بلادنا على شكل طائرات فانتوم وقنابل مدمرة تفتك بالشعب العربي كما فعلت في معمل الصناعات المعدنية في أبي زعبل قرب مدينة القاهرة .

ان تأميم الممتلكات الأمير كية هو الرد العملي والقانوني والرجولي الذي يمكن أن يقدم عليه العرب وسيكون هذا العمل قادراً على أن يهز الرأي العام الاميركي الذي ترك الحبل على الغارب لساسة لم يبرهن معظمهم على صدق حس واخلاص لقضايا بلادهم وقضايا الآخرين ، وجل همهم البقاء على مسرح السياسة لأطول مدة ممكنة ، ولو كان ذلك على حساب تشريد شعب بأكمله وتحويل

أكثر من مليونين من البشر الى لاجئين . ان حرمان اميركا من السيطرة على موارد النفط العربية وطردها من منطقتنا سيقلم أظافرهـــا في أوروبا والشرق الأقصى على الاقل . ولنسمع مايقوله المستر جون ريكا John Ricca مدير مكتب الزيت والغاز التابع للحكومة الاميركية امام مجلس البترول الوطني للولايات المتحدة الاميركية عن أهمية النفط العربي بالنسبة للعالم الغربي ( نصف الكرة الغربي واوروبا واليابان والدول السائرة في فلكهم ) .

يبلغ مايصدر يومياً من النفط الخام من الموانىء العربية على البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي مايعادل ١٣ مليون برميل . يصدر منها ست ملايين برميل من الموانىء العربية على البحر الابيض المتوسط (١٫٥ مليون برميل من موانىء سوريا ولبنان و ٤٫٥ مليون برميل من موانىء ليبيا والجزائر وتونس) .

وقال المستر ريكا ان نقل هذه الستة ملايين برميل يومياً ، من موانىء البحر الابيض المتوسط الى اسواقها ، يحتاج الى طاقة نقل تعادل ٧٠٠ ناقلة من الناقلات المعروفة بـ T 12 ( حمولة الناقلة من نوع T 12 تعادل ١٦٫٥٠٠طن)

ولو أغلقت هذه الموانىء على البحر الابيض المتوسط وفرضنا استمرار تدفق النفط من موانىء الخليج الى اسواقه في اوروبا ، مروراً بطريق رأس الرجاء الصالح ، فان الستة ملايين برميل هذه التي تنقل الآن بما يعادل ٧٠٠ ناقلة من نوع T 2 تحتاج الى طاقة نقل تبلغ ٤٠٠٠ ناقلة من نوع T 2 ، أي اكثر من ست مرات من طاقة النقل التي يمكن استخدامها من البحر الابيض المتوسط الى تلك الأسواق . كما انه ليس من المنتظر ، في حالة انقطاع النفط من موانىء البحر الابيض المتوسط ، ان يزيد التصدير من موانىء الخليج باكثر من ٣ ملايين برميل في اليوم ، وهذا يتطلب زيادة في طاقة النقل قدرها ٢١٠٠ ناقلة من نوع T 2 . كما

أنه بالامكان زيادة الانتاج من مصادر النفط في نصف الكرة الغربي بما يعادل ١,٥ مليون برميل في اليوم الواحد ، وهذه تتطلب طاقة نقل تعادل ٥٠٠ ناقلة من نوع T 2 .

واذا فرضنا تحقق هذه الافتراضات فانه سيظل لدينا نقص قدره ٤,٥ مليون برميل يومياً مع أننا قد احتجنا الى زيادة في طاقة النقل قدرها ٢٦٠٠ ناقلة من نوع T 2 . ولن نستطيع ان نعوض الستة ملايين برميل يومياً ، التي تؤخذ الآن من الموانىء العربية على البحر الابيض المتوسط . وهكذا فان توقف تدفق النفط من البحر الابيض المتوسط سيخلق مشكلة خطيرة في امـــدادات النفط ومشكلة عويصة لعمليات النقل .

أما اذا توقف التصدير من جميع الموانىء العربية فان امدادات الغرب واليابان وبقية الدول غير الشيوعية ستنقص بما يعادل ١٣ مليون برميل في اليوم الواحد او ما يعادل ٦٥ ٪ من امدادات اليابان و ٧٥ ٪ من امـدادات اوروبا الغربية .



ولو ان البلاد العربية لا تمد الولايات المتحدة الاميركية بأكثر من ٣ ٪ من حاجة تلك البلاد الى المواد النفطية . الا ان هذه الكمية تمثل ٢٠ ٪ من طاقة معامل التكرير الموجودة على السواحل الشرقية للولايات المتحدة الاميركية . كما أن تدفق النفط العربي في الموانىء العربية على الخليج العربي سيوقف امدادات نفطية تبلغ ٢٠٠ الف برميل في اليوم الواحد للقوات المحـــاربة الاميركية في الشرق الاقصى . ولو أنه بالامكان امداد هذه القوة من منطقة البحر الكاريبي إلا اننا قد نحتاج الى ضعف عدد الناقلات التي تستخدم الآن لنقل المنتجات النفطية من الموانىء العربية الى تلك القوة الاميركية المحاربة في الشرق الاقصى .

ان السياسات التي تتبعها الولايات المتحدة الاميركية حيال حكومات وشعوب البلاد العربية لايمكن وصفها الا انها حالة من عدم المبالاة والاستخفاف بقدرة حكوماتنا وشعوبنا على أخذ القفاز الذي يلقى على وجوهنا . واحسن مثل على استخفاف اميركا بنا ان الرئيس السابق لندون جونسون اختار ان يعلن بيع طائرات الفانتوم لاسرائيل عندما كان أحد حكام العرب يقوم بزيارة رسمية للولايات المتحدة الاميركية ، كما ان عمدة مدينة نيويورك السيد لينذسي أمر بالغاء حفلة استقبال كانت معدة لحاكم عربي آخر عندما احتج يهود مدينة نيويورك على التصريحات التي القاها هذا الحاكم عن فلسطين وحق العرب فيها . كما ان حاكم ولاية نيويورك المستر نلسون روكفلر ، الذي أنشأ والده شركة ستاندارد اويل اوف نيوجرسي وتملك عائلته اسهما كبيرة فيها ، امتنع هو ورئيس بلدية نيويورك عن استقبال المسيو بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا بسبب موقف فرنسا المعتدل من البلاد العربية . كل هذا يفسر لنا التناقض في تصرفات المستر نيكسون حيال قضية فلسطين والنزاع العربي ـ الصهيوني . فهو يدعي أن الولايات المتحدة الامريكية تتبع سياسة محايدة بين العرب واليهود، ولكن افعاله تدينه بالانحياز لاسرائيل . وهذا أمر طبيعي ولاغرابة فيه لان المستر نيكسون الذي ظل سنوات عديدة يجري وراء أحلام الوصول الى البيت الابيض يريد أن يتأكد بأن تستمر ولايته اربع سنوات اخرى بعد انتهاء ولايته الأولى التي تنتهي في اواخر عام ١٩٧٢ . وقد اتبع كل رؤساء الولايات المتحدة الامريكية الذين يتم انتخابهم بالطريقة التي تم بها انتخاب المستر نيكسون ، أي بأصوات لاتزيد كثيراً عن أصوات منافسه ، على ان يقضوا الأربع سنوات الأولى من ولايتهم في الاستعداد للنجاح لاعادة انتخابهم . وهم عادة لايقدمون على السياسة الجريئة التي قد تنفر

الناخبين منهم ، بل يكون جل جهدهم الاحتفاظ بثقة الذين اتوا بهم الى الحكم وضمان انحياز الاقليات التي لم تعطه اصواتها ، وهذا مايفعله المستر نيكسون الآن . فمن المعروف أن معظم يهود اميركا منعوا عنه أصواتهم في انتخابات عام ١٩٦٨ وهو يريد ان يكونوا في صفه عام ١٩٧٢ . وهو مستعد في سبيل ارضاء يهود امريكا ان يضحي بالعرب ومصالحهم ، وكذلك بالمصالح الامريكية في المنطقة كلها ، لو كان ذلك يضمن له العودة الى البيت الابيض بعد عام ١٩٧٢ .

وليس نيكسون فريداً في اتباع هذا الأسلوب بين رؤساء الجمهورية الامريكية الذين لايستطيعون ان يفرضوا أنفسهم على الناخبين بقوة شخصياتهم ومواهبهم ، ومعظم الرؤساء امثال المستر هاري ترومان والمستر لندون جونسون والمستر نيكسون يصلون الى البيت الابيض نتيجة خطأ تاريخي كما حدث عندما حل المستر هاري ترومان محل المستر روزفلت الذي مات قبل انتهاء ولايته ، والمستر جونسون الذي حل محل المستر جون كنيدي الذي قتل قبل انتهاء ولايته ، ولو لم يقتل شاب عربي المستر روبرت كندي لربما كان التاريخ قد تغير ، ولما وصل المستر نيكسون الى البيت الابيض . وكان من الواضح قبل ان يقتل روبرت كندي انه سينال ترشيح الحزب الديمقراطي وثقة الناخبين الامريكان . ونحن العرب ، كما يظهر ، قد سلط علينا الضعفاء من الرؤساء الامريكان الذين اوصلتهم الاقدار بطريقة ملتوية الى مراكز السلطة .

ان الحكومة الامريكية والشعب الامريكي اناس عمليون تقنعهم الافعال اكثر مما تؤثر فيهم الاقوال . وسيستمر الامريكان في امداد اسرائيل بالاسلحة الفتاكة بالسر والعلانية . وهذا مافعلوه ظلماً وعدواناً على ارضنا في عام ١٩٤٨ . وكثيرون منهم يرون ان من واجبنا ان ندافع عن انفسنا بالرد العملي الفعال

الوحيد وهو تأميم المصالح الاميركية فوق الارض العربية ومقاطعة اميركا اقتصاديا . ولعل احسن مانستشهد به هنا هو كتاب المواطنة الاميركية جوزفين بريستون اروين الذين نورده فيما يلي كما نشر في جريدة المحرر اللبنانيـــــة ، وترى السيدة اروين معنا ان احسن رد على سياسات اميركا الحالية هو تأميم مصالحها في المنطقة :

ان كل اميركي يعرف الحقيقة عن الشرق الاوسط يتعاطف مع العالم العربي ، ومع هذا فان قلائل منا ، هم الذين يعرفون حقيقة مايجري في منطقتكم بسبب السيطرة الصهيونية على الصحافة الاميركية وأيضاً بسبب ان الصهيونية المنظمة في الولايات المتحدة تمثل تهديداً هائلاً للحياة السياسية لدرجة انه لايكاد يوجد سياسي اميركي واحد يجرؤ على الدفاع عن الدول العربية .

ويبدو لي ان مصادرة المصالح الاميركية الرئيسية في البلاد العربية هي وحدها التي يمكن ان تجعل واشنطن تدرك مدى الظلم ومدى غباوة سياستنـــــا الخارجية تجاه عالمكم العربي »

**هل نستطيع ادارة الصناعة بعد تأميمها :**

ان ماتتخوف منه الحكومات العربية هي أنها لو أممت صناعة النفط فلن تستطيع ان تديرها بنفسها . والحقيقة غير ذلك تماماً في معظم البلاد العربية . فالصناعة قد بلغت أوجها من حيث كمية النفط المخزون بالارض الذي يمكنه ان يستمر في التدفق بالمعدل الحالي مائة عام اخرى ، وهذا يعني اننا لانحتاج الى اجراء عمليات البحث والتنقيب عن رواسب النفط .

إذ أن هذه المرحلة من صناعة النفط هي أصعب المراحل واكثرها مخاطرة وتكلفة كما أن اكثر من ٩٠٪ من آبار الحقول النفطية العربية يتدفق النفط منها

بدافع ذاتي . كما ان التسهيلات الموجودة في الحقول العربية تكفي لكي يتدفق النفط الى الناقلات لسنوات طويلة بدون الحاجة لتوظيف اموال جديدة . وهذا يظهر بوضوح من ارقام الأموال التي وظفتها الشركات في السنوات الأخيرة، حيث لم يزد ماوظف من اموال في صناعة النفط في منطقة الشرق الاوسط في عام ١٩٦٦ عن ٢١٦ مليون دولار، بينما بلغت أرباح الشركات الامريكية فقط ١١٠٠ مليون دولار . والحقيقة التي نجهلها نحن معظم العرب ان العمل في حقول النفط العربية والايرانية لايقوم بالجزء المهم منه الامريكان والانجليز والهولنديون وحدهم ، بل معظمه تقوم به الطبيعة . فالضغط الباطني في الحقول يدفع النفط الخام والغاز الطبيعي الى سطح الارض والى فاصلات الغاز والى خزانات التخزين، وبعد ذلك الى الناقلات ، أي بأقل مجهود ممكن من قبل الانسان . وكل مانراه من مدن اميركية وانجليزية تقام على الصحاري العربية ماهي الا جزء من خطة الايهام بأن الصناعة معقدة ، ولابد من تهجير هؤلاء الناس وبناء تسهيلات باهظة الثمن لهم ولعائلاتهم . وكان بالامكان الاستغناء عن معظمهم لأن النفط يصدر خاماً وليس هناك صناعة نفطية بالمعنى الصحيح . وكل ماهنالك عملية استخراج للنفط الخام وتكرير جزء بسيط منه بعمليات تكرير بسيطة لاعداد كميات من الوقود اللازم للناقلات التي تؤجرها الشركات المنتجة او الشركات المالكة لها ، وهذا الوقود يباع بأسعار زهيدة لعدم فرض ضرائب تصدير عليه .

اما عمليات نقل النفط الى اسواقه فيكفي ان نعلم ان هناك ١٢٣,٥٥٥ مليون طن من الناقلات « الجدول رقم ٤ » لابد لها أن تجد اعمالاً . وقد وظفت بها أموال كبيرة ، ولو توقفت عن العمل لسببت خسارة كبرى لاصحابها وللدول التي تحمل اعلامها . وهي تنقل كل النفط العربي الى أسواقه، وهذا يشكل ٥٤,٣٪ من مجموع ماتنقله ، ولهذا فلا تستطيع ان تقاطع النفط العربي .

## جدول رقم (٤)

## الناقلات حمولة ١٠٠,٠٠٠ طن فأكثر
## في منتصف عام ١٩٦٩

| اسم البلد | عدد الناقلات | الحمولة بالطن | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| ليبريا | ٦٥٨ | ٢٩,٧٠٠,٠٥٨ | ٢٤,٠٤ |
| المملكة المتحدة | ٤٠٤ | ١٦,٥٥٣,٧٢٩ | ١٢,٤٠ |
| النرويج | ٣٢٧ | ١٥,٦٤٤,٤٥٠ | ١٢,٦٦ |
| اليابان | ١٥٧ | ١٢,١٠٩,١٦٩ | ٩,٨٠ |
| الولايات المتحدة | ٣٥١ | ٨,٧١١,٥٤٥ | ٧,٠٥ |
| بناما | ١٣٩ | ٥,٠٦٩,٥٥٨ | ٤,١٠ |
| فرنسا | ٩٥ | ٤,٦٧٦,٩٨٤ | ٣,٧٩ |
| اليونان | ١٤٨ | ٣,٨٩١,٥٣٤ | ٣,١٥ |
| الاتحاد السوفيتي | ١٦٤ | ٣,٨٦٥,٣٢٤ | ٣,١٣ |
| ايطاليا | ١١٠ | ٣,٧٦٠,٦٧٦ | ٣,٠٥ |
| هولندا | ٨٥ | ٣,١١٧,٩١٤ | ٢,٥٢ |
| السويد | ٤٨ | ٢,٤١٤,٤٦٣ | ١,٩٥ |
| المانيا | ٤٤ | ٢,٣٣٤,٩٤٤ | ١,٨٩ |
| الدانمرك | ٤١ | ٢,١٥٩,٦٥٣ | ١,٧٥ |
| اسبانيا | ٤٦ | ١,٦٩٠,٥٨٣ | ١,٣٧ |
| آخرون | ٣١٩ | ٧,٨٤٥,٨٠١ | ٦,٣٥ |
| المجموع | ٣,١٣٦ | ١٢٣,٥٥٥,٩١٠ | ١٠٠,٠٠ |

اننا نطالب في هذه المرحلة بتأميم المصالح الامريكية فقط . وبامكاننا ان نثق ان الآخرين سيظلون يعملون جنبا الى جنب معنا لان مصلحتهم تقضي بالتعاون معنا للحصول على النفط الخام باسعار معتدلة ، ولأنهم لن يجدوا مصدرا آخر يكفي كل حاجاتهم من هـــذه المادة الثمينة . اما من الناحية الفنية فلن تواجهنا صعوبات كبيرة لقلة الآبار ولعدم وجود عمليات معقدة في بلادنا . وسنستطيع مع الايام اعداد كل الفنيين اللازمين لصناعتنا ولتطوير هذه الصناعة بحيث تشمل جميع المراحل وتوفر اعمالا لجميع الايدي العاملة العربية لا في بلاد حقول النفط ، بل في جميع البلاد العربية .

ان الامتيازات النفطية فوق الارض العربية هي عملية استعمار اقتصادي بحت ، فالشركات تأتي من بلاد تستورد النفط وهذه الشركات مطلقة اليد في تسعير النفط وهي تشتري اكثر من ٩٠ ٪ من النفط المنتج لتكرره في معامل تكريرها الخاصة . ولهذا فان بيع النفط باسعار مخفضة هو في مصلحة هذه الشركات الخاصة والقومية . والنفط العربي يباع البرميل الواحد منه بطريقة تقل دولارا واحدا عما يجب ان يكون عليه ، وتكلفة اخراج النفط العربي في متوسطها اقل من تكلفة استخراج النفط من المصادر المختلفة الاخرى كامريكا وكندا والولايات المتحده والاتحاد السوفياتي وفنزويلا . كما ان الجدول رقم (٤) يظهر بجلاء ، الاموال التي وظفتها الشركات في السنوات الاخيرة في بلادنا . فهي مثلا لم توظف في صناعة النفط في الشرق الاوسط في عام ١٩٦٦ الا مبلغا متواضعا يعادل مائتين وستة ملايين دولار ( ٢٠٦ مليون دولار ) بينما بلغت ارباحها من عمليات الانتاج فقط الف ومائة مليون دولار ، ووظفت في عمليات التكرير والتسويق في اوربا في نفس العام ٧٧٨ مليون دولار ، علما بان الارباح على تلك الاموال لم تزد عن ( ٦ ٪ ) .

لقد جمعت الشركات النفطية من بلادنا اموالا طائلة عرضت عنها كل

ماوظفته وغامرت في سبيله وحصلت على ارباح لا مثيل لها في العالم وقد آن الاوان، وهذه قد تكون فرصتنا الاخيرة، أن نستعيد منها ثروات النفط العربية ونستخدمها لتطوير امكانيات الارض العربية كلها . والتأميم هو حق شرعي لنا كدول مستقلة. ويكفي ان نذكر ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية لم تعترض على تأميم حكومات بيرو وبوليفيا والمكسيك لصناعة النفط في تلك البلاد . كل ما طالبت به حكومة امريكا هو ان تعوض تلك الحكومات الشركات الامريكية عن اموالها الموظفة . ونحن بدون شك على استعداد لتعويض الشركات الامريكية ويمكننا ان نفعل ذلك بأقل من ثلاث سنوات .

جدول رقم (٥)

**جدول يبين الاموال الموظفة في صناعة النفط في البلاد المختلفة والارباح الصافية الناتجة من هذه العمليات لسنة ١٩٦٨**

| البلد | الاموال الموظفة مقدرة بملايين الدولارات | صافي الربح مقدراً بملايين الدولارات | النسبة المئوية للربح الصافي على الاموال الموظفة |
|---|---|---|---|
| كندا | ٤٠٨٨ | ١٦٠ | ٣٫٩ ٪ |
| امريكا اللاتينية | ٢٩٧٦ | ٤٥٢ | ١٥٫٢ ٪ |
| اوروبا الغربية السوق المشتركة | ٢١٤٩ | ٣٤ | ١٫٦ ٪ |
| بقية اوروبا | ٢٤٩٠ | ٣٠— | ١٫٢— ٪ |
| افريقيا | ١٥٦٧ | ٤٨٣ | ٣٠٫٨ ٪ |
| الشرق الاوسط | ١٦٥٧ | ١٠٦٩ | ٦٤٫٥ ٪ |
| الشرق الاقصى | ١١٤٦ | ٧٥ | ٦٫٥ ٪ |

المصدر : مجلة النفط والغاز ـ عدد تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٦٩ .

# المناقشات

## خلاصة مكثفة

اشترك في مناقشات الموضوع الثالث السادة :

- أحمد بهاء الدين (ج . ع . م)
- عبد الرازق حسن (ج . ع . م)
- أنطون مقدسي (ج . ع . س)
- جمال العطيفي (ج . ع . م)
- عزيز السيد جاسم (العراق)
- محمد الميلي (الجزائر)
- ناصر السيد (السودان)
- الياس فرح (العراق)
- عبد الله الريماوي (الاردن)
- عبد الهادي ناصف (ج . ع . م)

أحمد بهاء الدين (ج . ع . م) :

ابدى ثلاث ملاحظات حول موضوع « الهيكل الاقتصادي للثورة العربية » :

١ ـ لاحظ ان هناك في المجال الاقتصادي مسافة متزايدة الاتساع بين القوى والعمل . فرغم أنه قامت عدة نظم تقدمية عربية فإنه لم يحدث حتى الآن

أي لقاء اقتصادي بينها ، بل لم يحدث تقدم سياسي بينها . بل ان العلاقات الاقتصادية قد ساءت في بعض المجالات بين الأنظمة التقدمية العربية .

٢ـ ان البلاد العربية تواجه ثورة علمية في العالم تهدد بسيطرة علينا لا مفر منها ، ان التفوق العلمي للبلاد المتقدمة يهددنا بسيطرة جديدة قد تكون أخطر من السيطرة الاستعمارية . لذا فإن الأمر يحتاج الى العمل في الميدان التكنولوجي ومحو الأمية والتدريب ، وسواها من المجالات المختلفة التي توفر قيام مجتمع تكنولوجي علمي .

٣ ـ تبدل مفهوم الطبقة العاملة ، بحيث أصبح هذا المفهوم يضم العمال والمثقفين ، أي يضم العمل اليدوي والعمل العقلي ؛ وبالتالي ينبغي أن ندرك أبعاد المفهوم الجديد الذي يقوم على دمج المثقفين والفنيين والعلماء بالطبقة العاملة .

**د. عبد الرزاق حسن (ج ع م)**

ان الثورة العربية بعد الحرب العالمية الثانية قد سارت في الطريق الذي سارت فيه البلدان المتخلفة ، أعني سارت في التنمية وفق الاسلوب التقليدي الذي يتجلى بمنح وسائل التشجيع لأصحاب الأموال والمستثمرين في الصناعة . غير ان هذا الطريق لم يحقق الهدف ، وكان لابد من فهم هذا الواقع القائم على التناقضات وحله بالأخذ بالفلسفة الاشتراكية .

ان التعاون مع الرأسمالية الوطنية في مرحلة التحرر الاشتراكي ضروري . وهناك خطر من تعدد النماذج الاشتراكية في البلدان العربية . ويتطلب الأمر تكاملاً يضمن تنمية مترابطة للبلاد العربية .

**انطون المقدسي (ج.ع.س) :**

إن العامل الاقتصادي مرتبط بالبعد الاجتماعي . إن منطق الثورة هو

منطق التطلعات لا منطق الحاجات . وينبغي تحديد مفهوم طبقة البورجوازية المتوسطة الذي نكثر من استعماله بصورة غير دقيقة . إن التخلف لا يكون في الاقتصاد وحسب ، بل هو أولاً في قدرة الانسان على إدارة نفسه ومجتمعه

**د . جمال العطيفي ( ج.ع.م ) :**

في موضوع الوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية ينبغي ان نميز ثلاث مراحل :

١ ـ **التعاون الاقتصادي** ، وله صور في البلاد الرأسمالية والبلاد الاشتراكية ، وأحياناً بين المجموعتين . ويمكن قيام تعاون اقتصادي بين البلاد العربية .

٢ ـ **التكامل الاقتصادي** . إنه يحتاج الى مزيد من التقارب بين النظم السياسية العربية . لكن تطبيق هذا التكامل لا يمكن أن يتم إلا بين بلاد عربية ذات أنظمة اجتماعية واقتصادية متقاربة .

٣ ـ **الوحدة الاقتصادية** . إنها تعني إزالة الحواجز بين البلاد العربية وحرية انتقال الأشخاص والأموال . ولا يمكن أن يتم هذا إلا بين البلاد العربية ذات الأنظمة الاشتراكية .

لذلك فإن السوق العربية المشتركة لم تحقق حتى الآن شيئاً من الأغراض المطلوبة منها . وسبب ذلك اختلاف الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية بين البلاد العربية . لذا ينبغي تحقيق الوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية ذات الأنظمة الاشتراكية .

عزيز السيد جاسم ( العراق ) :

إن الأحزاب التقدمية ( حزب البعث ، الاتحاد الاشتراكي ، جبهة التحرير ) قد تبنت الاشتراكية العلمية . غير ان شعارات الاشتراكية قد التبست بكثير من مفاهيم البورجوازية الوطنية . وشرط قيام المجتمع الاشتراكي وبناء الاشتراكية هو وجود الحزب الثوري الطليعي الذي تتوفر فيه عناصر التمثيل الطبيعي لمصالح الجماهير .

إن الاشتراكية العلمية تحتاج الى نظرية علمية ولا تتحقق هذه الاشتراكية الا باشتراكيين علميين . وينبغي الافادة من الاجراءات التطبيقية التي تمت في المعسكر الاشتراكي .

ان هناك اضراراً كثيرة تؤذي التطور الاقتصادي الاشتراكي العربي ، منها : مسايرة الاقطاع والبورجوازية - عدم تطبيق مبدأ الصراع الطبقي - التهرب من توجيه الاقتصاد باتجاه انهاء الاستغلال - التهرب من التصنيع الثقيل .

محمد الميلي ( الجزائر ) :

هناك ظاهرة تبذير في البلاد العربية ، وظاهرة انتشار الفساد . وهاتان الظاهرتان منتشرتان في البلاد النامية أو المتخلفة . إن التبذير في البلاد المتخلفة يتناول عمليات الانتاج ، بينما هو في البلاد المتقدمة يتناول الاستهلاك . وهناك ظاهرة البيروقراطية التي تعيق التطور الاقتصادي والتنمية . إن اسهام الجماهير في التنمية الاقتصادية أمر أساسي . ويتطلب ذلك توفير الشروط المتعلقة بهذه الفعالية . ثم إن التنمية الاقتصادية مرهونة الى حد ما بالتوعية السياسية . أما التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية فيجب أن يراعي التوازن الحيوي بين هذه

البلدان ، كما ينبغي الاهتمام بالنتائج الاجتماعية للتنمية . لذلك فإن تحقيق الوحدة بين البلاد العربية مرهون بوجود عناصر قائمة على أساس وحدوي .

ناصر السيد ( السودان ) :

إن اتجاه العالم نحو التجمعات الاقتصادية الكبرى قد جعل موضوع السيادة الاقتصادية لكل دولة خرافة . إن هذه حقيقة علمية . فالأمة العربية محتاجة قبل كل شيء الى التنمية قبل حاجتها الى قضية عدالة التوزيع ، ولذلك لا بد لنا أن نفتح المجال للنظم غير الاشتراكية وغير الثورية لكي تسهم في التنمية . إن قضية البروليتاريا قد أصبحت الآن في متحف التاريخ إزاء التطور التقني والعلمي . لأن الآلة أصبحت تقوم بعمل العامل . ثم إن النظام الرأسمالي نفسه قد تغير . فهو يسير في طريق اشتراكي غير علمي من دون أن يدري .

د . الياس فرح ( العراق ) :

من العادات السيئة التي ورثناها قبل ٥ حزيران عادة الأسلوب التعليمي . فبعد عشرين عاماً من الكلام عن الوحدة والاشتراكية والحصيلة السلبية لذلك ، وبعد قيام الجامعة العربية ، نجد أن الوحدة الاقتصادية ما تزال كلاماً . لا يمكن بحث المسألة الاقتصادية ، إلا ببحث البعدين السياسي والاجتماعي . فعلى الصعيد السياسي لم نكن لنخسر ٥ حزيران لو كان اقتصادنا اقتصاد حرب . ولكن اقتصاد الحرب وحده لا يشكل الجواب . فنحن أمام تحديات حضارية .

عبد الله الريماوي ( الاردن ) :

لسنا هنا أمام اقتراح خطة اقتصادية ، وليست هذه مهمتنا . إن الحديث عن الاشتراكية والوحدة للمجتمع العربي انما هو لمستقبل العرب . إن التنمية

بمعيار العصر تعني سد الفجوة الحضارية بيننا وبين العالم المتقدم . والوحدة العربية شرط أساسي للتنمية الاقتصادية ولسد هذه الفجوة الحضارية . وهناك تصوران للوحدة والاشتراكية : تصور علمي اقليمي يقوم على التجزئة ، وتصور علمي قومي يقوم على أن الطبقة العاملة العربية طبقة واحدة ذات مصلحة واحدة . وهذا يعني أن مبدأ ملكية وسائل الانتاج يجب أن يقوم على مبدأ أن القوى العاملة العربية ككل ، تملك وسائل الانتاج العربيـــة ككل ، في الوطن العربي ككل .

**عبد الهادي ناصف (ج.ع.م) :**

**ملاحظة عامة** : أهمية الموضوع المطروح تنبع من حقيقة أن الأهداف التي يسعى اليها العدو الرئيسي للثورة العربية هي أهداف اقتصادية تشكل معالم الوجود الاستعماري . والمصالح الاقتصادية الامبريالية في الوطن العربي ذات طبيعة مزدوجة : اقتصادية — استراتيجية . وبالضبط هي مصالح بترولية باعتبار البترول المادة الأساسية للامبريالية في الوطن العربي .

من هنا يفرض البترول العربي نفسه كسلاح في المعركة . وهذا يطرح شكلاً جديداً من أشكال العلاقات العربية ، لأن فعالية سلاح البترول بين العرب هامة جداً .

إن مصادر البترول العربي تتوزع بين الدول العربية التقدمية والرجعية ، وينبغي استعمال هذا السلاح على صعيد جميع البلاد العربية . ينبغي أن تتوحد أولاً سياسة الدول العربية التقدمية وتتفق على الأساسيات . وهذا رغم الدول

العربية البترولية على أن تسير وفق ما تمليه الدول العربية التقدمية . إذن ينبغي توحيد الموقف العربي التقدمي .

وهناك عوامل جديدة من أجل استراتيجية موحدة ، منها : رفع شبكة التكرير والتصنيع في البلاد العربية – رفع الأتاوة – المساهمة في عمليات التنقيب، رفع النسب المخصصة من البلاد العربية للاستثمار .

ملاحظة أخرى: إن النظرة الواقعية تفرض علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الرأسمالية الوطنية لأن لها نصيباً من الانتاج القومي العام ومن التنمية الاقتصادية .

ولا يمكن إلغاء هذا الدور في المرحلة الراهنة .. مرحلة التنمية الاقتصادية. المهم من النظام الاشتراكي العربي أن يحدد هذا الدور وحجمه وضوابطه ، ودوره يقوم على أن يعمل في إطار الخطة العامة للتنمية .

ملاحظة أخرى : لا يصح القول إن المجتمع الاشتراكي هو مجتمع التنمية. التنمية لمن ؟ كيف ؟ على حساب من ؟ إننا لا نقبل تنمية على حساب الشعب ولحساب الرأسمالية . فالتنمية هي بناء القاعدة الاقتصادية . ويكون ذلك ببناء المشروعات الأساسية . إن التقارب المزعوم بين النظام الاشتراكي والرأسمالي يجب الا يخدعنا عن حقيقة الخلافات الرئيسية بين المجتمعين .

# القسم الرابع

# قوى الثورة العربيّة

## البحوث

- جمعة محمد المهدي (ليبيا)
- فوزي الكيالي (ج.ع.س)
- أحمد بهاء الدين (ج.ع.م)
- غسان كنفاني (لبنان)
- ميشيل كامل (ج.ع.م)
- محمد ابراهيم نقد (السودان)

# المناقشات

- اديب اللجمي (ج . ع . س)
- عبد الله الريماوي (الاردن)
- عبد الرازق حسن (ج . ع . م)
- هيثم العقاد (ج . ع . س)
- عبدالله عبدالمنعم حسن (السودان)
- الياس فرح (العراق)
- أبو سيف يوسف (ج . ع . م)

# قوى الثورة العربية

بحث : جمعة محمد المهدي



من خـــلال استقراء حركة التاريخ العربي والنضالي ، الذي عاشته جماهيرنا ، وعايشت إحداثه – بصدق – وخاضت من خلال تلك المعايشة المعارك النضالية اليومية والمصيرية ، ومن خلال جراحات الأمة العربية ، وعبر همومها وعبر انتصاراتها .. تبلور ، عبر كل ذلك ، وضمن حركة التاريخ الانساني ، فكرها ومسيرتها الثورية ، ومواقفها النضالية ؛ مما جعل النضال العربي يؤكد الحقائق التالية :

**أولاً** : ان الأمة العربية تملك قدراً كبيراً من التجدد والفعالية بما يجعلها قادرة على ان تخترق الازمات والنكسات ، كأي أمة أصيلة ، لتحولها الى انتصارات .

**ثانياً** : ترتبط الثورة العربية إرتباطاً عضوياً بمادتها الحقيقية المتمثلة في الجماهير ، باعتبارها رائدة للنضال الجماهيري القادرة دوماً على دحر القوى الرجعية .

**ثالثاً** : تصدي الطلائع الثورية المسلحة – باعتبارها القوة الرادعة القادرة على مواجهة القوى الرجعية المدعومة بالأمبريالية ، مما أهل هذه الطلائع ، بحكم انتمائها الشعبي « الطبقي » ، الى تصدر القوى الثورية لتقود الجماهير ولتحدث التفجير الثوري.. ولكن هذه الحقيقة يجب أن لا تحجب عنا دور القوى الشعبية في الثورة .. وازاء ذلك لابد ان يتداخل السرد التاريخي لعرض مراحل الثورة العربية التي تنقسم الى مرحلتين :

**أولاً** : مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى ١٩٥٢ .
**ثانياً** : مرحلة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ حتى ١٩٦٩ .

* * *

## المرحلة الاولى :

١ – تبرز هذه المرحلة عدة معطيات تنسجم وطبيعة تلك المرحلة المتسمة بالنضال الوطني من أجل الاستقلال : مجابهة قوى الاستعمار ، سعي الحركة الوطنية في البلاد الى ايجاد حكم وطني ، ظهور بعض ملامح الدعوة القومية ، إلا أنها لم تأخذ شكل التيار المؤثر في نضال الشعب العربي . ولكن ما أن اشتد الصراع العربي الصهيوني في فلسطين ، حتى انطلق التيار القومي ، حتى ولو كان مغلفاً بغلاف ديني ...

٢ – الوطن العربي ...

تنطبق هاتان الملاحظتان على الاقاليم العربية في المشرق : استقلال العراق وسوريا ولبنان ومصر ، والمغرب العربي : استقلال ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ..

٣ – ظهور بعض ملامح الدعوة القومية .. والوحدة العربية ، إلا أنها لم تأخذ شكل التيار الجماهيري العريض .. ولم تستقطب اهتمامات الحركة الوطنية في البلاد العربية للاتجاه القومي بحيث تصبح دعوة ملحة .. تعانقها الجماهير .

٤ – كان الصراع العربي – اليهودي – « الصهيوني » في فلسطين ، وما يجسده من تحالف بين الصهيونية والاستعمار ، المنطلق الذي أثار في الجماهير العربية الحس العربي ، حتى ولو كان مغلفاً بغلاف ديني محض . ولذا فقد كانت « النكبة » في فلسطين ، مدخلاً طبيعياً ، لتوهج الدعوة القومية .. بعد ١٩٤٨ .

## المرحلة الثانية ( ١٩٥٢ — ١٩٦٩ )

ان الأمة العربية كما ذكرت مسبقاً تملك قدراً كبيراً من التجدد والفعالية . هذه الفعالية أعطت هذه الأمة صفة الأصالة التي تستطيع أن تتخطى بها النكسات والازمات لتحولها الى انتصارات .. فنحن إذا تتبعنا – بشكل سريع – الاحداث التي مرت على ساحة الوطن لوجدنا أن الجماهير كانت مشاركة فيها وعنصراً أساسياً منها ، يتأثر بها ويؤثر فيها ..

فنا ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ – في اقليم مصر إلا رداً جماهيرياً على نكبة فلسطين. هذه الثورة التي جعلت من نفسها – عبر تطورها – ثورة رائدة قائدة لنضال الشعب العربي من محيطه الى خليجه .. وهي التي استطاعت ان تصوغ نضال الجماهير العربيـــة في غايات محددة : هي الحرية ، الاشتراكية ، الوحدة .

أكدت الثورة العربية الرائدة في مصر هذا الدور من خلال مواقفها المتمثلة في تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، وما ترتب عنه من حرب العدوان الثلاثي الذي أعطى المد القومي المنطلق العريض الواسع كي ينتشر بين جماهير الشعب العربي .. بعد أن تبينت هذه الجماهير ابعاد معاركنا العربية الثورية والتي تنحصر في معركة ذات بعدين هما :

١ – **البعد الداخلي** : المتمثل في الرجعية العربية ، بالاضافة الى أمراض التخلف الحضاري .

٢ – **البعد الخارجي** : المتمثل في عالمة الامبريالية ذات الاطماع الاستعمارية في ساحة الوطن . وقد تمثل هذا البعد في وجود اسرائيل .. ومحاولة التحالف الانكلوامريكي شد الاقاليم العربية ضمن اطار الفلك الاستعماري بالاحلاف أو القواعد .

وكان الرد الجماهيري الحاسم على نظرية ايزنهاور ، وتحركات الرجعية في العراق – حلف بغداد – ، أن قامت ثورة ١٤ تموز في اقليم العراق رداً على البعد الداخلي ، أي تحالف الرجعية مع الاستعمار ، ورداً حاسماً على محاولات الاستعمار لاسقاط واجهاض معطيات الثورة العربية في مصر . فكانت ثورة العراق تأكيداً حياً على محاولات الاجهاض تلك ، بميلاد جديد لثورة عربية المحتوى والمنطلق ، والغاية . وتأييداً عملياً لوحدة مصر وسورية التي قامت لتؤكد ان الجماهير العربية الثورية قادرة على المشاركة والفرض . فقامت الوحدة ، غاية الجماهير ، عام ١٩٥٨ . ولكن التحالف الرجعي الامبريالي استطاع عبر المؤامرات ان يسقط « الوحدة » في هوة الانفصال عام ١٩٦١ ، فانتكست الامة العربية في أعز أمانيها . وقد أدركت الجماهير ان معاركها مع الرجعية ، لن تنفصل عن معركتها مع اسرائيل والامبريالية ، ولذا فقد استطاعت الجماهير العربية في اليمن اسقاط نظام الائمة في اليمن في ٢٦ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٦٢ . تلك الثورة التي القت على الثورة العربية الرائدة مسؤولية الدعم ، ومسؤولية الحماية .

ومن خلال تطور النضال الثوري في الوطن ، وعبر هجوم الجماهير ، ومعاركها ،

قامت الحرب العربية في فلسطين في ٥ حزيران ( يونية ) ١٩٦٧ مع الصهيونية ، وقد تحالفت في هذه الحرب كل التحالفات الرجعية والامبريالية لتضرب مسيرة الجماهير العربية، مؤكدة بهذا التحالف اصرارها وتعمدها على حرب القوى التقدمية .

وقد أعطت هذه الحرب للجماهير العربية درساً جديداً يتمثل في :

١ – الوحدة العربيـــة ووحدة قوى الثورة العربية نظرياً وثورياً شرط أساسي للتحرير .

٢ – وصلت الجماهير العربية الثورية الى منعطف لاعودة منـــه في تحديد أعداء الثورة العربية ، وهم :

أ ) الرجعية العربية .

ب ) الصهيونية .

ج ) الأمبريالية العالمية ، المتمثلة في الاستعمار الامريكي – الانكليزي، وتحالفاتها .

وان معارك الجماهير – تتحد – في هدفها وغايتها على أن المعركة مع أعداء الثورة العربية واحدة ، وكل لايتجزأ ، ولذا يجب أن نقاتل فقد « كتب علينا القتال » ، في آن على كل الجبهات .



ولكن على الرغم من النكسة العسكرية والعاطفية التي منيت بها الجماهير العربية على امتداد ساحة الوطن ، الا أن تجدد الامة العربية ، وحيويتها وفعاليتها ، اكد أنها قادرة على تخطي هذه النكسة العسكرية والعاطفية من أجـــل مواصلة مسيرة الثورة العربية ، فاستطاعت عبر النكسة ان تحقق انتصارات هي :

١ – حققت الصمود العربي الذي يتبع من بعدين أساسيين :

أ – الصمود العسكري ، والنفسي في الجبهتين الشرقية والغربية ، أو بمعنى آخر ، إن الجماهير استطاعت أن تجهض التآمر الامبريالي الذي سعى الى اسقاط الانظمة التقدمية في الوطن العربي ، وخاصة في الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها الرائدة ، فكرياً وعملياً ، للثورة العربية . فقامت الجماهير بحماية هذه الثورة من الانقضاض اليميني الذي حاول اجهاض هذه الثورة وذلك في يومي ٩ – ١٠ حزيران ( يونيه ) ١٩٦٧ .

ب – التحرك الواعي لجماهيرنا العربية على امتداد الوطن ، للقفز من فوق النكسة بعد هضم معطياتها السلبية والايجابية . تمثل ذلك في رفض الهزيمة وتحقيق الصمود متمثلاً في الرد النفسي القوي لهذه الجماهير .

٢ – استطاعت الأمة العربية ابراز العنصر القتالي ، والسياسي والشعبي ، الذي غاب عن ساحة المعركة بفعل تصورات خاطئة للمعركة مع العدو .. تمثل هذا العنصر في ظهور القوة الفلسطينية – الفدائية – كطليعة مسلحة فلسطينية القوة ، عربية المحتوى.. هذه الطليعة كانت الوسيلة للخروج بالأمة العربية من المنزلق الذي أراد لها الاستعمار أن تنزلق في هوته .. فعملت هذه الطليعة على التأكيد على قدرة العربي على أن يغير بعد النكسة من استراتيجيته في المواجهة ، بل والهجوم ، من خلال اعطاء الحركة الفدائية التأييد والدعم البشري والمادي والمعنوي .. وحققت هذه الطليعة الشيء الكثير في طبيعة المعركة مع العدو ..

أ – ان أي حل لقضية فلسطين لن يكون الا من خلال الوحدة العسكرية جيشاً واستراتيجية ..

ب – ان غياب القوة الفلسطينية عن المعركة معناه تكريس التصور القديم في حل القضية .. وهو التصور المبني على أساس ان الجيوش قادرة عبر – استراتيجيتها – أن تخوض المعركة وتنتصر !..

وقد سقط هذا التصور في معارك يونيه ١٩٦٧ .. وبرز تصور جديد يتبع أساساً من هضم التجارب الانسانية – كفيتنام ، ولاوس – أو بمعنى آخر حرب التحرير الشعبية ، مع عدم اغفال حروب الجيش المنظم ..

وعلى اساس هذا التصور ، لابد من دعم الحركة الفدائية باعتبارها مدخلاً لايجاد الثورة الشعبية المسلحة القادرة على قلب ميزان القوى في الوطن العربي ، وباعتبارها اساساً عسكرياً وبشرياً قادراً على تحطيم القوى الرجعية والامبريالية ، والصهيونية . على هذا الأساس فاني أؤمن بأن الحركة الفدائية العاملة في فلسطين والمنطلقة لايجاد الثورة الشعبية ، قادرة على حمل اعباء التحرير ، لا في فلسطين وحدها ، ولكن في اجزاء الوطن العربي ، لأن الوحدة لن تكون إلا عبر الثورة ، والثورة الشعبية المسلحة ، ذات المضمون الوحدوي الاشتراكي ..

وجاءت ثورة مايو ١٩٦٩ في السودان لتكمل الاطار الشعبي الثوري العربي لتضع الجماهير السودانية على درب المشاركة الفعلية في مسيرة الثورة العربية ، وخاصة بعد ان شوهت الرجعية في اقليم السودان موقف الجماهير ، وطمست وجهها العربي التقدمي ...

وجاءت ثورة الفاتح من سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩ في إقليم ليبيا ، تبرز القدرات الحية الكامنة في الجماهير الليبية القادرة على المشاركة الفعلية في نضال امتنا التقدمي . وقد أكدت هذه الثورة من خلال خطابات الأخ معمر القذافي ، ومن خلال العمل الجاد – على مستوى القمة – مع مصر والسودان على جدية العمل الوحدوي ...

من خلال هذا العرض السريع لتطورات النضال العربي على امتداد الساحة العربية .. تبرز الحقائق التالية :

**أولاً** : من خلال المعطيات الثورية عبر الفترة الزمنية بين ١٩٥٢–١٩٦٩ التي أكدت على حيوية الأمـة العربية ، وقدرتها على التجدد ، تأكد أن الأمة العربية قادرة على استيعاب كل معطيات نضال الجماهير ، وقادرة على تخطي الازمات الحادة التي واجهت هذا النضال .

**ثانياً** : تستطيع الأمة العربية من خلال حيويتها ، وقدراتها الكامنة فيها ، تشكيل الاساس النظري « للثورة الجماهيرية » باتجاه نظرية عربية تكون تفسيراً للثورة الجماهيرية ، ومرتكزاً لنضالها . ولعل هذه المهمة – من مسئولية المثقفين الثوريين العرب الذين يجب أن يرتفعوا الى مستوى معطيات نضال جماهيرهم لخلق هـذه « النظرية » ، النابعة أساساً من دراسة الواقع النضالي للجماهير .. دراسة الواقـع السياسي والاجتماعي والاقتصادي .



ولعل هذه الحقائق النضالية تلقي تبعات « جد كبيرة » على القوى الثورية باعتبارها القوة القادرة – عبر امكانياتها – أن تكون الثورة الرائدة التي تدفع نضـال الجماهير العربية من أجل معانقة أهدافها .

من ذلك كله نستطيع أن نضع التساؤل التالي : **ماهو موقع التنظيمات الحزبية القومية من هذا النضال ؟**

**وأين كانت تقف الأحزاب التقدمية من التفجير الثوري في ساحات الوطن ؟**

**ولم عجزت هذه القوى الثورية عن احداث التفجير الثوري ؟**

**ولم غابت عن الساحة العربية ؟**

ونحن نضع هذه التساؤلات أمامكم يدفعنا الايمان ومن دافع تجربتنا .

١ - ان الاحزاب العربية التقدمية عجزت كل العجز عن استقطاب الجماهير ، على الرغم من الطموح الذي تبرزه هذه التنظيمات ، سواء كان طموحاً فكرياً أم تنظيمياً ، لتشكل بذلك الطموح « صيغة » التنظيم القائد لحركة الثورة العربية مما دفعها الى بعض الممارسات « اللاثورية » من حيث التناحر الفكري ، وغرس بذور الأنانية الحزبية في أذهان منتسبيها .

٢ - مارست الأحزاب العربية الفاشية الفكرية ، وعدم الوضوح الفكري . وعلى الرغم من مناداتها بالحرية الفكرية ، إلا أنها - انسجاماً مع ما تدعيه من كونها التنظيم القائد - تدفع أعضاءها في منعطف الفاشية ، على اعتبار ان التحليلات المنزلة الى الاعضاء تمثل أعلى مراتب التحليل .. وهكذا سنجد على المدى البعيد ان جل الأعضاء سيتطفلون على معاجز الفكر الحزبي - باعتباره القدوة والمثل . وهكذا يظلون أسرى هذا الفكر يدورون حوله في خشوع ، وقدسية .

٣ - الشعور بالتفوق والاستعلاء صفات تتحكم بصمات الأحزاب وتطبعها على وجدان العضو .

٤ - غياب الاستراتيجية طويلة المدى التي تتحكم في نضال الحزب عبر الجماهير .. ومن هنا كانت كل مواقف الاحزاب العربية ، ما عدا جبهة تحرير الجزائر ، والجبهة القومية ، والاتحاد الاشتراكي العربي ، وليدة رد فعل لا تخطيط مسبق .

ونخلص من كل ذلك الى ادانة الاحزاب العربية لكونها عجزت ، بل وفي بعض الاحايين تنكرت للجماهير .. ولاهدافها . ومن هذا العجز وهذا التنكر لابد من وضع البديل الذي يجب أن يأخذ على عاتقه حل الثورة العربية نضالياً وفكرياً ، وتنظيمياً .. لتحقيق غاياتها في الحرية والاشتراكية والوحدة وفق أداة واحدة : « نظرية » ثورية عربية .. وتنظيم ثوري عربي واحد . ونحن ننظر بتفاؤل الى فصائل النضال المسلح الفلسطيني كمدخل طبيعي لمرحلة جديدة في نضال جماهير أمتنا . هذه المرحلة تتسم بضرورة تخطي كل الأشكال « القزمية » الحزبية - لإيجاد صيغة أكثر عمقاً ، وأكثر فعاليـة لتواكب هذه المرحلة الجديدة ، والتي تتمثل في مبادرة الجماهير العريضة للنضال الثوري الأشد عمقاً والأكثر جذرية .. وذلك لتجديد هذه المبادرات في صيغة جديدة قادرة على

الحركة عبر استراتيجية طويلة المدى قادرة على التخطيط العلمي الموضوعي ، قادرة على المساهمة الفعالة في تغيير ساحة الوطن ، منطلقة من منطلقات اساسية هي :

أ - اعتبار الجماهير العريضة مادة الثورة ، ودرعها الاصيل وواقعها الحتمي ، متلاحمة مع القوى الثورية المسلحة .

ب - اعتبار النضال العربي جزءاً من النضال البشري ، يؤثر فيه ويتأثر به .

ج - اعتبار الخط الاشتراكي العلمي مدخلا طبيعياً لاحداث التغيير الثوري المطلوب ، مع مراعاة ظروفنا القومية ، وخصائص مجتمعنا العربي ، أي أن تكون اشتراكيتنا متطورة غير جامدة ، واقعية غير طوباوية .

# قوى الثورة العربية

بحث : فوزي الكيالي



اذا كانت الثورة هي الاستيلاء على السلطة بقصد هدم العلاقات الاجتماعية القائمة ، واستبدالها بعلاقات اجتماعية جديدة ، فإن كل طبقة اجتماعية ترى في العلاقات القائمة عائقاً لنموها ، وحائلاً دون تحقيق اهدافها ، وترى في الوقت نفسه ان مصالحها تنمو وتزدهر في ظل العلاقات الجديدة ، انما تمثل قوة من قوى الثورة .

وموقف الطبقات الاجتماعية من الثورة ليس ثابتاً ، وانما هو يتوقف على مستوى المرحلة التي بلغتها الثورة في مسيرتها . ولذلك لابد من الوقوف عند كل مرحلة من مراحلها ، لتحديد القوى الاجتماعية التي تقف وراءها وتسندها ، ولتحديد القوى الاخرى التي خرجت من صفوفها بعد ان تجاوزت الثورة المصالح الطبقية لتلك القوى .

لذلك لابد لكي نحدد قوى الثورة العربية ، من ان نلقي نظرة عاجلة على مسيرتها لنرى كيف بدأت ، وكيف تطورت ، وما هي المراحل التي مرت بها حتى الآن ، وماهي المهام الأساسية لكل مرحلة من هذه المراحل ، واضعين في الاعتبار ان المرحلة

هي الفترة الزمنية التي تبتدىء بصعود طبقة معينة ، أو تحالف عدة طبقات ، إلى السلطة ، لتحقيق برنامج اقتصادي – اجتماعي – سياسي معين ، يتناسب مع مصالح تلك الطبقة أو الطبقات المتحالفة والتي تنتهي بسقوط تلك الطبقة او ذلك التحالف.

وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نحدد مراحل الثورة العربية بما يلي :

## آ – مرحلة الوحدة الوطنية وقيادة البرجوازية الكبيرة :

وتمتد من بداية الثورة حتى قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ .

بدأت الثورة العربية في العشرينات من هذا القرن ، كحركة موجهة ضد الاستعمار في سبيل التحرر الوطني . وكان لحركة احياء التراث العربي ، التي بدأت منذ أواخر القرن الماضي ، وللحركات القومية والفكر القومي الأوربي ، أثر فعال في الثورة العربية.

فمن ثورة الحسين في الحجاز عام ١٩١٦ على الحكم العثماني ، الى ثورة العراق عام ١٩٢٠ ، الى ثورة عام ١٩١٩ في مصر ، الى ثورة السنوسيين في ليبيا والأمير عبد عبد الكريم الخطابي في المغرب ، الى الثورات السورية والفلسطينية المتلاحقة منذ عام ١٩٢٠ ، كانت الثورة العربية ، ثورة تحرر وطني ضد الاستعمار وفي سبيل بناء الدولة الوطنية ، ( في الاقطار العربية غرب السويس ) والدولة العربية القومية ( في الأقطار العربية شرق السويس ) .



في هذه المرحلة كانت الأحزاب التي تقود الثورة العربية ، أحزاباً قطرية التنظيم، تجلس في قمة هرمها البرجوازية الوطنية ، وتجلس في قاعدته جميع قوى الشعب العامل المناهضة للاستعمار . وكانت هذه الأحزاب من حيث بنيتها وايديولوجيتها أشبه ماتكون بالجبهات الوطنية التي تتفق على برنامج وسط يتضمن مطالب مختلفة ، تعبر عن مصالح الطبقات المؤتلفة . ولذا فان إيديولوجية تلك الأحزاب كانت تتضمن بعض المطالب الشعبية الأساسية مثل شعارات الوحدة القومية ، ومقاومة الاستعمار ، والديموقراطية .

واستطاع الاستعمار الغربي الذي حل في الشرق العربي ، محل الاستعمار التركي ، أن يقسم الطبقة البرجوازية على نفسها ، وأن يتخذ لنفسه من بينها أعواناً وحلفاء ، وذلك باعتماد بعض قياداتها وعدداً من عناصرها البارزة ، وسطاء له في حكم شعوبهم ، وفي نهب ثروات وطنهم ، تحت أسماء براقة من الاستقلال السياسي ومعاهدات التحالف ، مستفيداً مما كان لبعض هؤلاء من رصيد نضالي سابق . وكان مما ساعده على ارضاء أكبر

عدد ممكن من هؤلاء بمناصب الحكم والإمارة ، هو تجزئته للبلاد وتمزيقها الى دويلات، مما كان يشكل جزءاً أساسياً من مخططاته ، لاستعمار هذه البلاد لأمــــاد طويلة . وذلك باضعاف قدرتها على التحرك والثورة ، عن طريق تمزيق شعوبها ، وبعثرة امكاناتها ، والقضاء على وحدتها ، كما استطاع أن يقمع حركة الثورة العربية ، في شمال افريقيا ، بالحديد والنار ، وأن يستمر في حكمها حكماً مباشراً .

وبقيت قضية فلسطين بعيدة عن مجال التسويات الشكلية التي آل اليها مصير معظم الأقطار العربية في المشرق العربي،ذلك لأن قضية فلسطين كانت تختلف في جوهرها عن قضية أي قطر عربي آخر ، من حيث ماكان يريده الاستعمار منها ويبيته لها . فهو لايريد النهب والاستئثار واحتلال بعض القواعد العسكرية فحسب ، كما كان عليه الأمر في الأقطار العربية الاخرى ، وانما كان يريد اجلاء الشعب برمته عن أرضه ، واغتصاب الوطن بكامله وتسليمه الى غير أهله . ولذلك لم يكن بالامكان ستر مثل هذه العملية الفاضحة، باتفاقات شكلية من أي نوع ، مع البرجوازية القائدة ، بسبب انتفاء وجود الحـــدود الوسط ونقاط الالتقاء المشتركة بين الاستعمار والبرجوازية حول هذه القضية بالذات ، وبسبب ماكانت تمثله مطامع الصهيونية والاستعمار في فلسطين . في نظر الرأي العام العربي والطبقات الشعبية ، من خطورة على الوجود العربي ذاته .

وبقيت البرجوازية الوطنية الكبيرة ، المتحالفة مع الاقطاع والعشائرية ، تلعب دورها البارز في قيادة العمل القومي والوطني ، وفي توجيه الحركات الثورية العربية ، بحيث لاتؤدي الا الى اجراء التسويات مع الاستعمار ، والحصول منه على بعض التنازلات الجزئية ، حتى عام ١٩٤٨ ، حين فشلت عن طريق العمل الدبلوماسي ، وعن طريق الحرب ، في منع قيام اسرائيل ، الذي اعتبرته الشعوب العربية كارثة قوميـــة ، كرست عجز البرجوازية عن الاستمرار في قيادة الثورة ، بسبب ماأظهرته من ضعف وتخاذل امام الاستعمار ، وبسبب تواطؤ بعض قياداتها مع أعداء الأمة العربية .

ويمكننا أن نرجع فشل البرجوازية الوطنية في قيادة مرحلة التحرر الوطني ، وبناء الوحدة القومية ، والانتقال بالبلاد من الاقتصاد البضاعي الى الاقتصاد الرأسمالي ، وعجزها عن تحقيق مهمات الثورة الديموقراطية التي قامت بها البرجوازية الاوربية في القرن التاسع عشر الى السببين التاليين :

١ — ان البرجوازية العربية كانت من الضعف — اقتصادياً — بسبب ضعف امكاناتها المادية ، والتخلف — فكرياً — بسبب أصولها الاقطاعية ، بحيث كانت مهمة مصادمة

الاستعمار والانتصار عليه وإنقاذ ثروات البلاد من أيدي احتكاراته ، فوق مستوى قدراتها ، خصوصاً وان الامبريالية العالمية التي أصبحت تسيطر سيطرة كاملة على السوق الرأسمالية ، لم تكن لتسمح لأية برجوازية وطنية بأن تنشىء في البلدان المتخلفة الاقتصاداً تابعاً ، وبالتالي كياناً اقتصادياً خاضعاً للسياسة الامبريالية .

٢ - ان تحالف البرجوازية مع الاقطاع والعشائرية ، جعلها أيضاً عاجزة عن انجاز مهات الثورة الديموقراطية ، حتى على المستوى الداخلي ، بقضية الملكية العقارية الكبيرة ، ونشر التعليم واصلاحه ، وترسيخ أسس اقتصاد وطني سليم ، واقامة نظام ديموقراطي متوازن ، ولهذا بقي النظام السائد نصف برجوازي ، ونصف اقطاعي ، وربما نصف عشائري ايضاً .

## ب — مرحلة الصعود الثوري بقيادة البرجوازية الصغيرة :

وتمتد من عام ١٩٤٨ حتى عدوان أسرائيل في عام ١٩٦٧ .

ولا بد قبل الدخول في تحليل هذه المرحلة من تثبيت النتائج التي أنتجت اليها المرحلة السابقة .

١ - لقد أثبتت التجربة - تاريخيا - أن تحقيق الثورة الديموقراطية أصبح مستحيلا في ظل سيطرة الامبريالية العالمية — عن طريق نفس القوى والوسائل والاشكال التي تمت بها الثورة الديموقراطية في الغرب .

في الغرب ، مهدت الثورة الديموقراطية للثورة الاشتراكية ، أما في بلدان العالم الثالث فإن الثورة لا بد أن تكون ديموقراطية واشتراكية معا . لأن المسألة ليست مسألة إسقاط طبقة اقطاعية محلية ، وانما هي - في الوقت نفسه ، وبالدرجة الاولى ، مسألة إسقاط للسيطرة الامبريالية . وإسقاط هذه الهيمنة لا يتم بمجرد اجلاء جيوش الاحتلال ، وانما يرتبط ارتباطاً أساسيا بتطوير الاقتصاد ، وتنمية الثروة ، وإنهاء التبعية الاقتصادية والسياسية من أي نوع .

ان حرق المراحل ، أو مبدأ الثورة الديموقراطية - الاشتراكية ، هو الستراتيجية الوحيدة الصحيحة للعمل الثوري في البلدان المتخلفة . وهو وحده الذي يؤدي الى استمرارية الثورة ، وهو الذي يفرض في الوقت نفسه أن لاتكون الثورة من صنع طبقة ثورية واحدة . ان التطور التاريخي الذي فرض أن تكون البروليتاريا هي الطبقة الثورية الوحيدة في الغرب ، هو الذي أوجد أكثر من طبقة ثورية واحدة في البلدان

المتخلفة . هذه الطبقات هي العمال ، والفلاحون ، والمثقفون الثوريون . وتحالف هذه الطبقات يصبح ضرورة لابد منها لانجاح الثورة .

٢ - لقد تطور الموقف الجماهيري من قضية الوحدة العربية ، وانتقل من شكله الرومانتيكي ، الذي يقوم على أساس من فكرة العزة القومية ، والأمجاد التاريخية ، الى شكله الواقعي والموضوعي ، والذي يستند الى الضرورات المادية للمرحلة التاريخية التي تعيشها الأمة العربية في صراعها مع الأمبريالية . وفي تطلعها الى بناء مجتمعها الاشتراكي .

ومن هنا أخذت الجماهير العربية تنظر الى التجزئة على أنها احتياطي الاستعمار والصهيونية في هذه المنطقة ، وهي تحطيم لجبهة النضال العربي ضد الأمبريالية . والذين يتمسكون بالتجزئة ويدافعون عنها ،من التقدميين والاشتراكيين ، لابد وأن يكونوا ضد الاشتراكية - عن وعي أو غير وعي - ، لأنه لايمكن اقامة الاشتراكية صحيحة قبل القضاء على الاستعمار ونفوذه بجميع أشكاله ، ولأن الجماهير العربية لن تستطيع مواجهة الاستعمار مواجهة جدية وبناءة الا اذا وسعت جبهة القتال معه . وان يتم ذلك الا اذا تحققت وحدة النضال للجماهير العربية في كل قطر ، ووحدة النضال لهذه الجماهير في جميع الأقطار ، لذلك تكون الحركات التي وضعت في أهدافها الاشتراكية، دون الوحدة ، حركات غير ثورية لم تستطع أن تعطي لمشاكل الواقع العربي الحل الجذري الكامل .



٣ - لقد كان لقيام اسرائيل أثر حاسم في احتلال قضية فلسطين في جدول القضايا العربية ، مرتبة القضية العربية الأولى ، واعتبارها القضية المحورية بين قضايا الثورة العربية . وأصبح واضحاً أن جلاء الجيوش الاجنبية عن أي قطر من الاقطار العربية بعد قيام اسرائيل ، لم يعد أكثر من اجراء شكلي ، بعد أن أصبح للاستعمار في قلب الوطن العربي قاعدته الدائمة الثابتة ، التي تستطيع أن تستوعب ، من المهاجرين العسكريين والاسلحة الهجومية ، أضعاف ما كانت تستطيع أن تستوعبه قواعده المحدودة المتفرقة في الوطن العربي . فلا غرابة أن يصبح الصراع العربي الاسرائيلي هو قمة الصراع بين الثورة العربية والاستعمار والأمبريالية .

٤ - ان تبدل موازين القوى على الصعيد الدولي في عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، وظهور معسكر الدول الاشتراكية على مسرح السياسة الدولية كقوة مؤثرة ، وتحرك شعوب العالم الثالث في ثورتها التحررية ضد الاستعمار

والامبريالية ، قد فتح باب الاحتمال واسعاً أمام إضافة قوى جديدة الى قوى الثورة العربية ، قوى عالمية ، لابد من الاعتماد على مساندتها ودعمها في أية معركة ضد الاستعمار والامبريالية ، وكان مجال الاستفادة من هذا العامل الجديد مرهوناً الى حد كبير بمقدار انفتاح قوى الثورة العربية على قوى الثورة العالمية . وبمقدار تجاوبها معها ، حتى تأخذ الثورة العربية وضعها الصحيح كجزء من حركة التحرر العالمية .

٥ – وبنتيجة التطور العلمي والتكنولوجي الفائق السرعة في الدول الصناعية بعد الحرب العالمية الثانية ، وازدياد المسافة التي تفصل بين الدول المتقدمة والمتخلفة ، وتبدل موازين القوى الدولية ، أصبحت الثورة ليست ضرورية وممكنة فحسب ، بالنسبة لشعوب العالم الثالث ، وانما أصبحت حتمية أيضاً ، إذ لم يبق لهذه الشعوب ما تخسره في هذه الثورة غير تخلفها وعجزها . وهكذا أصبح من الحتم ، نتيجة التطورات العربية والدولية على حد سواء ، أن تخرج البورجوازية الوطنية الكبيرة ، وحلفاؤها من الاقطاعيين والعشائريين ، من صف قوى الثورة العربية نهائياً . وأن تقتصر قوى الثورة على العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة . وأن تعمل هذه القوى في جبهة واحدة ، كشرط لابد منه ، لانتصار الثورة ، وتحقيق أهدافها في الحرية والاشتراكية والوحدة . تلك الأهداف الثلاثة التي أصبحت خلال الستينات موضع لقاء جميع القوى الثورية العربية .



وكان موضوع الاضطلاع بمسؤولية قيادة هذه الثورة من قبل هذه الطبقة أو تلك ، مرهوناً بمستويات التطور التاريخي الخاص بكل بلد من البلدان العربية على حدة . على ان يؤدي شرط استمرارية الثورة الى انتقال قيادتها تدريجياً ، مع تقدم الثورة وارتقائها ، الى أكثر طبقات ذلك التحالف جذرية ، الطبقة العاملة ، هذا إذا لم تتول قيادة الثورة منذ المرحلة الأولى .

وكانت كل الظروف جاهزة لتعمل في صف البرجوازية الصغيرة ، ولتلق على عاتقها مهمة قيادة هذا التحالف الثوري ، خلال مرحلة تاريخية حاسمة . فأمام ضعف البورجوازية الوطنية السياسي ، الذي نشأ من ضعفها الاقتصادي ، وأمام ضعف الطبقة العاملة الذي نشأ عن ضعف التصنيع ، والذي لم يتح لها فرصة أن تنمو نمواً كافياً – لا عددياً ولا ايديولوجياً – أمكن للبورجوازية الصغيرة ، وهي بطبيعتها طبقة وسطية ، أن تلعب دوراً قيادياً منفرداً .

وفي مقدمة العوامل التي ساعدت البرجوازية الصغيرة على تسلم قيادة الثورة العربية — علاوة على غياب الحركة العمالية الواعية — كونها تضم الغالبية الكبرى من المثقفين، وضباط الجيش، وكادرات الحكومة، وطلاب المدارس ومعلميها، وصغار التجار، والحرفيين، وأصحاب المهن الحرة، والفلاحين المتوسطين، ولجميع هؤلاء شأنهم الكبير في البلدان المتخلفة، ودورهم الحاسم في التوجيه والتوعية السياسية والاجتماعية.

ان قيادة البرجوازية الوطنية، لم تسقط في جميع الأقطار العربية دفعة واحدة، وفي وقت واحد. وربما كان لقرب أو بعد القطر العربي عن فلسطين، ومدى عمق تأثره بقضيتها، أثر واضح في تعجيل هذا السقوط أو تأخيره. كما كان لوجود قوى أجنبية على أرض القطر العربي تأثيره في تأخير النتيجة أو ابعادها. ولكن مصير هذه الطبقة في قيادة الثورة؛ بل وفي معسكرها كان قد تقرر منذ ذلك الحين.

ففي سورية سقطت بعض قيادات البورجوازية الوطنية منذ سنة ١٩٤٩ على أثر انقلاب حسني الزعيم، ثم ما لبثت أن عادت على أثر انقلاب الحناوي، ثم اقصيت مرة أخرى بعد انقلاب الشيشكلي، وبقي الأمر بين شد وجذب بينها وبين قوى التحالف الثوري بقيادة البرجوازية الصغيرة حتى حسم في عام ١٩٥٦ لصالح الجبهة التقدمية التي استلمت الحكم وبقيت فيه حتى قيام الوحدة عام ١٩٥٨. وكان حكم الوحدة استمراراً لحكم البرجوازية الصغيرة حتى قيام الانفصال على يد البرجوازية الوطنية بالتحالف مع الاستعمار والصهيونية. ولكن قيام ثورة ٨ آذار عام ١٩٦٣ أدى الى اقصائها عن الحكم نهائياً، والى نسف مرتكزاتها المادية والاجتماعية بقوانين الاصلاح الزراعي والتأميم.

وسقط حكم البرجوازية الوطنية في مصر بقيام ثورة ١٩٥٢ ونسفت مرتكزاتها المادية بقرارات الاصلاح الزراعي وقرارات يوليو الاشتراكية في عام ١٩٦١. وما أعقبها من اجراءات اشتراكية.

وفي العراق سقط حكم البرجوازية في عام ١٩٥٨.

وفي السودان سقط حكمها على أثر انقلاب عبود عام ١٩٥٩؛ ثم حاولت العودة الى الحكم من جديد متسللة من خلال الثورة الشعبية في عام ١٩٦٦؛ ونجحت في ذلك الى أن قامت ثورة مايو ١٩٦٩ فأطاحت بها.

وفي ليبيا سقط حكمها في عام ١٩٦٩. وكان تأخر سقوطه كل هذه المدة الطويلة بسبب الوجود المؤثر للقوات الأجنبية على أرض القطر الليبي.

وكاد يسقط حكم هذه البرجوازية في الاردن في أكثر من مناسبة لولا التدخل المباشر وغير المباشر للقوى الأجنبية التي كانت تبادر لنجدة الحكم المنهار كلما تعرض للسقوط.

• • •

والآن لنعد الى قوى التحالف الثوري ، بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة ، هذه القوى التي كانت تمثل القوى الاجتماعية للثورة العربية خلال الفترة من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ . ولنحاول دراسة طبيعة هذا التحالف الذي استلمت زمام قيادته البرجوازية الصغيرة ، وطبيعة العلاقة التي تقوم بين أطرافه ، والانجازات الثورية التي حققها ، والمهام التي عجز عن تحقيقها حتى الآن . ولذلك نرى أن نميز بين مرحلتين ، المرحلة الأولى حتى نهاية ١٩٥٨ ، والثانية حتى عدوان حزيران ١٩٦٧ .

١ – لقد اتخذ التحالف بين قوى الثورة العربية احدى صورتين :

**الأولى :** عن طريق الأحزاب ، وهي أن تندمج عناصر من الطبقات الثورية المختلفة من عمال ، وفلاحين ، ومثقفين ، وبرجوازية صغيرة ، في حزب واحد ، تقوده البرجوازية الصغيرة . وكانت ايديولوجية هذه الأحزاب تمثل الحدود الوسطى بين ايديولوجية القوى المتحالفة ( أقصى ما يمكن أن تتطلع اليه القيادة البرجوازية الصغيرة في اتجاهها الثوري ، وأدنى ما يمكن أن تقبل به وترضى عنه القواعد العمالية والفلاحية ) .



**والثانية :** عن طريق المنظمات العسكرية الثورية ، وفي داخل منظمات الضباط الأحرار المنحدرين من أصل برجوازي صغير في الأرياف . فكان التحالف الشعبي يتم وراء هذه الطلائع الثورية التي ما أن تستلم الحكم حتى ترفع الشعارات الثورية التي تؤدي تلقائياً الى التفاف الجماهير المسحوقة حولها وتكتلهم من ورائها .

هذه المستويات القيادية، بما كانت تعلن من ايديولوجيات وسطية ، كانت في الواقع، ولأسباب موضوعية ، هي القيادات الثورية الوحيدة التي كانت قادرة ، في تلك المرحلة بالذات ، التي أعقبت حرب ١٩٤٨ ، على تعبئة الجماهير ودفعها في طريق الثورة .

لم تكن هنالك قيادات عمالية أو فلاحية جاهزة أعمق وعياً أو أكثر تقدماً ، ولا جماهير كادحة معبأة وواعية لمقتضيات المرحلة . ولم تكن الثورة قد صعدت بعد الى مرحلة تتطلب ايديولوجيا أعلى مما كان مطروحاً في ذلك الوقت .

وكانت العلاقات بين أطراف التحالف ، العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبرجوازيين الصغار ، علاقات ديموقراطية . ولذلك فاننا نستطيع أن نلاحظ أن مد الثورة العربية قد انطلق في أوائل الخمسينات وما زال يتصاعد حتى بلغ ذروته في عام ١٩٥٨ ، على أثر قيام الوحدة بين سورية ومصر – أروع انتصارات الثورة العربية حتى الآن – وبعد قيام ثورة بغداد ، والقضاء على الملكية وحكم الاقطاع والبرجوازية ، واسقاط حلف بغداد الاستعماري .

ففي خلال هذه الفترة تم الانفتاح على المعسكر الاشتراكي ، والاتصال بدول العالم الثالث في باندونغ ، وحطم مبدأ احتكار السلاح ، وبدأت أول مشاريع التنمية ، وتحطمت الأحلاف الاستعمارية ، وسقط مبدأ ايزنهاور ، وصفيت المؤامرات الامريكية – التركية – العراقية على استقلال سورية . وأممت قنـــاة السويس ، وفشل العدوان الاسرائيلي البريطاني الفرنسي على مصر . ووضعت ترتيبات بناء السد العالي بمعونة الاتحاد السوفياتي . وارتفع مد الثورة العربية الى المدى الذي هدد باقتلاع المصالح الامبريالية من جذورها في المنطقة ، مما دعا أمريكا الى أن تنزل قواتها في بيروت ، وانكلترا الى أن تنزل مظلييها في عمان .

كانت البرجوازية الصغيرة – قائدة التحالف اذ ذاك – صامدة على قمة المد الشعبي الثوري الذي تفتح في جو الديموقراطية ، ومن خـــلال المشاركة الفعلية بين أطراف التحالف في حمل اعبائه ، والاضطلاع الجدي بمسؤولياته .



ان الطبقات الثورية حين تتقدم في مسيرتها لا تطور نفسها فحسب ، وانما تطور جميع الفئات الاجتماعية ايضاً ، وتدفع على وجه الخصوص بفئات البرجوازية الصغيرة الى اتخاذ مواقف واضحة وتشل تذبذبها . وان خيرة العناصر في البرجوازية الصغيرة تنضم الى صفوف الطبقات العاملة ، وترفع من وعيها ، وتوسع أفقها التاريخي ، بحيث تستطيع عند ئذ ، أن تدرك الترابط الحقيقي بـــين مصالحها ومصالح الطبقات الأخرى من العمال والفلاحين .

ولذلك فإن مما يبعث على التأمل حقاً ، أن يسجل التاريخ أن قرار الوحدة بين سورية ومصر قد اتخذ بالاجماع تقريباً من أعضاء مجلس النواب السوري عام ١٩٥٨ ، بينما كانت فيهم نسبة كبيرة من أقطاب البرجوازية الذين كانوا في الحقيقة معادين للوحدة ، بدليل أنهم حـــين عادوا في عام ١٩٦١ الى ذات المجلس باركوا الانفصال وأيدوه .

وليس صحيحاً أنهم غيروا رأيهم نتيجة التجربة غير مشجعة ، فقضية الوحدة مبدأ استراتيجي لا مجال فيه للتجريب ، ولكن الصحيح أن احداً من هؤلاء لم تكن لديه الجرأة في عام ١٩٥٨ ليعبر عن موقفه الطبقي فيقول لا ، ثم يخرج بعد ذلك الى الشارع ليواجه الجماهير التي كانت معبأة وراء شعار الوحدة ، وقادرة على ان تفرضه فرضاً .

٢ - غير أن التصدع الخطير الذي وقع في جبهة التحالف بين قوى الثورة العربية في بغداد كان له ما بعده على مستقبل الثورة العربية ، وبامكاننا أن نعتبره بداية العملية الانحدار التي انتهت الى قاع كارثة حرب حزيران عام ١٩٦٧ . ونحن لا نريد هنا أن نستعيد ذكريات أليمة ، تعتبر الى حد كبير وصمة عار في جبين تاريخنا الثوري ، ولكننا نريد ان نؤكد ان منظماتنا الثورية العربية ، وقواها الاجتماعية ، انزلقت خلال تلك الفترة الى دائرة الفعل ورد الفعل ، دونما ادراك لمدى خطورة المنزلق الذي تنحدر فوقه ، ودونما تقدير لمسئولياتها التاريخية عما يجري ، ودون أن تستطيع فهم العلاقة التي كانت تقوم بين تصرفاتها في بغداد ، وبين أقدام الجيوش الأمريكية على الانسحاب من بيروت ، بعد أن اطمأنت الأمبريالية العالمية الى أن تطور الحوادث في المنطقة قد انقلب فجأة ليسير في صالحها .

وفي ذلك بعض الرد ، وأنا لست هنا لأفعل ذلك ، على من يحاول أن يلقي بكامل تبعات أزمة الثورة العربية على عاتق البرجوازية الصغيرة - ومسؤوليتها في ذلك كبيرة جداً كما لا بد أن يأتي - بينا نحن نستطيع ان نجد في سلسلة الحوادث ، التي وقعت بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ في بغداد ، مسؤوليات كبيرة مشتركة تقع على عاتق القوى الثورية المختلفة ، والمنظمات التي تنطق باسمها ، وتعبر عن أيديولوجيتها .

وهكذا توقف مد الثورة العربية على أيدي بعض قوى الثورة التي يفترض أن تكون أكثر القوى وعياً واعلاها مسؤولية ثورية . واخذت موجات المد الشعبي تهبط تحت وطأة حمام بغداد المرعب ، وبسبب جو الريبة والشك والارهاب الذي اخذ يخيم على العلاقة بين بيروقراطيي السلطة وبين الجماهير الشعبية . وتفاقم الأمر بتمزق التحالف الثوري في قمة حكم الوحدة ، وانعكس التمزق على بعض القطاعات الشعبية ، فازدادت ريبة السلطة ، وازدادت عزلة الجماهير ، وانفردت البيروقراطية بالوحدة فسلمتها لقمة سائغة لتحالف قوى الثورة المضادة : البورجوازية الكبيرة ، والاقطاع ، والرجعية ، والصهيونية والاستعمار .

وبدلاً من جو التحالف والتآخي بين رفاق الثورة ، وابناء المصير الواحد ، ساد جو من الريبة والشك ، وعدم الثقة بين المنظمات الثورية العربية ، وبدلاً من ان تقف صفاً واحداً لتنجز مهمتها التاريخية في ازاحة الاستعمار ومصالحه ، والصهيونية وجرائمها عن ارض الوطن ، وبدلاً من ان تبني الوحدة والاشتراكية وتنقذ الملايين من الجياع والمحرومين ، وقفت تتصادم بالحديد والنار ، وراحت تدبر المكائد وتحيك المؤامرات ضد بعضها ، حتى وقعت جميعاً ، وجرت معها جماهير الامة العربية ، الى كارثة حزيران ، ومرغت جيلاً بكامله في وحل الهزيمة والعار .

لماذا وقع كل ذلك ؟.. وما هي اسبابه ؟.. ومن هو المسؤول عنه ؟..

## مسؤولية قيادة البورجوازية الصغيرة :

هل قيادة البرجوازية الصغيرة هي وحدها المسؤولة عن كل ذلك ؟..

يكاد يكون من المسلم به ، بين صفوف الاشتراكيين ، أن النجــاح في كسب البرجوازية الصغيرة ، الى قضية الاشتراكية ، يشكل عاملاً حاسماً في نجاح النضال من اجل الاشتراكية . والتجربة التاريخية المعاصرة في جميع البلدان المستقلة حديثاً ، تؤكد الدور البارز الذي تلعبه البرجوازية الصغيرة ، في الصراع ضد الامبريالية ، وفي تنفيذ الاصلاحات الاجتماعية الجذرية ضد الملكية الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة . كما تقــف جماهير واسعة منها بجانب الطبقات العاملة في نضالها الباسل من اجل الاشتراكية .

والبرجوازية الصغيرة ليست طبقة متميزة واضحة المصالح والمعالم ؛ وانمــا هي تقف بين الرأسماليين والعمال وتنحاز غالباً الى صفوف هؤلاء ، وهي بسبب خضوعها في مواقفهــا لتناقضاتها الذاتية تبقى متذبذبة بين الشيء ونقيضه ، وتخضع لعملية فرز مستمرة باتجاهين متناقضين ، الثورة والثورة المضادة . وتحديد مواقفها وتطوير هذه المواقف لا يأتي في الغالب من داخلها ، وانما يأتي نتيجة لعوامل خارجية ، بسبب تبعيته وارتباطه ، بشكل جــذري ، بمستوى الصراع الاجتماعي الذي تقوم به الطبقة العاملة ذاتها . وايديولوجية البورجوازية الصغيرة ، هي في الغالب ايديولوجية الطبقــة المتحالفة معها .

ولقد دلت التجارب التاريخية لثورات الصين وكوبا وكوريا وفييتنام على أن البرجوازية الصغيرة هي المنبع الذي لا ينفد لكوادر الثورة ، وانها كانت مخلصة في تحالفها مع البروليتاريا الى اعلى مراحل الثورة . ولكن البرجوازية الصغيرة حين تفقد حليفها

لسبب أو لآخر – وهي في الحكم – وحين يخمد جو النضال من حولها ، فان اختياراتها السياسية قد تأخذ طابع التذبذب الذي تمليه عوامل ذاتية .

ولذلك فان انعدام الديموقراطية ، وسيادة جو الارهاب ، وتوقف المبادرات الشعبية ، وركود النضال الطبقي ، هو وحده الذي يمكن ان يجعل من البرجوازية الصغيرة « شيطان الثورة » حين تصبح قائدة لها .

فما هو إذن دور قيادة البرجوازية الصغيرة لقوى الثورة العربية خلال المرحلة الماضية بكل ما له وما عليه ؟..

١ – في البلدان المتخلفة ومنها بلادنا العربية ، حيث التطور الاقتصادي الرأسمالي ضعيف ومحدود ، وحيث لا يزال يهيمن الاقتصاد الصناعي « التجزيئي » ، فإن التمايز الطبقي يكون ضعيفاً وغامضاً ، وينفتح الطريق امام البرجوازية الصغيرة ، لتصبح قوة اقتصادية وسياسية ، تفوق في وزنها ما لطبقة العمال المحدودة العدد ، والمتخلفة في وعيها الطبقي وفي نضجها السياسي ، من قوة وتأثير .

ومما زاد في وزن البورجوازية الصغيرة السياسي ، في نضالنا الثوري ، وضاعف من أثرها على المرحلة التاريخية الماضية ، هو الزيادة الكبيرة التي طرأت على الجيوش العربية ، على أثر قيام اسرائيل ، وخاصة في الأقطار العربية المحيطة بها ، وكان معظم ضباط هذه الجيوش ينتسبون الى أصول برجوازية صغيرة ريفية في معظم الأحوال . واستطاعت الطلائع الثورية للقوات المسلحة العربية ، أن تتدخل في أزمات كثيرة ، وأن تحسم المواقف الداخلية لصالح التحالف الثوري ، بل إن قوى التحالف نفسه ، كثيراً ما استنجدت بتلك الطلائع ، حين كان يستعصي عليها حسم الأمور مع قوى الثورة المضادة بالاعتماد على قواها الخاصة .

ولذلك فان من المؤكد أن هذه الطبقة قد انحازت منذ البدء بغالبيتها الى صف الثورة العربية وأعطتها خيرة مناضليها وصفوة أبنائها . كما يدين لها التحالف الثوري بجزء كبير من قدراته وطاقاته ، وطالما قادته الى كثير من انتصاراته . واذا كانت هي قد استلمت قيادة هذا التحالف الثوري ، فان ذلك لم يأت صدفة ، وانما كانت في الواقع ، هي المؤهلة الوحيدة ، من بين قوى الثورة الاخرى ، لاستلام هذه القيادة . بينما كانت تلك القوى عاجزة – لأسباب موضوعية – عن الاضطلاع بهذه المسؤولية .

٢ – الا أن الاقرار بما كان لقيادة البرجوازية الصغيرة ، من آثار ايجابية كثيرة، على مسيرة الثورة العربية ، لاينفي أو يتعارض مع ما كان لها أيضاً من آثار سلبية وضارة ، الى حد بعيد ، على مسيرة الثورة ذاتها . ومعظم هذه الآثار السلبية انما نشأ ، بالدرجة الأولى ، من الخلل الخطير في التوازن بين ما لكل من قوى الثورة من دور ضمن اطار التحالف ، مما أدى الى طغيان دور البرجوازية الصغيرة وتقلص دور القوى الاخرى الى درجة أفرغ معها التحالف من مضمونه الشعبي الديموقراطي ، وتحول الى ما يشبه « دكتاتورية البورجوازية الصغيرة » . ولعل ذلك يرجع الى عاملين أساسيين:

## العامل الأول :

هو ما سبق لنا أن ذكرناه في أكثر من مناسبة ، خلال هذا البحث ، وهو الضعف العددي والنوعي للطبقة العاملة ، ضمن المجتمع العربي المتخلف ، هذا الضعف الذي يمكن أن نرد اليه الكثير من تردد القيادة البرجوازية وتذبذب مواقفها في أحيان كثيرة . ولو أن الطبقة العاملة كانت على جانب من القوة ، والوعي ، والنضج السياسي لاستطاعت أن تعبيء الرأي العام ، بما فيه الرأي العام البرجوازي الصغير ، الى جانب ايديولوجيتها ، ولسارعت قيادة البورجوازية الصغيرة الى الانحياز الى جانبها بشكل كامل .



## العامل الثاني :

هو ما استقر في ذهن قيادة البورجوازية الصغيرة من رواسب سلبية ضد الديموقراطية البرجوازية ، مما أفقدها ايمانها الى حد كبير بجدوى العمل الشعبي،وفاعليته في حسم الأمور،فبالغت في الاعتماد على قدراتها الذاتية ، وقواها العسكرية،والبوليسية، ووسائلها الخاصة،وقراراتها المباغتة في معالجة القضايا والتصدي للمهام التي كانت تواجهها. وهذا ما أدى الى التضحية بالديموقراطية وبعلاقات التحالف الموضوعية بين أطرافه ، مما أوقع قيادة البورجوازية الصغيرة ، وأوقع الثورة العربية كلها ، في الحلقة المفرغة التالية :

القوى الجماهيرية الشعبية وعلى رأسها قوة الطبقة العاملة ، لم تبلغ مرحلة النضج لتقوم بدورها كاملا ، ولا بد في سبيل تطوير هذه القوى ، وانضاج وعيها السياسي ،من أن توضع في خضم المعركة ، في مواجهة إعدائها ، لتصعد من خلال المواجهة الى مستوى

الفعل ، والتأثير ، والقيادة . وقيادة البورجوازية الصغيرة تنصب من نفسها وصياً على الثورة وقواها ، فهي ما أن تشعر بضعف هذه القوى وتخلفها حتى تزيحها عن المعركة وتستقل بالعمل من فوقها ، وتحرمها من المشاركة فتزداد ضعفاً وعجزاً .

في مثل هذا الجو من العزلة الجماهيرية ، تتحول أطر الثورة البرجوازية الصغيرة ، الى قيد على حركة الثورة ، تشل طاقاتها ، وتستنزف من جماهيرها كل ما لديها من حماسة ، ومبادرات ، وعفوية ، وتوقد ، وتحيل هذه الجماهير الى كتلة خامدة من رماد . وكثيراً ما تحاول هذه الأطر أن تحتوي الثورة ضمن حلقاتها الضيقة ، وذلك حين تتحول الثورة وهي في مقعد السلطة ، الى مجرد دكان أو متجر يزاول فيه البرجوازي الصغير عملية البيع والشراء .

ونتيجة لضعف ايمان القيادة بالجماهير ، ولانفضاض الجماهير عن الثورة ، ولانفراد البرجوازية الصغيرة بالسلطة باسم قوى الثورة ، وفي غيبتها ، يصبح من العسير على مثل هذه الثورة بعد أن ابتعدت عن قواها ، أن تنهض بالمهمات الثورية الكبرى ، التي ما قام التحالف في الأصل الا في سبيل انجازها . وحين تدرك قيادة الثورة ضعفها وتشعر بعجزها عن تحقيق ما قام التحالف بشأنه من أهداف ، تلجأ في سبيل ستر عجزها الى التمويه والمواربة ، وتفرغ الشعارات من محتوياتها الحقيقية . وعندها يصبح الانتصار على الأمبريالية والاستعمار مرهوناً بحرب التحرير الشعبية التي لايزال الشعب يجهل عنها كل شيء : ما هي استراتيجيتها ، وما هي خططها التكتيكيــة ، وما هو دور الجيوش النظامية فيها ، ومتى يبدأ العمل من اجلها بصورة جدية ، عن طريق تعبئة الشعب وتوحيد طاقاته ، ووضعه في جو الحرب الحقيقية ؟... كما تصبح الوحدة العربية ، مجرد هتافات وخطب ، وأشعار ، وأغاني .. توضع في طريقها التعلات من كل نوع وبما يناسب الظرف القائم ، كل ذلك حتى لاتفقد البرجوازية الصغيرة مغانم السلطة في اطار الدولة القطرية ... ووحدة الجماهير العربية على مستوى الوطن العربي كله تصبح مطلباً ملحاً بشرط القفز اليه من فوق مطلب وحدة الجماهير ضمن القطر الواحد ... والاشتراكية وقرارات التأميم ، تصبح وسيلة لزيادة سيطرة قيــادة البورجوازية الصغيرة ، واحكام قبضتها على مراكز القيادة الاقتصادية ، الى جانب ما احتلته من مراكز القيادة السياسية ، دون أن يؤدي ذلك الى قيام علاقات انتاج اشتراكية ، ودون أن تؤدي قرارات التأميم الى استفادة كل من العامل والمستهلك .

من هنا كانت أزمة الثورة العربية التي بلغت بها قاع هزيمة حزيران المخزية. ويمكن أن نلخص هذه الأزمة في أنها تتمثل في عزلة الثورة عن قواها الثورية ، لا لأن جماهيرها خانتها ، او لأنها تخلت عنها مختارة ، وانما لأن البيروقراطية المتربعة على عرش السلطة ، والتي تنعم بمغانم الحكم ومكاسبه ، اكرهت الجماهير اكراهاً بالسجن والسوط والعذاب ، وبالحديد والنار في بعض الأحيان ، على ان تبتعد عن الثورة ، حتى لا تراقبها ، وحتى لا تحاسبها ، وحتى لا تعاقبها ان هي اساءت واستغلت وانحرفت . وما كان للبيروقراطية ان تتمكن من ان تفعل كل هذا لولا ضعف قوى الثورة ذاتها ، ولولا سطحية وعيها ، وفقدانها النضج السياسي اللازم ، الذي لا يمكن ان يتفاعل وينمو الا في جو من الحرية والديموقراطية الشعبية .

## ما بعد هزيمة حزيران :

لقد أزالت هزيمة عام ١٩٤٨ البورجوازية الوطنية من قيادة الثورة العربية ، كما أخرجت الطبقة كلها من اطار قوى الثورة. فما هو الموقف بالنسبة لقيادة البورجوازية الصغيرة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ؟

لا شك أن هذه الهزيمة قد كشفت عن الكثير من نقاط الضعف ومظاهر السلبية في هذه القيادة ، ولكن مما لا شك فيه ايضاً ، أن الثورة لم تتجاوز البرجوازية الصغيرة كطبقة ، ولا زال أمامها كقوة من قوى الثورة دور كبير تؤديه لها ، ولا سبيل الى أدائه بدونها . واذا كانت عوامل اخراج البرجوازية الكبيرة من صفوف الثورة عام ١٩٤٨ هي عوامل موضوعية بالدرجة الاولى ، فان اسباب عجز قيادة البرجوازية الصغيرة ترجع الى عوامل ذاتية ليس من المستحيل تخطيها وتجاوزها ، اذا ما توفرت الاسباب الموضوعية لذلك . واذا كان سقوط قيادة البرجوازية الوطنية بعد عام ١٩٤٨ ، قد تم لحساب قيادة البرجوازية الصغيرة التي كانت جاهزة ومهيأة لذلك ، فان الحوادث قد اثبتت من خلال الاعوام القليلة الماضية انه ليس بين قوى الثورة الاخرى ، الخليفة للبرجوازية الصغيرة ، قوة جاهزة وقادرة على استلام زمام قيادة الثورة العربية. بل لعل هذه الحوادث بالذات قد أكدت من جديد ، عكس ذلك .

ان التخلي عن مواجهة مهمات المرحلة الحاضرة ، والهروب الى الأمام ، واختيار اكثر المواقف تطرفاً والالتصاق بها ، والتعلق بالفكر الشعاراتي والطقوسي ، والاصرار عليه ، برغم انقطاع صلته بالواقع ، وافتقاره الى اي ديالكتيك حقيقي مع الواقع

العربي الراهن ، ومع معطيات الحياة الدولية ، لا يمكن ان يصبح في وقت من الأوقات دليلاً على نضج القيادات السياسية وجدارتها لتحمل المسئولية ، كما لا يمكن اعتبار ذلك قط دليلاً على الفهم الصحيح لايديولوجية الطبقة العاملة والاخلاص لها .

وفي رأينا أنه يمكن للثورة العربية أن تتجاوز أزمتها الحاضرة، اذا ما توفرت القطاعات التالية لدى قوى الثورة ومنظماتها .

أ - أن تدرك قوى الثورة بشكل ينعكس على استراتيجيتها وعلى تكتيكها ، أن التناقض الاساسي الذي يقوم الآن في الوطن العربي، وربما لمرحلة طويلة ، هو التناقض القائم بين الامبريالية والصهيونية العالمية من جهة ، وبين الأمة العربية من جهة اخرى ، وأن هذا التناقض من الحدة والخطر على مستقبل امتنا ، بحيث يجب أن تخضع لمنطق ضروراته جميع التناقضات الاخرى .

ب - أنه لاسبيل الى الوقوف بنجاح في وجه العدوان الامبريالي الصهيوني ، ولجمه والتغلب عليه ، بدون قيام تحالف حقيقي بين جميع قوى الثورة الاجتماعية ومنظماتها الثورية، « تحالف تاريخي » لانجاز « مهمةتاريخية » هي طرد الاستعمار والقضاء على النفوذ والمصالح الامبريالية في الوطن العربي ، واحباط مخططات الصهيونية العدوانية في المنطقة .



ان هذه المسؤولية التاريخية التي تواجهها قوى الثورة العربية تجاه نفسها ، وتجاه قوى التحرر والاشتراكية في العالم ، تقتضي منها ، وتفرض عليها الارتفاع فوق مستوى أمراضها الذاتية ، وعللها القطرية ومصالحها الطبقية الضيقة ، وأطماعها الحزبية الصغيرة ، للالتقاء في حلف قومي تقدمي ، يكون في مستوى المهمة الخطيرة التي تضعها الظروف التاريخية على عاتق أمتنا المجيدة ، وجماهيرنا العربية الباسلة ، من أجل انتصار قضية الحرية والتقدم والسلام في العالم .

جـ - ان تجاوز أزمة الثورة العربية لايمكن أن يأتي ، عن طريق تلاقي القوى الثورية على مستوى العمل الرسمي ، وإن كان تلاقي الحكومات الثورية ، يعتبر جزءاً هاماً وأساسياً في اطار الحل العام لأزمة الثورة . ولكن حل مشاكل الثورة يجب أن يعتمد على استراتيجية أبعد مدى ، يجب أن يعتمد على فهم أعمق للعلاقات بين القوى الاجتماعية والثورية المختلفة ، في كل قطر ، وفي الأقطار العربية مجتمعة . وذلك كخطوة أولى في سبيل جمع تلك القوى وتنسيق نضالاتها ، ووضع ميثاق قومي يبرز الحد

الأدنى المشترك الذي يقوم بين ايديولوجياتها ومناهجها الأساسية ، هذا الحد الذي لابد من أن يتسع ويتطور من خلال الممارسة الحية والعمل المشترك .

ان ايجاد شكل من أشكال السلطة السياسية الثورية على مستوى كل قطر من الأقطار المتحررة ، وعلى مستوى هذه الأقطار جميعها ، يفسح المجال واسعاً أمام كل القوى الثورية لتعمل بحرية في إطار الميثاق وحدوده ، وبما لايضعف مبدأ الادارة الثورية المركزية ، هو مطلب أساسي من مطالب المرحلة الراهنة . وهو الذي يستطيع ان يضع للعمل العربي استراتيجيته الموحدة ، وان يجنب الثورة العربية الكثير من التناقضات التي تتخبط فيها قواها المختلفة .

فبفضل ألتقاء في جو العمل والمسؤولية ، وبواسطة الحوار المفتوح ، والنقد البناء والنقد الذاتي ، وبفضل التحليل الموضوعي يمكن توسيع آفاق اللقاء ، وكسر كل الحواجز الذاتية والمصطنعة في سبيل اتحاد هذه القوى ، ضمن صيغ أكثر تقدماً وأكثر جدوى .

ان لقاء القوى الثورية على صعيد الحكومات لايمكن أن يكون بديلا عن لقائها على مستوى الجماهير والمنظمات الشعبية . كما ان هذا اللقـــاء لايعطي اثره في ازالة عزلة قيادات الثورة عن قواعدها ، مالم تتوفر له الشروط الديموقراطية الكفيلة بأن تحوله الى لقاء فعال وبناء ، وما لم تعد للجماهير ثقتها المفقودة بأنظمتها ، وما لم تتأكد من مـــدى احترام هذه القيادات للارادات الجماهيرية .



فالديموقراطية الشعبية لاتعني فقط ان يستهدف الحكم مصالح الجماهير . انها تعني ايضاً السلطة المباشرة لهذه الجماهير . وهذا لايمكن ان يتم الا بتطبيق انظمة الادارة المحلية والمجالس الشعبية ، ومجالس العمل في المصانع ، وتنشيط العمل النقابي وضمـــان حريته ، واعطاء هذه المنظمات نصيبها من المشاركة الفعلية في التخطيط والتنهيج وفي مراقبة التنفيذ ، وتطوير اساليب الادارة والعمل في المؤسسات والدوائر الحكومية عن طريق المراقبة الشعبية ، واليقظة الثورية التي تتمتع بها الجماهير .

د – ان وحدة قوى الثورة العربية ، على النطاق القومي ، يجب أن تبنى على جملة من الحقائق الموضوعية ، التي لاسبيل الى تجاهلها ، الا اذا كان الغرض هو ضرب هذه الوحدة والحيلولة دون قيامها . وفي طليعة هذه الحقائق :

١ – ما للمتحدة – قيادة وشعباً – من دور خاص ، لاسبيل الى التقليل من أهميته وأثره ، الا بتجاهل كل الحقائق المادية ، والبشرية ، والتاريخية ، وكل الوقائع الحية الراهنة في تاريخ العرب الحديث . ان الرصيد الشعبي الجماهيري على المستوى القومي الذي

يتمتع به الرئيس عبد الناصر ، يعتبر قوة لها قيمة استثنائية تضاف الى قوة الثورة العربية في المرحلة الراهنة ، كما أن الموقع الجغرافي للمتحدة وتماسك جماهيرها ، ونوعية تكوين هذه الجماهير ، وما كان لمشاريع التنمية من اثر في تنمية صناعتها مما ادى الى قيام أكبر كتلة عمالية عربية فيها ، وما أثبته شعبها خلال مختلف مراحل النضال العربي من وعي وثبات ، كل ذلك يفرض ان يجعل من المتحدة قلعة النضال والثورة العربية وملتقى ثقة وأفئدة المناضلين في كل قطر عربي .

٢ – ان قيام المنظمات الثورية العربية المختلفة ليس وليد إرادات ذاتية فقط ، ولا هو مجرد ظواهر سطحية لاجذور لها في الواقع العربي ، ولذلك فإن التعامل بين هذه المنظمات يجب أن ينطلق من فهم الضرورات التي دعت الى قيامهـا ، ومن ادراك مبررات وجودها ، واختيار أكثر الاساليب موضوعية وديموقراطية في بناء علاقاتها ببعضها الى ان تزول جميع الاسباب الموضوعية والذاتية التي تحول حتى الآن دون قيام منظمة العمل العربي الموحد .

٣ – ضمن الظروف الدولية التي تعيشها امتنا اليوم ، لم تعد قوى الثورة لأي بلد أو أمة تقتصر على قواها الداخلية والقومية ، وانما اصبحت هنالك قوى ثورية عالمية تضاف الى القوى الخاصة بكل أمة . كما أن هنالك قوى عالمية اخرى تضاف الى قوى الثورة المضادة .

ان فهم هذه الحقيقة البارزة من حقائق عصرنا الذي نعيش فيه ، يفرض علينا حين نتحدث عن وحدة قوى الثورة العربية ، ان لانغفل القوى الاحتياطية الهامة لهذه الثورة ، وهي قواها العالمية ، هذه القوى التي اثبتت في مختلف المراحل والظروف ايمانها بقضية الحرية واخلاصها لها وتضحيتها من اجلها ، والتي تتمثل في حركات التحرر في بلدان العالم الثالث ، وفي القوى الثورية في المجتمعات الغربية ، وفي شعوب وحكومات المعسكر الاشتراكي .

٤ – وفي رأينا ان الخطوة الجدية الوحيدة ، التي ظهرت حتى الآن ، على طريق تلاقي قوى الثورة العربية، تتمثل في لقاء ثورة السودان وليبيا مع الثورة الأم في المتحدة. هذه الخطوة التي رفعت من ثقة الجماهير العربية في كل مكان ، وعززت املها بامكان تجاوز ازمة الثورة العربية الراهنة . إن الأمر يستدعي منا في هذا المؤتمر ان نرسل بتحيات التقدير والتأييد لقيادات القوى الثورية في البلدان العربية الثلاث التي ادركت ضرورات المرحلة التاريخية التي تمر بها امتنا وتجاوبت معها بتجرد واخلاص .

ولكنني ، وأنا العربي السوري ، لايسعني وأنا احيي هذه الخطوة الايجابية على طريق الوحدة العربية ، خطوة انشاء الدولة العربية الكبرى في غرب السويس ، من أن أعلن شعوري الذي لايختلف عن شعور جماهير الشعب في سورية ، والذي يتمثل في الأسف لأن سورية العربية ، المناضلة منذ فجر التاريخ العربي الحديث في سبيل الوحدة العربية ، غائبة اليوم عن هذا اللقاء التاريخي الهام . وانما نعتقد أن جميع القوى الثورية في سورية العربية متلاقية على ضرورة عدم استمرار غياب سورية عنه ، وحريصة على أن تبذل كل جهد أو تضحية في سبيل أن تنضم اليه وأن تكون ركنا من أركانه .

لقد خيل للبعض ، في أعقاب هزيمة حزيران ، وبعد أن كاد اليأس يستولي على نفوسهم من امكان قيام لقاء جدي ومثمر بين قوى الثورة العربية يضعها على طريق التحالف والوحدة ، أن ظاهرة العمل الفدائي ، التي انطلقت في سماء ليل هزيمة حزيران كخيط من نور يدفع الى الأمل ويبعث على التفاؤل ، قادرة على حل أزمة الثورة العربية بحيث يصبح العمل الفدائي هو بؤرة التجمع والتلاقي بين المناضلين الثوريين ، مما لابد وأن يعكس أثره الايجابي على القوى الثوريه في مختلف أرجاء الوطن العربي ، فاما أن يدفعها الى الوحدة ، واما أن يغمرها المد الثوري ويتجاوزها ...

ولكن هذه الظاهرة الايجابية الرائعة ، في تاريخ العرب الحديث ، سرعان ما أصيبت - مع الأسف - بكل الظاهرات السلبية التي تعاني منها القوى الثورية الأخرى ، فأصبحت المنظمات الفدائية تعد اليوم بالعشرات ، وبينما يتقدم الفدائيون مضحين بأرواحهم ليقتحموا خطوط النار وليس لهم من هدف الا القضاء على العدوان وردعه واسترداد الوطن السليب واستعادة الحقوق المهدورة ، فان القيادات الثورية تجبن أو تضعف عن اقتحام خطوط خلافاتها وانقساماتها التي يعود قسم كبير منها الى أسباب ذاتية .

ان الانقسام والتمزق لايضعف قدرات الثورة العربية فقط،وانما يضاعف ايضا من امكانات الأعداء ويفتح امامهم ثغرات في خط النضال العربي ينفذون من خلالها الى مايريدون ، اثارة الأحقاد ، وتمزيقاً للصف ، ويعطيهم كل الفرص المناسبة ليتسللوا بعملائهم وصنائعهم الى بعض مواقع الثورة ، حيث يمارسون منها تاثيرهم على مراكز التوجيه والقيادة-وفي تاريخنا الحديث امثلة كثيرة على ذلك - مما يؤدي الى ايقاع الجماهير في حالة من الارتباك والحيرة والشك ، ويفقدها القدرة على الحركة ، ويجعلها غير واثقة من اي شيء يقال لها او اي شيء تفعله ، ويسلمها فريسة سهلة لحملات التضليل والاشاعة والحرب النفسية التي يطلقها عليها العدو .

وما نظن إن لدى جماهير الثورة العربية ، وقواها الاجتماعية ، اي سبب موضوعي للاختلاف والانقسام في هـذه المرحلة التاريخية ، ومايبدو الآن من تمزق في صف هذه الجماهير ليس الا انعكاسا لمواقف رجالاتها ، ومع ذلك فان هذه الجماهير التي تبدو منقسمة في اوقات الرخاء سرعان ما تلجأ بعفويتها ، وصدق تحسسها بمسؤولياتها الى الاتحاد ، والى الوقوف صفا واحدا تجاه الاخطار التي تتهددها والكوارث التي تنزل بها . فعلت ذلك يوم حزيران ، وفعلت ذلك قبله وبعده ، ونسيت كل مازرعته القيادات في نفوسها من اسباب الخلاف ودواعيه . بل ان هذه الجماهير كثيرا ماتقف مشدوهة ، وعاجزة عن الفهم ، أمام مظاهر الانقسام المفتعلة، طالما ان العدو واحد والهدف واحد والمصير مشترك ، وطالما أن دواعي الاتحاد الداخلية لمواجهة مسؤوليات التطوير والبناء والتنمية ، لاتقل عن دواعيه الخارجية لمواجهة مسؤوليات النضال ضد جبهة العدوان الصلبة الموحدة للتغلب عليها وقهرها .

وما من شك أن الأزمة الراهنة للثورة العربية هي محصلة كل عوامل التخلف في مجتمعنا العربي ، وهي ترتبط أشد الارتباط بالانقسامات القطرية والطبقية والاجتماعية والدينية والفكرية التي ورثناها عن الماضي ، وهي في الوقت نفسه ليست الا بعض الآثار التي تدل على ان الاستعمار لايزال يملك الشيء الكثير من النفوذ غير المرئي ، والقدرة الخفية على توجيه الكثير من شؤوننا ، الوجهة التي تتفق مع مصالحه وتنسجم مع مخططاته .

# قوى الثورة العربية

بحث : أحمد بهاء الدين



ان ما أقدمه هنا ليس « بحثا » بالمعنى المفهوم ، ولكن اقرب الى ان يكون « ورقة عمل » تسجل النظرة الاساسية التي اتصور انه يمكن ان يدور حولها النقاش في موضوع « قوى الثورة العربية » .

وسوف أحاول جهدي ان يكون الحديث قريباً الى المشاكل الواقعية والمباشرة . فقد غرقت الامة العربية طوال العشرين سنة الماضية في بحار من من الجدل ، والمباريات الفكرية والنظرية ، والمشاحنات النابعة من الكتب لا من الواقع ، أو المشاحنات النابعة من الواقع ولكنها تتضخم وتتفاقم حين تحاول ان تتدثر في أردية من الكتب والمراجع والنصوص .

والثورة العربية ، تختلف عن الثورات التي نعرفها في امرين اساسيين ، ينعكسان على تحديدنا للقوى المتداخلة فيها . .

**الأمر الأول : ان الثورة العربيـة تنشأ في أقطار منفصلة تختلف الظروف بينها في بعض الاحيان اختلافا كبيراً** ، وبالتالي لا تأخذ هذه الثورة في الاقطار المختلفة صورة واحدة ، الامر الذي يجعل تحديد قوى الثورة العربية ذاتها يختلف من قطر الى قطر .

**والأمر الثاني**: انه بناء على هذا الوضع ، فإن الثورة العربية بمعناها الشامل تواجه في فترة زمنية واحـــدة مهمات عديدة تواجهها الثورات عـادة في فترات مختلفة .

فالمجتمع العربي يختلف في اقطاره من نواح كثيرة ، يمكن ضرب بعض امثلتها . .

● **من ناحية الارتباط بالخارج** ، هناك القطر المتحد سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، بدرجات متفاوتة . وهناك القطر الذي توجـد به قواعد عسكرية اجنبية صريحة . وهناك القطر الذي يعتمد في اقتصاده على مورد واحد تستثمره شركات اجنبية .

● **ومن ناحية درجة التطور الاجتماعي والاقتصادي** ، نجد اقطاراعربية تعيش حياة اقرب الى البداوة ، او توجد فيهـــا مساحات شاسعة تعيش في هذه الحالة من البداوة . وهناك اقطار تمثل الزراعة شكل الانتاج الوحيد تقريبا فيها . وهناك اقطار نمت فيها الى جانب الزراعة قطاعات من الصناعة والاشكال الاخرى للانتاج بدرجات متفاوتة . واقطار يعتبر اقتصادها اقتصاد خـدمات بالدرجة الاولى .

• وكما قد نجد قطراً لا توجد فيه مشكلة طائفية بالمعنى الحقيقي ، نجد اقطارا اخرى تلعب فيها التقسيمات الطائفية دورا كبيرا ، الامر الذي يجعل التحليل الاقتصادي او المادي للمجتمع ليس كافيا لفهم علاقات القوى داخل هذا المجتمع ونوع الانتماءات التي توجه حياة افراده .

• والاختلاف في معظم الحكم بين هذه الاقطار اوضح من ان يحتاج الى بيان . وليس الامر قاصرا هنا على « نظم الحكم » ، بمعنى الشكل السياسي لها فحسب ، ولكن بوصف هذه النظم نتيجة لعلاقات اجتماعية معينة ، او منتجة لعلاقات اجتماعية معينة .

وفي باب الاختلاف في نظام الحكم ، لابد ان نعطي أهمية خاصة لوجه من وجوه هذا الاختلاف ، وهو ان القوى الثورية قد وصلت الى الحكم في اكثر من قطر عربي ، وباتت تواجه تطبيقيا وبالفعل كل قضايا ممارسة السلطة الثورية .



وقد كان طبيعيا ان تحمل قوى الثورة العربية كل ملامح هذا الواقع المعقد وبصماته ...

ولو ان قوى الثورة العربية في كل قطر ، كانت مهمتهـا « قطرية » فحسب ، اي محصورة داخل القطر الذي تناضل فيه .. لربما كان الامر ابسط بكثير . ولكن العالم العربي فيه حقيقتان اساسيتان متوازيتان .. نكاد لا نجد نظيرا لهما فيما يصادف قوى الثورة والتغيير في اي مكان آخر من العالم .. هاتان الحقيقتان الاساسيتان المتوازيتان هما : الانفصال والاتصال .

الانفصال .. لأن كل قطر عربي له خريطـة ودولة وحكومة . وله ظروف ترتبت بنا على هذا الواقع القطري القائم بذاته وتراكمت زمنا طويلا .

وبهذا المعنى فإن قوى الثورة العربية في قطر ما ، تواجه مهمة مباشرة خاصة بها في الدرجة الاولى في داخل هذا القطر .

والاتصال .. بمعنى ان هذه الاقطار العربية رغم ان لكل منها خريطة وراية ودولة وحكومة ، الا انها لا تعتبر هذا واقعا نهائيا ، ولكنها تستشعر في قرارة ضميرها رابطة قومية واحدة ، وتطمح الى ان تتخطى يوماً حواجز الانفصال ، والى ان تحقق يوما الانتماء القومي العربي الشامل ، فوق الانتماء القطري الخاص بها . وبهذا المعنى فقوى الثورة العربية في اي قطر عربي لا تشعر أن مهمتها محدودة بحدود هذا القطر ولا تستطيع ان تفلت من التأثر بما يدور في الاقطار العربية الاخرى .. فضلا عن التأثر طبعا بقوى الثورة العالمية حيثما كانت ، وهذه قضية اخرى .

ان قوى الثورة العربية في قطر عربي معين ، قد تجد أن مهمتها الأساسية باتت تغيير علاقات الانتاج في مجتمعها والانطلاق نحو التنمية وبدء الطريق الى اقامة الاشتراكية . وفي قطر عربي آخر تجد أنها ما زالت في صراع مع شكل أو آخر من اشكال الحكم الرجعي او السيطرة الاستعمارية ، بينما تجد قوى الثورة العربية نفسها في قطر عربي ثالث - كفلسطين - تخوض حرب تحرير وطنية مسلحة .

لكن الحقيقتين الأساسيتين المتوازيتين ، اللتين أشرت اليها ، وهما الانفصال والاتصال ، يؤديان الى ان قوى الثورة العربية في اي قطر لا تواجه في حقيقة الامر وجها واحدا من وجوه الثورة ولكنها تواجه وجوهها الثلاثة معا ، ولو بدرجات متفاوتة : حرب التحرير الوطنية ، والقضاء على الحكم الرجعي والاستعماري ، وتغيير العلاقات الاجتماعية والتفكير او العمل

لشق طريق نحو الاشتراكية . وهي بالتالي تحس بتأثر كل وجه من هذه الوجوه بالوجهين الآخرين .

فقوى الثورة العربية كما قلت تنطلق من ظروف بالغة التعقيد، وتواجه في وقت واحد مهمات ربما واجهتها ثورات اخرى في مراحل متباينة ...

ومن المهم جدا ، كما سبقت الاشارة ، ان تجد قوى الثورة العربية ما يجمع بينها وينسق نضالها رغم كل الفوارق ودون اغفـــال في نفس الوقت لهذه الفوارق .

فمن اكبر مصادر التمزق والتناحر والانفصام بين قوى الثورة العربية هو عدم وجود هذه الصيغة التي لا تغرق في القطرية الضيقة حتى تعجز عن رؤية الصورة العربية الواسعة ،ولا تقفز الى الصورة العربية الواسعة قفزا مباشرا يبتر جذورها من أرض الواقع القطري .

ونحن نرى كثيراً أن بعض مشا كل العلاقات بين قوى الثورة العربية يرجع إلى انها كثيراً ما تحا كم بعضها البعض بظروفها القطرية الخاصة ، ومن محاولة تعميم هذه الظروف القطرية على الجميـع .. غير منتبهة ، من جهة ، الى ماتفرضه هذه الظروف القطرية من واقع ، وغير منتبهة ، من جهة أخرى ، الى مايستلزمه قهر هذه الظروف القطرية من افق واسع واملاء وتعميق .

وليس مصادفة ولا عبثا ، ان نجد عوامل الانفصال بين الاقطار الـــتي وصلت فيها القوى الثورية الى السلطة لم تتغير عما كانت عليه قبل الثورات وليس صدفة ان نجد في حالات اخرى ان وحدة النضال المشترك ضد الاستعمار او الرجعية لم تحل محلها وحدة نضال آخر بنفس الدرجة بعـد تسلم القوى الثورية للسلطة . بل إنه ليس مصادفة أن نجد ان القوى الثورية التي انتظمت في احزاب

نشأت وتكونت على المستوى القومي ، قد تعرضت لعوامل الانفصال القطري حين وصلت الى السلطة .

ان ظروف الثورة العربية في فلسطين ، حيث يخوض الشعب الفلسطيني حرب تحرير مسلحة شعبية ووطنية ، غير ظروف الثورة في بلد كمصر ، فيه درجة من التنمية الزراعية والصناعية والابنية الحكومية والبيروقراطية والشعبية ، غير ظروف الثورة في بلد كجمهورية اليمن الجنوبية ، حيث تنعدم الموارد الاقتصادية الاساسية ويشجع تعدد الطبقات الى آخر الحدود ، غير ظروف الثورة في ليبيا حيث يوجد مصدر كبير للدخل حديث العهد نسبياً .

ومع ذلك فهي ثورة عربية واحدة . ولايمكن ان تكون الا ثورة عربية واحدة سواء بحكم المستقبل الحتمي الواحد ، او بحكم التحدي الاستعماري الشامل .

تلك هي المشكلة الاولى التي اردت طرحها فيما يتعلق في **تحديد قوى الثورة العربية** بمعناها الواسع ، وفي العلاقات بينها .. **مشكلة تعدد الاقطار ووحدة القضية** ، وبالتالي المراحل المختلفة والمهات المتعددة المطروحة على الثورة العربية في وقت واحد .

القضية الثانية التي أريد طرحها ، **تتعرض لوضع القوى الثورية وعلاقاتها من زاوية أخرى .**

ان التعداد التقليدي لقوى الثورة العربية هو انها تشمل العمال والفلاحين والمثقفين والمهنيين والطلبة والطبقة المتوسطة الصغيرة والرأسمالية الوطنية غير المستغلة والضباط والجنود .

والواقع ان كل هذه الفئات موجودة بصورة أو بأخرى في ساحة الثورة العربية ، خصوصاً اذا اخذنا الصورة الشاملة المتنوعة التي اشرنا اليها .. من أقطار

تدور فيها حرب تحرير وطنية، الى اقطار تحاول السلطة الثورية فيها شق الطريق الى التنمية والاشتراكية .

على اننا لكي نصل الى تحديد المشكلة الاساسية التي تواجه هذه القوى الثورية ، لابد من ان نقسم هذه القوى في الواقع العربي تقسيما آخر له أهميته القصوى في طرح المشكلة .

- قوى صاحبة مصلحة في الثورة .
- وقوى فوق انها صاحبة مصلحة في الثورة فهي أقدر على انجاز حدث الثورة والقيام بدور اساسي في التغيير الثوري ..

ان الثورة التقدمية الجديرة بهذا الاسم ، ثم الثورة التي تستهدف آخر الأمر تحرير أوسع فئات الشعب ، سواء بطرد المستعمر ، أو تحطيم مؤسسات وعلاقات الاستغلال ، او التنمية والتعليم .

وبهذا المعنى فإن اول القوى صاحبة المصلحة في الثورة ، هي قوى الفلاحين والعمال ، وسائر الطبقات الفقيرة التي تمثل الأغلبية الساحقة من الأمة العربية ..

ولكننا لانستطيع القول ان هذه القوى بظروفها الراهنة تملك قدرة المشاركة في الحدث الثوري أو في قيادة التغيير الثوري بعد ذلك بالقدر المتناسب مع قوتها العددية أو مع كونها صاحبة المصلحة الاساسية في الثورة ..

ان الظلم والاستغلال الذي دام قروناً طويلة فإن قهره منصب اكثر مايكون على هذه الطبقات، بحيث تركها منهوكة القوى الى آخر الحدود. والتخلف الاقتصادي لم يسمح بقيام قاعدة واسعة من الريف المتقدم او الصناعة التي تساهم في تكوين طبقة عاملة متقدمة . والملاحقة التي تعرضت لها الحركات النقابية جعلتها أما مسحوقة أو مجرد مظهرية شكلية ، فيما عدا حالات قليلة في بعض الاقطار

العربية . والأحزاب الثورية العربية لم تتمكن بعد من أن تضم الى صفوفها النشيطة قطاعات كبيرة من العمال والفلاحين . وبقاء الامية والعادات الفكرية المتخلفة جعل هذه الفئات في حالات كثيرة فريسة أوضاع لها فوق قوة الإرهاب الاقتصادي قوة الإرهاب الفكري والنفسي والمعنوي ، في المناطق التي تسود فيها سلطة عشائرية او سلطة طائفية تستعير اسم الدين ، وليس لهـــا من جوهر الدين شيء .

هذه هي الصورة العربية العامة . وان كانت فيهـــا بالطبع بعض الاستثناءات،حيث خلقت القيادات العمالية والفلاحية لنفسها وجوداً قوياً من خلال مساهمتها في النضال الثوري ، وحيث وجدت منظمات عمالية وجماهيرية ومهنية قوية.

كذلك فإنه يجب استكمال الصورة بالاشارة الى ان أوسع الجماهير هذه كان لها دور في تأييد الحركات الثورية ، وكانت لها انتفاضات كبيرة اثرت بها في الموقف في بعض اللحظات الحاسمة ، ولكن هذا امر غير ان يكون لها مؤسسات وقيادات موجودة في الساحة باستمرار ، ومؤثرة الى حد المشاركة في حـــدث الثورة وفي قيادة التغيير الثوري .

كذلك فإن الاحزاب والمنظمات التي تمثل قوى الثورة لم تتمكن في معظم الاقطار العربية من ان تخلق لنفسها قاعـدة تنظيمية واسعة بين العمال والفلاحين .

على العكس من ذلك،نجد ان فئات اخرى من القوى الثورية سمحت لها ظروفها بمشاركة أكبر .

فالمثقفون الثوريون والمهنيون والطلاب وغيرهم من الفئات المتشابهة قدموا بوجه عام معظم الاطارات في الاحزاب الثورية ، واعـدت في بيئتهم الافكار

الثورية والتيارات التي تطالب بالقيم الجديدة والعلاقات الجديدة ، ومنهم تولد الطقس الملائم للثورة وللتغيير الثوري بوجه عام .

على ان الضعف العام للمؤسسات الجماهيرية الشعبية وللاحزاب الثورية ، أدى الى وضع أصبحت له صفة الحقيقة التاريخية ، وهو الدور الذي قامت بـه القوات المسلحة بواسطة الضباط الوطنيين فيها ، في تحقيق حدث الثورة وقيادة التغيير الثوري بعد ذلك .

ان القوات المسلحة كمؤسسة ، يمكن القول بوجه عام إن طابعها الأساسي في العالم طابع محافظ . سواء بطبيعة التربية العسكرية التي تقتضي درجة من الطاعة والانضباط ، أو لدور القوات المسلحة التقليـدي في الدفاع عن الوطن بصرف النظر عن أي إعتبار آخر ، أو لأن القوى الحاكمة ، أياً كانت ، يهمها ان تبقى القوات المسلحة في اطار خاص لا يعدوها .

ولكن ظروف الحركة الوطنية والتحررية في أماكن كثيرة من العالم الثالث ، ومن بينها الدول العربية ، جعلت القوات المسلحة تستنشق الطقس الثوري الذي يتنفسه الشعب وتتلمس الحاجة الى التغيير الثوري الذي لابد منه لكسر طوق الاستغلال والتخلف . ولهذا كانت القوات المسلحة في البلاد العربية نبعاً مستمراً لحركات وطنيـة ثورية ، رغم كل ما وضع في طريقها وفي داخلها من معوقات .

وقد كان الشكل الذي تم به الحدث الثوري ، أو الاسلوب الذي أمكن اللجوء اليه لإنجاز حدث الثورة ، واحـد في معظم الحالات : هو الاستيلاء على السلطة من قمتها ، الأمر الذي تتمكن منه القوات المسلحة دون سواها أو أكثر من سواها .

ولكن هذه الحقيقة تنطوي على مغامرة خطيرة . فكما شهـــدت بلادنا الثورات العسكرية التقدمية والوطنية ، شهدت أيضاً الثورات العسكرية المضادة. فبغير نمو شتى المؤسسات الوطنية التقدمية التي تحمي الثورة ، يصبح هذا الخطر قائماً باستمرار . . بنفس الاسلوب : أسلوب الاستيلاء على السلطة بضربة واحدة من قمتها ، ازاء ضعف سائر المؤسسات أو انعدام وجودها . .

ولهذا في حين نقسم قوى الثورة الوطنية بين قوى ثورية بوجه عام ، وقوى ثورية تسمح لها ظروفها ، ظروف المجتمع ، بالمبادرة بحدث الثورة ، فإن هـذا التقسيم ليس في الأساس تقسيماً طبقياً ولا اقتصادياً ، بقـــدر ماهو تقسيم واقعي من زاوية عملية ، نحتاج اليه حتى نتأمل مشكلة كبرى من مشاكل قوى الثورة العربية .

وانه تقسيم يطوح تلك القضية المعروفة والخطيرة : قضية الثورة بالشعب ، والثورة من أجل الشعب . .



إن طبيعة الأمور اقتضت حتى الآن ان تقوم بحـدث الثورة ذاته قوة معينة من قوى الثورة ، سواء كانت قوة مسلحة او حزباً واحداً . وهي تقوم بذلك من أجل الشعب . ولكن السلامة الحقيقيـــة للثورة ، وقدرتها على إنجاز التغيير الثوري في المجتمع ، وكسر حلقـــة التخلف وفتح طريق المستقبل ، مرتبط بأن تتحول بالتدريج من ثورة لأجل الشعب وباسمه ، الى ثورة بالشعب ايضاً .

ومعنى ذلك العثور على صيغة لمشاركة القوى الثورية في السلطة . أي العثور على صيغة ديمقراطية تناسب ظروف الثورة العربية .

ان أي سلطة ثورية ، اذا لم تعمل عملاً جاداً وشاقاً وصادقاً من أجل العثور

على صيغة تضم اليها مع الوقت كافة القوى الثورية ، وتحول الشعب من ماءٍ راكد محتبس ، الى نبع متجدد تخرج منه باستمرار القوى القادرة على المشاركة .. فهي مواجهة بأخطار باتت معروفة وواضحة .

إما خطر الوقوع في صراع مع قوى ثورية أخرى تستشعر في نفسها قدرة المساهمة وأحقيتها ، الأمر الذي يضعف الثورة ذاتها ويعددها ويؤدي الى تشرذم القوى الثورية وتناحرها .

وإما خطر الانعزال عن الشعب الذي قامت الثورة لمصلحته ، الأمر الذي يخلق سلبية خطيرة بين الجماهير ويجعل أحسن نوايا التغيير تتحطم على صخرة العزلة والسلبية ، بينما تنمو لدى السلطة مع الزمن نزعة التسلط .

وإما خطر الوقوع في يد بيروقراطية عميقة الجذور ، تمتص ارادة التغيير الثوري ، وتفرغ الثورة مع الزمن من معظم محتواها .

لقد بات أمراً ملحاً الى أقصى الحدود ، أن يتأكد أن صيغة « **الثورة من اجل الشعب** » وحدها التي سيطرت على عمل معظم القوى الثورية العربية الى الآن ، قد باتت صيغة مبتورة ، وانها في أحسن الحالات صيغة لن تذهب بالثورة العربية بعيداً في طريق التغيير الثوري . كما بات أمراً ملحاً ان تصبح صيغة « **الثورة بالشعب** » ايضاً محفورة في ضمير كل حركة ثورية ...

ومن النتائج التي يهمني الاشارة اليها ، والتي تترتب على تأكيد ان الثورة يجب ان تكون ايضاً بالشعب : ان لا يقتصر افق التغيير الثوري على دائرة تغيير الظروف المادية التي يعيش فيها الفرد فحسب ، بل يشمل الآفاق الانسانية الأخرى .

وليس هذا تقليلاً من أهمية تغيير الظروف المادية التي سوف تظل حجر الأساس في كل تغيير . ولكنني فقط اشير الى ماقد نكون أقل انتباهاً اليه .

إن الفرد العربي ليس فريسة للتخلف المادي والظلم الاجتماعي وحده . ولكنه فريسة ما أدى اليه هذا من امية قاحلة ، وعادات فكرية قديمة ، وسلطات عشائرية او طائفية او قبائلية عميقة الجذور . والتصدي لهذا كله في دأب وفي صبر وفي أناة ، يجب ان يكون في مقدمة اهتمامات قوى الثورة العربية .

ان الثورة العلمية الحديثة التي جاءت بعد الثورة الصناعية ، الثورة العلمية التي تحمل للانسانية املاً عريضاً كما تحمل للبلاد المتخلفة خطراً رهيباً ، اذ يهدد انحصارها في يد العالم المتقدم بأن يعود هذا العالم المتقدم الى استغلال الشعوب الفقيرة بصورة أخرى ، بحكم المسافة التي تزداد اتساعاً بينهما .. ان هذه الثورة قد اثبتت مرة اخرى ان الانسان هو المرء رأسمال . وان رأس مال الحرية الحقيقي في التقدم هو الانسان المتقدم .. الانسان المتعلم الواعي المدرب القادر على التلقي وعلى اتخاذ القرار وعلى الابداع .

ان الزراعة - مثلاً - بالاسلوب الاقطاعي القديم ، لاتحتاج الى اكثر من الفلاح البدائي الذي يفلح الأرض بيديه ، ولكن الزراعة بالأسلوب الاشتراكي تحتاج الى فلاح اكثر تطوراً . ذلك اننا حين نتحدث عن دورة زراعية ، او جمعية تعاونية او انتاجية ، او محطة مشتركة لاستخدام الآلات ، او تسويق تعاوني للمحاصيل ، فإننا في الواقع نحتاج الى فلاح له مهارات اكثر بكثير من مهارات الفلاح في الزراعة البدائية . ونفس الشيء ينطبق على كافة انواع العمل الانساني حتى اكثر الأعمال العلمية والفنية تعقيداً . فجزء أساسي من الثورة العلمية ذاتها انه

بعد أن كان التقدم العلمي يصدر عن ادمغة قائده وآلاف التابعين المنفذين ، اصبح التقدم العلمي يحتاج الى آلاف العلميين المدربين القادرين على اتخاذ القرارات على شتى مستويات العمل العلمي ومراحله .

ان قوى الثورة العربية مسؤولة ان تجد صيغة ديمقراطية ثورية حتى لاتقع في المزالق التي سبق التعرض لها . .

إن القول إن الثورة لمصلحة الشعب وبالشعب ، والتقدم لمصلحة الشعب وبالشعب ، ليس صيغة انشائية . ولكنه بات ضرورة اساسية لكي يصبح العمل الثوري مكملاً للامتداد والاتساع . واكبر مهمة هنا لقوى الثورة العربية ان تؤمن إيماناً عميقاً بأنها الفصيلة المتقدمة للشعب كله ، التي لايمكن ان تحقق هدفاً حاسماً من دون أن تلحقها وتشاركها سائر فصائل الشعب ، صاحبة المصلحة في الحرية ، وفي الاشتراكية ، وفي الوحدة .

# قوى الثورة العربية

## بحث : غسان كنفاني

قبل الدخول في تفاصيل موضوع المسألة التنظيمية وقوى الثورة العربية ، يجدر تسجيل الملاحظات الأولية التالية :

**أولاً** : إن المسألة التنظيمية ليست في أي حال من الأحوال مسألة فنية ، وهي في الواقع مسألة فكرية أساسية من مسائل الثورة . « ان التنظيم هو شكل التوسط بين النظرية والممارسة »(١) . واذا كان هذا القول يعني ان النظرية تظل منفصلة عن امكانيات ممارستها ، ان هي لم تنظم اداة تنفيذها ، فانه يعني بصورة أكثر ضرورة أن النظرية هي أسبق في الأهمية من التنظيم ، ودون نظرية يصبح أي تنظيم تكتلاً عضوياً أو تجمعاً منعزلاً يتخبط دون نتيجة . ان المسألة التنظيمية ليست مسألة تكنيكية ، ولا طوباوية ، في أي حال من الأحوال ، وقبل أي بحث في الموضوع التنظيمي ينبغي ان يكون موضوع الالتزام النظري قد انجز .

**ثانياً** : ان العلاقـــة بين النظرية والتنظيم هي في نفس الأهمية التي للعلاقة بين التنظيم والممارسة . وهذا يعني بالدرجة الأولى ان العلاقة بين هذا الثلاثي : النظرية والتنظيم والممارســة لايمكن ان تكون علاقة ميكانيكية ، بل هي علاقة

(١) في التنظيم الثوري – دار الطليعة ( جورج لوكاش ) .

جدلية ، فاذا كانت المعرفة ، في حد ذاتها ، هي الثراء المشترك والمتبادل للفكر والتجربة في آن واحد ، فان المسألة التنظيمية ، التي من خلال اقنيتها تحدث هذه الحركة الجدلية ، تنفعل بدورها وتتفاعل مع التبدلات المتواصلة في النظرية والممارسة . .

هذه التبدلات التي تواصل الحدوث من خلال حيوية التنظيم،وتعكس نفسها عليه .

على ان هذا يستلزم بالدرجة الأولى ان تكون البنية التنظيمية لحركة ماهي التعبير عن المطامح النظرية ، والواقع النظري ، الذي تتبناه الحركة المذكورة ، وإلا حكم التنظيم منذ البدء بتلك الهوة التي ستفصل بلا ريب بين بنيته الطبقية والفكرية وبين برنامجه.

**ثالثاً** : وكون التنظيم هو الذي يتحمل مسؤولية وضع الخطة موضع التنفيذ ، فان ذلك يحتم أن تكون مشاركته في بناء الخطة مشاركة حقيقية ومتواصلة . وهـــذه المسألة لاتستدعي فقط التركيز على توفير مقدار كاف من الديمقراطية داخل هذا التنظيم ، وفي علاقاته مع التنظيمات الجماهيرية والثقافية والنقابية التي لابد ان تنبثق عنه ، ولكنها تستدعي أيضاً توفير مقدار من الحرية تؤهله لاختيار الشكل المناسب بصورة مرنة للتكيف في الساحات التي يناضل فيها ، بمعنى اضطراره احياناً للاختفاء ، وفرصته في أحيان أخرى للتهيؤ للسيطرة على السلطة ، أو في اعتماده على درجة عالية من المركزية (الى جانب الديمقراطية ) عندما تكون المعركة التي يخوضها محتومة ، أو في اعتماده درجة متقدمة من الديمقراطية ( على حساب المركزية ) كلما مضى قدماً في ترسيخ سلطته .



**رابعاً** : ان التنظيم السياسي لايقتصر على الحزب ، ولكنه يكاد يكون مستحيلاً ( أو هو كذلك ) دون حزب ، والحزب هو الذي يحول التنظيمات المختلفة ، من نقابات وهيئات ومؤسسات وتعاونيات ، الى قوى تغطي ساحة النضال المطلبي وساحة النضال السياسي المباشر في آن واحد :

أ – وبالنسبة للحزب ، فانه يتعدى ان يكون جزءاً من الطبقة أو الطبقات التي يمثلها ويناضل في سبيلها الى ان يكون فصيلة الطليعة لتلك الطبقة أو الطبقات . ودون أن يكون الاثنين معاً يتحول إما الى قوة تراوح في مكانها أو الى قوة عضوية منعزلة ، وهذا يعني انه مطالب ، في الوقت الذي يؤكد فيه صفته كفصيل طليعي ، بأن يؤكد ايضاً ارتباطه بجماهير طبقته أو طبقاته غير الحزبية . وكفصيل للطليعة فان الحزب يجب ألا يكتفي بالصلة الايديولوجية ( أو حتى الطبقية ) بين أعضائه ، ولكن هذه الصلة يجب أن تتكرس وتتبلور وتكتسب مطالبتها الجماعية من خلال الصلة التنظيمية ، وهي الصلة التي يجب أن تسعى دائماً لتحقيق وحدة الارادة ، وتذويب التكتلات العصبوية

( بمعنى مضاد لتصفية الديمقراطية الحزبية ) ، والانضباطية ، والتطهر من الانتهازية ( نزعات التردد ونزعات المغامرة ) .

وكجزء من الطبقة أو الطبقات التي يناضل الحزب من أجلها وفي سبيلها ، فان الحزب مطالب دائماً بأن يكون جماهيرياً ؛ وليس قشرة متكلة على رأس الطبقة . ويستطيع الحزب ان يسعى في طريق صعب من هذا النوع من خلال قدرته على المراجعة والنقد والنقد الذاتي ، وكذلك من خلال منظماته الجماهيرية ، او من خلال النقابات والهيئات والمؤسسات العامة ، وأيضاً من خلال نضاله المطلبي والسياسي .

على أن كونه جزءاً من الطبقة يجب ان يحذره من التهاون في تسريب الأمراض التي رسخها المجتمع الطبقي في تلك الطبقة الى التنظيم الذي هو ايضاً فصيل طليعي لتلك الطبقة ( بمعنى تجسيم لمستقبلها ) ، وهذه المسألة لايمكن حسمها من خلال الاجراءات التكتيكية وحدها في القاعدة الحزبية، ولكن من خلال التثقيف المتواصل المرتبط دائماً بالممارسات ، والتي تتبادل مع النظرية والتصور مكتسباتها .

ب – وبالنسبة لمنظمات الجماهير ، تلك التي تنبثق عن الحزب ، أو يدعمها الحزب او تعمل مع الحزب ، وبالنسبة للنقابات ، فانها لا تتيح للحزب ارتباطاً اوسع بالجماهير فحسب ، بل هي ايضاً وفي احيان كثيرة الأشكال التي تتعرف الجماهير من خلالها واقعيا على الحزب وعلى خططه وممارساته . وقد جرت العادة – خصوصاً في بلدان العالم الثالث – على عدم تركيز الأحزاب على منظمات الجماهير او على النقابات ، مما يعتبر من أفدح الأخطاء التي ارتكبت في النشاط التنظيمي .



ان هذه المنظمات الاجتماعية والسياسية والنقابية ، في كل الحالات ، يجب ان تتبع سياسة موحدة مع سياسة الحزب ولكن بمقدار ملحوظ وحيوي من الاستقلالية ، اي يجب ان تكون هذه السياسة تركيباً لجهود ووجهات نظر القوى الاجتماعية التقدمية كافة ، وبالفعل فاننا ننطلق من فكرة ان المصالح المتعددة يجب ان تضمن لهـــا حرية التعبير عن نفسها ، وان التناقضات بينها يجب ان تحل بصورة اشتراكية .

ان هذه الملاحظات الأولية ، بهذه الصورة الموجزة ، تشكل ضرورة لا غنى عنها كخلفية للحديث عن قوى الثورة العربية وعن القضية التنظيمية للثورة العربية .

وعند الدخول في موضوع قوى الثورة والمسألة التنظيمية ، لا بد قبل ذلك من تحديد السمات الاساسية الراهنـــة للواقع العربي ، التي بدونها يصبح اي تقييم ، ضرباً في الفراغ .

وفي هذا المجال يمكن وضع الصورة من خلال نقاط مختصرة :

١ – تحتل المسألة الفلسطينية في المرحلة الراهنة ، والى فترة طويلة قادمة ، مكاناً أمامياً في الثورة العربية ، وستكون الى وقت لا يمكن رؤية نهايته الآن ذات موضع مركزي في هذه الثورة . ولا شك ان مثل هذه الحقيقة تطرح على التو نتائج والتزامات مهمة . اذ أنها ترسخ بصورة مطلقة السمة الأساسية للمرحلة العربية الراهنة ، وهي سمة التحرر الوطني الديمقراطي .

٢ – على ان مركزية القضية الفلسطينية في الثورة العربية ومكانها الأمامي يجب ألا يؤخذ على انه ترتيب ميكانيكي بالنسبة لقضايا الثورة العربية الاخرى الملحة بدورها والمتشعبة والمعقدة ، بل ان العلاقة بين قضية التحرر الوطني الفلسطينية ، وقضايا التحرر الديمقراطية والاشتراكية في الثورة العربية ، هي علاقة جدلية متفاعلة تزداد توثقاً من خلال اتصال الممارسات وتصاعدها . ولعل في خصوصية القضية الفلسطينية بالذات ما يجعل تلك العلاقة الجدلية اكثر ضرورة والحاحاً واكثر استدعاء للتفاعل .

فارتباط اسرائيل بالامبريالية ، وارتباط النظم الرجعية العربية بالامبريالية ، وضراوة العدو الاسرائيلي كحربة أمامية للهجمة الامبريالية التي جددت دماءها وطاقاتها بحلفها مع الصهيونية العالمية ، وعروبة القضية الفلسطينية وارتباط النضال الفلسطيني المسلح ذاته أكثر فأكثر بالالحاح المتواصل للقضية الطبقية الفلسطينية وتشعباتها الخاصة في البنية الطبقية العربية وعلى هامشها ، كل ذلك يجعل من العلاقة الجدلية بين قضية التحرر الوطني الفلسطينية وبين النضال التحرري والديمقراطي والاشتراكي العربي علاقة جدلية يتوثق ارتباطها وتداخلها بعضها بالتدريج ، وبعمق .

٣ – ان قضية التحرر الوطني الفلسطيني لا يمكن أن تكون منفصلة بأي حال من الأحوال عن النضال العربي للتحرر من الأنظمة الرجعية أو الرازحة تحت الاستعمار المباشر ، أو المنتظمة في مناطق النفوذ الاقتصادي الامبريالي .

ففي حين تعطل مثل هذه الأنظمة طاقة جماهيرها النضالية ، وتستغل طاقتها الانتاجية ، وتخدم الترس الأمبريالي الذي تشكل اسرائيل أحد أسنانه ، فإن تحررها يزيد في تصليب واغناء النضال الفلسطيني ويضعف من طاقة الأمبريالية ويوطد العلاقة المصيرية اليومية بين النضال الجماهيري العربي والنضال الفلسطيني .

(ومن هنا فانه اذا كان النضال الفلسطيني المسلح يقدم ، من خلال الممارسة الثورية

مثالاً ونموذجاً يومياً ، هو عبارة عن تحريض للاقتداء ، فان هذا وحده لا يكفي بالطبع ، بل ان صيغة الارتباط يجب ان ترسخ بين النضال الجماهيري العربي والفلسطيني : طبقياً وايديولوجياً وتنظيماً ، ومثل هذه الصيغة هي وحدها القادرة ليس فقط على تعزيز النضال الفلسطيني ، الذي هو الخط الأمامي الراهن للنضال العربي ، ولكن على تعزيز دور هذا النضال الفلسطيني في خدمة قضايا الثورة العربية الأخرى .

٤ - وحين نتحدث عن قضايا الثورة العربية ، ونركز بالدرجة الأولى وبشكل عام على قضايا التحرر الوطني الديمقراطي ، فذلك لأن البنية الاقتصادية الراهنة في هذه المرحلة، على وجه العموم، تشير بما لا يقبل الجدل على الدوران في فلك النفوذ الأمبريالي .

ومثل هـــذا الكلام ليس تجريداً ، ولكنه تجسيد واقعي لما هو حيوي في حياة الجماهير العربية . وكي ندرك حقيقة معناه ، وبالتالي حجمه الضروري في استراتيجية النضال العربي ، فانه من الضروري تثبيت نماذج بواقع الأرقام والحقائق لبعض جوانب هذا الوصف :

– من مجموع ٣٥٠٠ مليون دولار ذهباً وبالعملات الأجنبية ، هو كل ما تملكه الدول العربية رسمياً كاحتياطي ، هناك ٢٢٠٠ مليون دولار منها مودعة بالعملات الصعبة ( دولار واسترليني وفرنك فرنسي ) .



– تقدر الكميات المستخرجة سنوياً من النفط في الدول العربية بحوالي ٨ مليارات من الدولارات ، وفي عام ١٩٦٧ وصل مجموع المداخيل التي تلقتها الدول العربية المنتجة النفط لذلك العام ٤ مليارات دولار.

– تسيطر الولايات المتحدة على ٥٥٫٣ بالمئة من نفط الوطن العربي ، وتسيطر الشركات البريطانية والهولندية على ٢٩٫٧ بالمئة ، وفرنسا على ٩٫٢ بالمئة ، واليابان على ١٫٧ بالمئة ، والباقي ( أي ٤٫١ بالمئة ) تتقاسمها المانيا الغربية وايطاليا واسبانيا ومختلف الشركات الوطنية .

– ان الحد الأدنى لأجور العمال المؤهلين في صناعة النفط في الوطن العربي تبلغ ، في السعودية على سبيل المثال ، ٢٣ بالمئة فقط مما هي في فنزويلا .

– عام ١٩٦٦ استحوذ النفط على ٣٠ بالمئة من استثمارات الولايات المتحـــدة المباشرة في الخارج ، ولكنه شكل ٥٤ بالمئة من مدخول هذه الاستثمارات . وكان الدخل

الأمريكي من هذه الاستثمارات النفطية ١٨٠٠ مليون دولار ، وحوالي ١١٠٠ مليون دولار منها كان من الاستثمارات النفطية الأمريكية في الشرق الأوسط وليبيا .

٥ – ولا يقتصر النفوذ الأمبريالي ، في حقيقته ، على الاستغلال الاقتصادي وبالتالي على النفوذ السياسي ، ولكنه في أحيان اخرى يتجسد بوجود عسكري وشبه عسكري في بعض البلدان العربية .

لقد بات من الواضح الآن ، وعلى وجه الخصوص بعد ٥ حزيران – ولعل ذلك كان بالذات خلفية الحماس الأمبريالي لـ ٥ حزيران – ان الأمبريالية العالمية التي تقودها الولايات المتحدة ، انهت رهانها على الأنظمة الرجعية والأوتوقراطية العربيــة ، التي اعتبرتها ذيلاً طيعاً لها ، ولكنه ذيل لا يمتلك القوة الذاتية المعتمد عليها ، ومضت في تنفيذ استراتيجية جديدة تستهدف تطويق الوطن العربي بحلقة تمتد من طهران الى البحرين الى أثيوبيا الى اليونان الى الصحراء المسماة بالإسبانية في المغرب. وترتبط هذه الحلقة ربطاً محتماً ، من خلال اسرائيل ، بين حلف السنتو وحلف معاهدة شمال الأطلسي .

ولا تتجسد هذه الاستراتيجية من خـلال ترسيخ علاقات اقتصادية وعسكرية وتكنولوجية بين اسرائيل وطهران وأثينا فحسب ، ولكنها تتعداها الى تغذية المطامح الايرانية الاحتلالية في الخليج ، والعمل على انشاء «بيافرا» جديدة في جنوب السودان ، وعلى تعزيز القواعد العسكرية الانجلو امريكية في الخليج والبحرين والسعودية وأثيوبيا واليونان والصحراء المسماة بالإسبانية في المغرب .

وكي يكون لكل هذا الكلام معناه العملي ، لا بد من ترجمته الى وقائع والى أسماء :

من المعروف انه في أواخر عام ١٩٦٥ تم الاتفاق بين بريطانيا والولايات المتحدة على توحيد السياسة الاستعمارية للبلدين في قارتي آسيا وأفريقيا ، وخصوصاً في البلدان العربية الغنية بالنفط ، وذلك من أجل التعاون والمشاركة في أعباء الدفاع عن المصالح الأنغلو - أمريكية ، وفق ما صار يصطلح على تسميته باستراتيجية شرق السويس الجديدة . ولتحقيق هذه الاستراتيجية الموحدة جندت مجموع القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية لتلعب دور « الحزام » الامبريالي . فهنالك مجموعة قواعد بريطانية وأمريكية جديدة تم بناؤها في جزيرة «كو كوس» وفي جزيرة« ديجوجارسيا» وجزيرة « الدابرا » وجزيرة « سيشل » في المحيط الهندي .

وتقع هذه القواعد في منتصف المسافة تقريباً بين القواعد البريطانية والأمريكية

في سومطرة وماليزيا والفليبين وسنغافورة في آسيا ، وبين القواعد الأمريكية والبريطانية في الحبشة وكينيا ( شرق افريقيا ) .

— وترتبط سلسلة القواعد هــذه بسلسلة أخرى ذات أهمية خاصة من القواعد العسكرية البريطانية والأمريكية تمتد من خليج عدن ومدخل البحر الأحمر ، ثم على طول ساحل عمان على المحيط الهندي وصعوداً على شواطىء الخليج العربي حتى البحرين والظهران في السعودية .

— ومن الواضح ان هذا « الحزام الفرعي » من القواعد يهدف بالدرجة الاولى الى تطويق الجزيرة العربيــة ، مرتبطاً من ناحية اخرى بالحزام الاساسي ، الممتد من شرق آسيا الى شرق افريقيا .

— ان استراتيجية شرق السويس الجديدة ، تعتمد على نقطتي ارتكاز رئيسيتين بالاضافة الى المراكز البريطانية التقليدية في افريقيا ( روديسيا واتحاد جنوب افريقيا ، ومعظم مستعمراتها السابقة ) وهاتان النقطتان هما :

**أولاً** : اتحاد ماليزيا سابقاً ( اي ماليزيا وسنغافورة ) ، ومستعمرات بريطانيا في جزيرة ساراواك وكاليانتان صباح ) وهي مناطق غنية بالمطاط والمعادن .

**ثانياً** : ( وهي الأهم بالنسبة للمصالح الامريكية ) المنطقة المحيطة بالخليج العربي ، والتي كانت تستندها فيا مضى بالدرجة الاولى القاعدة البريطانية في عدن ، ثم نقط الارتكاز الملحقة بها في قطر والبحرين وأبو ظبي ودبي والشارقة .

وهذه المنطقة تمثل موقعاً رئيسياً لامتصاص الانتاج الصناعي البريطاني بفوق دخله ٢٠٠ مليون جنيه استرليني كل عام ، وينتج ثلاثة اخماس مجموع واردات بريطانيا من البترول .

— على ضوء هذه الخطوط العريضة لاستراتيجية شرق السويس الجديدة الاستعمارية ، يجدر بنا ان نلقي نظرة على التجسيد العسكري الواقعي في شبه الجزيرة العربية لهــذه الاستراتيجية ، التي تقرر ، منذ ١٩٦٠ ، ان تتولى فيها بريطانيا دور ( البوليس الاستعماري ) من شرق السويس الى سنغافورة . فلبريطانيا في هذه المنطقة ، السلسلة التالية من القواعد :

## في ظفار :

توجــد قاعدة « صلالة » الجوية المجهزة بقوة ضاربة من الطائرات النفاثة

والمزودة بالصواريخ ووحدات المدفعية والمشاة ، وبشبكة من أجهزة الرادار ومخازن سلاح وذخيرة وقنابل نووية ومحطة لاسلكية قوية تربطها بمجموعة من القواعد في الأقاليم والمناطق الأخرى. والمهمة المركزية الراهنة لهذه القاعدة الآن هي العمل على قمع ثورة ظفار.

## في عمان :

ولبريطانيا فيها قاعدة « مصيرا » الجوية والبحرية ، وفيها مخازن الذخيرة والتموين للأسطول البريطاني .

- قاعدة مسقط البحرية والجوية .
- قاعدة البريمي الجوية .
- قاعدة الشارقة الجوية .

وبالاضافة الى ذلك فلبريطانيا مجموعة من المعسكرات الكبيرة والقواعد الجوية والبحرية الصغيرة في البلدان والمناطق المجاورة : رأس الحد ، صحار ، عبرى ، نزوة ، الفجيرة ، رأس الخيمة ، أم القوين ، عمان ، أبو ظبي وغيرها .

## في البحرين :

قاعدة « الجفير » الجوية البريطانية ، حيث ترابط بصفة مستمرة ثلاث حاملات طائرات ، وخمس مدمرات ، وست كاسحات الغام ، ووحدة من مشاة بالأسطول ، وحاملات للجنود ، ومحطة لاسلكية ، كما يوجد فيها مقر المخابرات العسكرية البريطانية في الخليج العربي .

- قاعدة المحرق الجوية الاستراتيجية القائمة في الجزيرة المعروفة بهذا الاسم ، وهي تضم سربين من الطائرات المقاتلة « هوكر هنتر » ، وسرباً من طائرات النقل « بيفولي » ، وقوة مؤلفة من ٣ آلاف جندي من المظليين ، ووحدة رادار ، ومحطة لاسلكية ، وفرقة حراسة للقاعدة مزودة بكلاب بوليسية مدربة .

- قاعدة الهملة البرية وتقع غربي المنامة ، وتضم وحدات عسكرية من سلاح المشاة والمدفعية والدبابات والمهندسين ، ومحطة لاسلكي ومستودعات سلاح وذخيرة . وقد استخدمت بريطانيا هذه القاعدة أثناء العدوان على مصر عام ١٩٥٦ وفي عمان ١٩٥٧ ، وضد اليمن الشمالية وضد ثورة جنوبي اليمن ، وفي قمع الحركة الوطنية في البحرين عام ١٩٦٥ .

والجدير بالذكر انه في عام ١٩٦٧ قامت بريطانيا بتوسيع هذه القواعد الثلاث ، وهيأتها بالدرجة الأولى للقدرة على استقبال وحدات الأسطول والقوة الجوية الامريكية الناشطة في المنطقة ، وفي الوقت الذي اخذت فيه بريطانيا توسع قواعدها الرئيسية الثلاث في البحرين ، مضت بالشراكة مع الولايات المتحدة لتجعل القواعد الامريكية في السعودية ذات قيمة عسكرية أقوى .

– فقد اتفقت السعودية مع بريطانيا على استعارة ٩٠٠ ضابط بريطاني لانشاء شبكة جديدة للدفاع الجوي، نصبتها ليس على شواطىء خليج العقبة ولكن قرب حدود اليمن .

– تسلمت السعودية من الولايات المتحدة معدات للنقل العسكري ، وصواريخ هوك ، وطائرات نفاثة ، واجهزة رادار .

– سمحت لندن وواشنطن باستخدام جيش من المرتزقة الاجانب ، ولم يعد سراً الآن ان البلد الوحيد الذي يتفوق على الكونغو في استخدام المرتزقة الأوروبيين هو السعودية .

– وانعكست « المساعدات » بأن انشأت السعودية ، في فترة قصيرة نسبياً ٣٧ قاعدة عسكرية ، تتمركز على مسافة لا تتجاوز ١٢٠ ك . م من امتداد حدود اليمن .

– لقد حددت وثيقة صدرت عن معهد الدراسات الاستراتيجية البريطانية ، عام ١٩٦٦ ، معنى ذلك كله في عبارة مختصرة :



ومن شأن القواعد العسكرية في شبه جزيرة العرب والخليج الفارسي ، دعم النفوذ الغربي في الشرق الأوسط والتدخل ضد الأعمال العدوانية المحلية ، بالاضافة الى انها تساعد على فتح الطريق الاستراتيجي الى القواعد العسكرية البريطانية بالمحيط الهندي ، وجنوب شرقي آسيا ، للحد من التوسع الشيوعي في المنطقة . وكذلك فان الهدف الرئيسي من وجودها هو ضمان الاستمرار في شحن بترول الشرق الأوسط ، ومنع أي نزاع في المنطقة المجاورة أو القضاء عليه والمساعدة على التدخل العسكري البريطاني .

٦ – ولتجريد استكمال الصورة، ولكي يكون أي تقييم لاحق للصيغة النضالية الفكرية والتنظيمية مستنداً على تصور علمي للواقع ، فانه لابد من القاء نظرة على واقع التركيب الاقتصادي في البلاد العربية ، وبالتالي تحديد سمات عامة للبنية الطبقية في مختلف اجزاء الوطن العربي .

أ – توزيع القوة العاملة في السودان .

- الزراعة ٨٦٫٧ بالمئة
- الخدمات ١٠ »
- الصناعة ٣٫٣ »

التركيب السلعي للتجارة الخارجية في السودان :

- صادرات القطن المحلوج ٤٥٫٩ ٪
- بذرة القطن ١٠ ٪
- الفول السوداني ١٢٫٦ ٪

المجموع ٦٨٫٥ ٪

ب - الناتج القومي في الأردن ( ١٩٦٥ )

- الزراعة ٣٥ مليون دولار
- الصناعة ١٦ مليون دولار
- الخدمات ١٠٠ مليون دولار

جـ - الميزان التجاري في السودان ( ١٩٦٦ )



- المواد الغذائية ( صادرات ) ٣٣ مليون دينار
  المواد الغذائية ( واردات ) ١٩ » »
- المواد الخام ( صادرات ) ٣٧ » »
  المواد الخام ( واردات ) ٥٦ » »
- السلع المصنعة ( صادرات ) ٣ » »
  السلع المصنعة ( واردات ) ٥٤ » »

المجموع ٢٢ مليون دينار صادرات
١٣١ مليون دينار واردات

د - الدخل القومي في سورية ( ١٩٦٦ )

- الصناعة والبناء ٦٦٨ مليون ليرة
- الزراعة ١٠٠٠ مليون ليرة
- الخدمات ١٧٥٧ مليون ليرة

المجموع ٣٤٢٥ مليون ليرة

هـ – التجارة الخارجية في العراق ( ١٩٦٦ )

– الصادرات ١٦٧٫٦ مليون دينار

– صادرات النفط الخام ١٥٤٫٤ مليون دينار

و – الميزان التجاري في الجمهورية العربية المتحدة ( ١٩٦٦ )

– الصادرات قطن خام ٦١٫٣ بالمئة ٧٣ بالمئة من
وقود وخامات ١١٫٧ « مجموع الصادرات.
سلع نصف مصنعة ١٠٫٩ «
سلع تامة الصنع ١٦٫١ «

الواردات من الدول العربية ١٥ مليون جنيه
شرق اوروبا ٦٠ « «
الشرق الاقصى ٣٠ « «
غرب اوروبا ٨٥ مليون جنيه ( ١٣٣ مليون جنيه من
أمريكا ٤٨ مليون جنيه اصل ٢٤٥ مليون جنيه ).



## استنتاجات :

ان هذه النماذج من الارقام تحدد ملامح ميزات خاصة للاقتصاد العربي ، وهي ذاتها خصائص الاقتصاد المتخلف .

أ – الدول العربية تعتمد على منتوج واحد من المواد الخام ، أو منتوجين في احسن الاحوال ، للتصدير .

ب – فقدان السيطرة على مراكز التراكم الاول للمواد ( خصوصاً النفط ) .

ج – ضآلة حجم الصناعة واليد العاملة فيها .

د – الدور البارز لاقتصاد الخدمات .

هـ – سيطرة القطاع الزراعي غير المصنّع على النسبة الأكبر من الدخل والانتاج الوطني .

و – التحاق الاقتصاد العربي بالسوق الامبريالية (١)

٧ – ان ذلك كله يعطي قاعدة علمية لأي تصوير من المعضلة التنظيمية للثورة العربية ، فالثورة هي في الجوهر عملية التغيير للعلاقات الوطنية والاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية التي تقود في نهاية المطاف الى تكريس النفوذ الامبريالي وتكريس نفوذ طبقة عميلة أو متعاونة تستفيد من فتات عملية النهب الاستعماري وتمارس دوراً قمعياً واستغلالياً مباشراً أو غير مباشر ، وهو دور لايكتفي بتعطيل القدرات النضالية التحررية الوطنية والطبقية فحسب ، بل يمارس ايضاً وبالدرجة الاولى دوراً استغلالياً للقدرات الانتاجية للجماهير المضطهدة ، وهو كي يحقق ذلك يستخدم ، بالإضافة لأدوات القمع الامبريالية المباشرة ، أجهزة القمع المحلية التي تخدم مصالحه الطبقية ، وبإرادته أو رغما عنها تؤدي ممارساته هذه مباشرة أو غير مباشرة الى تكريس الوجود الاسرائيلي ، والى دعم عملية النهب الامبريالية التي تدعم بدورها ذلك الوجود الاسرائيلي ، ثم تستخدم القاعدة الاسرائيلية العسكرية كأداة قمع لمجموعة حركات التحرر الوطني والديمقراطي والاشتراكي في الوطن العربي ، وبالتالي فان الصراع الحقيقي الذي تجد الثورة العربية نفسها امامه هو الصراع ضد كل اجزاء هذه الدائرة المترابطة والمتساندة . وهي ملزمة بمثل هذه النظرة الشاملة ، على صعوبة التصدي لها ، لأن ترابط هذه الحلقة المغلقة يجعل أية محاولة للتركيز على جزء من اجزائها فحسب هدراً لامبرر له .

٨ – ومن هنا فان الارتباط الجدلي بين النضال الطبقي والنضال القومي لابديل له ، وبوسعنا ان نشدد هنا ، وعلى وجه الخصوص على ماقاله ماوتسي تونغ « من ان الاستسلام الطبقي يؤدي الى الاستسلام القومي ، والاستسلام القومي يؤدي الى الاستسلام الطبقي » وكنا قد رأينا هذه العلاقة المتلازمة بين المسألتين من خلال وصف لطبيعة الأوضاع العربية. وذلك يعني بان الثورة ، وأية صيغة تنظيمية لها ، يجب ان تقوم اساسا على هذه العلاقة الجدلية ، المناهضة للاستسلامية ، على الجبهتين معاً .

٩ – يمكننا ، باطمئنان ، ان نتبنى كلياً تقريباً الرأي التالي : « ان مهمتنا ... هي دراسة تراثنا التاريخي وتلخيصه بصورة ناقدة باستخدام الاسلوب الماركسي. ان لأمتنا

---

(١) لاشك ان دراسة الأوضاع الاقتصادية والانتاجية والطبقية للواقع العربي ، تحتاج الى تفصيلات أوفى بكثير والى تحليلات إختصاصية مستندة إلى احصائيات وبحوث علمية ( غير متوفرة كما يجب ) . وبالطبع فان هذا الجانب ليس من اصل الموضوع الذي نحن بصدده ، ولكن ايراد تلك الامثلة والنماذج يهدف الى اعطاء فكرة سريعة بخطوطها العريضة لا بد منها في البحث .

تاريخاً يعود الى آلاف عديدة من السنين ، فهي أمة لها خصائصها ، وأمة تلك ثروة غنية من التراث النفيس ، بيد اننا لانبرح مجرد تلامذة صغار في كل ذلك . . ان من واجبنا ان نلخص كل ماضينا .. وان نرث هذا التراث الثمين ، ولسوف يساعدنا ذلك كثيراً في توجيه الحركة العظيمة الراهنة ... ( ونحن ) لانستطيع ان نطبق الماركسية بنجاح الا اذا ربطناها بالخصائص المحددة لبلادنا ووضعناها في قالب وطني محدد واذا ماعمد ( الثوريون) الذين يؤلفون قسما من الأمة .. وهم مرتبطون بها لحماً ودماً ، الى التحدث عن الماركسية بمعزل عن خصائص (الوطن) فان الذي يتحدثون عنه ليس سوى ماركسية مجردة جوفاء .. يجب أن نرفض اسلوب القوالب الجامدة الاجنبية ، وان نضع حداً للنغمات المجردة الجوفاء وان ننبذ نزعة الجمود العقائدي .. ان فصل المضمون الأممي عن الشكل الوطني هو طريقة أولئك الذين لايفقهون شيئاً من الأممية ، اما طريقتنا فهي الربط بين الاثنين ربطاً وثيقا »(١).

١٠ — لقد توصلنا ، من خلال ماتقدم ، الى وضع عناوين لسمات محددة ،تشكل في حقيقتها ليس فقط اطاراً ايديولوجياً للعمل الثوري ، ولكن ، تحديداً لبنية تنظيمية لهذا العمل الثوري أيضاً ، وهذا هو بالضبط وعلى وجه التحديد المكان الذي تتبادل به المواقف الايديولوجية مع المسألة التنظيمية العلاقة الجدلية المتواصلة .

١١ — وهذا ، في الوقت نفسه ، يشكل بداية جديدة. إذ على ضوء مهمات المرحلة وخصائصها ينبغي للتنظيم أن يرسخ ، ليس فقط بنيته الطبقية،ولكن ايضاًاستراتيجيته السياسية ، وعلاقاته الداخلية ، وتحليله النقدي المستمر لميدان المعركة ولقواها وللعلاقات التصارع والتحالف ، وبالطبع علاقاته الصدامية ، مع مختلف القوى الأخرى،الداخلية والخارجية .

١٢ — ان المجتمع العربي يتمايز بلا ريب في ساحاته المختلفة ، وهو لايعيش من حيث مهماته الراهنة وواقعه الطبقي والوطني حالة واحدة:

ففي حين يشكل في بعض ساحاته مجتمعاً مستعمراً ، فهو يشكل في ساحات أخرى مجتمعاً شبه مستعمر ،واقطاعي وشبه اقطاعي ، وفي حالات ثالثة مجتمعاً محكوماً بنظام بورجوازي صغير ، وفي حالات أخرى بنظام برجوازي صغير عسكري او بوليسي أو بانظمة اصلاحية غير ثورية . كذلك فانه في بعض ساحاته متحرر سياسيا،وفي ساحات اخرى « نصف متحرر » .

---

(١) مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة ، المجلد ٢ ( طبعة بكين — ص٢٩١-٢٩٢)

ولكن المجتمع العربي بصورة عامة تحكمه من جهة القوى الامبريالية سواء مباشرة أو غير مباشرة أو بالالحاق المباشر بالسوق الامبريالية . وتحكمه من جهة اخرى علاقاته الداخلية ، الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، والبرجوازية المرتبطة بالأمبريالية والعشائرية .

ومن هنا فانه من غير الممكن تحديد قوى الثورة العربية، إن لم يكن هذا التحديد مستنداً على فهمنا لطبيعة المجتمع العربي :

القوى التي هي في معسكر خصوم التغيير الثوري ، والقوى المؤهلة طبيعياً للدخول إلى ذلك المعسكر في المستقبل ، ومن جهة مقابلة القوى التي تنتسب لعملية التغيير الثوري والقادرة على تصعيدها والاستمرار بالالتزام بها .

ان القوى المضادة للثورة ، الأثقل وطأة على الجماهير العربية في هذه المرحلة، هي القوة الأمبريالية بالدرجة الأولى ، ممثلة في مخفرها الاسرائيلي الأمامي. ولكن من المستحيل فصل القوى المحلية المتواطئة مع هذه القوة الامبريالية والمستسلمة لها ، وكذلك بالدرجة الثانية ـ القوى المهيأة لمثل هذا الاستسلام في المستقبل .

ان الأمبريالية ، وعملاءها . والقوى الرجعية التي تلعب دور المخلب ، والطبقات الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة المرتبطة مصالحها كلياً بمصالح الوجود الامبريالي وسوقه العالمي ، تمثل معسكر العدو ، الذي على قوى الثورة أن تعتنق الايديولوجية التي تدعو الى تصفيته ، وتحدد دليل العمل للمعركة ، وترسخ الصيغة التنظيمية المتلائمة ، بنيـــة، واسلوباً وتوجيهاً لانجاز مثل هذه المهمة .



أما البرجوازية الصغيرة فإن دورها في مثل هذه المعادلة اكثر تعقيداً وتراوحاً . ومن المعروف إن البرجوازية الصغيرة التي تتصف بالتردد والانتهازية والتذبذب هي أيضاً ترزح تحت الاستغلال المباشر من القوى الامبريالية وحلفائها .. واذا كانت الشرائح العليا في البرجوازية الصغيرة تظل موالية للطبقات المستغلة ، فان الحركة المتصلة والمتطورة تظل تؤدي الى اسقاط عدد متزايد من افراد البرجوازية الصغيرة الى الطبقات الأدنى ، واذا كان لهذا الوصف المختصر أي معنى فهو انه من المستحيل حبس البرجوازية الصغيرة – بالرغم من الصفات المشتركة لمعظم شرائحها – داخل وصفة جاهزة واحدة .

ان البرجوازية الصغيرة طبقة ، في الاجمال ، ذات مهمات وصفات وطنية ، وهي تلعب دوراً له أهميته الكبيرة في مرحلة التحرر الوطني ، ولكن من الخطر الاعتماد على برامجها كقيادة . هذه القيادة الـــتي ينبغي لها ان تتمركز أكثر فأكثر بين أيدي الطبقات

الكادحة ذات المصلحة الحقيقية في الثورة الوطنية والديمقراطية والاشتراكية . وذات النفس الاطول والأكثر التزاماً ورسوخاً في حمل مهمات هذه الثورة نحو آفاقها المنتصرة.

ان العلاقة بين الطبقات الكادحة وبين البرجوازية الصغيرة ترضخ لمبدأ التحالف والصراع في آن واحد . ولعل حاجة الثورة في جميع مستوياتها الى المزيد من المثقفين ، الذين يتمركزون بصورة عامة في اطار البرجوازية الصغيرة ، يجعل من مثل تلك العلاقة المتكاملة والمتناقضة في وقت واحد ، علاقة التحالف والصراع ، اكثر ضرورة وحتمية.

ان المهمة الرئيسية للثورة العربية في هذه المرحلة هي ضرب العدو الامبريالي في كافة أشكال وجوده ، وعلى امتداد الوطن العربي ، وضرب سيطرة الطبقات الحليفة له والمستسلمة لنفوذه . فثمة مهمات الثورة الوطنية من اجل وضع حد للوجود الأمبريالي، ومهمات الثورة الديمقراطية للقضاء على الطبقات الاقطاعية والرأسمالية والبرجوازية الكبيرة في الداخل ، ومهمات الثورة الوطنية والثورة الديمقراطية مترابطة بصورة جدلية. فبدون القضاء على الأمبريالية في جميع أشكال وجودها في الوطن العربي لا يمكن وضع حد لسيطرة الطبقات المستغلة في الوطن ، التي تلاقي كل الدعم من هذه الامبريالية ، وبدون سحق هذه الطبقات المستغلة فسيظل للامبريالية قوتها التي تستغل بواسطتها الطبقات الاخرى والتي تعطل بأنماط الاستغلالية والقمعية القدرات النضالية للطبقات المستغلة بحيث يصعب استنفارها ضد العدو الأمبريالي .

١٣ — ان هذه الخلفيات كلها تدفع — كما يبدو واضحاً — نحو صيغة تنظيمية للقوى الثورة العربية ، هي صيغة « الجبهة الوطنية الموحدة » التي تضم القوى الممثلة لمصلحة الثورة والقوى المحركة لها في هذه المرحلة الأساسية من تاريخ النضال العربي ، شرط ان يكون برنامج العمل لهذه الجبهة الوطنية الموحدة قادرا من خلال علاقات جبهوية في كل من ساحاته بعضهابعض وبالقيادة المركزية، على الترسخ والتطور باتجاه متطلبات المراحل القادمة ، وتعزيز الترابط بين اطراف هذه الجبهة . انه من المفروغ منه ان البلاد العربية في معظم ساحاتها تفتقر الى حزب تقدمي قوي ومنتصر وواسع الانتشار بحيث يستطيع ان يشكل عمودا فقريا لتحالف القوى التقدمية الأخرى معه ، وهذا الواقع يدعو أكثر نحو صيغة « الجبهة الوطنية المتحدة » . والا فإن الباب سيظل مفتوحاً أمام الأخطار المحتملة التالية :

— تحكم العسكريتاريا في الحركة الوطنية ، وبالتالي خلق طبقة عسكرية تكتسب

بحكم وجودها في السلطة ، الى جانبها ، قوى انتهازية مختلفة ، وتنتهي الى سلوك اصلاحي عاجز .

— هيمنة البرامج ذات الصفة البورجوازية الصغيرة ، المتذبذبة والتي تنتهي الى هدر الطاقات النضالية للطبقات صاحبة المصلحة ، والقادرة على انجاز مهمات الثورة الوطنية والثورة الديمقراطية .

— تفتيت وشرذمة القوى التقدمية الوطنية في مختلف فصائلها ، ومنعها بالتالي من تحقيق تلاحمها الجبهوي او وحدتها ، وبالتالي ابقاءها مشتتة ومفككة وممزقة أمام عدو موحد وشديد الضراوة .

— التحول الى حزب حاكم ، مضطر في سبيل مجرد بقائه الى التحالف مع العسكريتاريا ، ومضطر لعدم كونه حزباً جماهيرياً الى « الخوف » من الجماهير ، وبالتالي الى عدم التعامل مع القوى الأخرى التقدمية ، وهذا يقوده الى الانعزال والتكلس كقشرة على رأس النظام .

« الهروب » نحو صيغة الديمقراطية الليبرالية التي تكرس سيطرة الطبقات المستغلة وتكرس ارتباط هذه الطبقات ، وبالتالي النظام ، بالأمبريالية وبنشاطها الاستغلالي واحلافها السياسية والعسكرية .

١٤ — ان معسكر العدو ، خارجيا وداخليا ، الذي تجد قوى الثورة العربية ان مهمتها الأولى هي محاربته في جميع ميادينه وكافة جبهاته ، هو من الضخامة والضراوة بحيث لا يمكن مواجهته والقضاء عليه الا عن طريق استنفار اكبر قوة ممكنة وقادرة على انجاز مثل هذه المهات المتشعبة والصعبة .

ومن الواضح انه خلال العقدين الماضيين جددت الأمبريالية دماءها في مواجهتها الهجومية على الوطن العربي . وهذا التجديد ، لم يحدث عبر القوة التي طورتها القاعدة الاسرائيلية وبرهنت من خلال ممارستها المتواصلة انها خفر تستطيع الأمبريالية أن تعتمد على دوره القمعي ، بل حدث ايضا من خلال تعزيز الامبريالية لمواقعها عبر الطبقات الرجعية التي ازدادت بدورها ضراوة في عملياتها الاستغلالية والقمعية العميلة .

ان الهجمة الأمبريالية الصهيونية الجديدة التي انجزت احتلال موقع متقدم في اعقاب حرب حزيران هي من الضخامة والعنف والاستماتة الى حد يجعل مواجهتها احد اكبر المهات العظيمة التي انتدبت اية ثورة في العالم نفسها لانجازها ، اذ انه على مصير هذه المواجهة بالذات يتوقف الى حد بعيد مصير الهجمة الأمبريالية الجديدة في العالم كله . وليس

من المبالغة القول إن ميدان الشرق الأوسط يشهد عمليا واحـــدة من أكثر المواجهات التاريخية أهمية في سلسلة المعارك التي شنتها الشعوب ضد الاستعمار والامبريالية والرجعية.

ومثل هذه المعركة تحتاج لاستنفار وتعبئة وتنظيم اكبر قدر مستطاع من قوى الثورة والقوى الخلفية لها من خلال « جبهة وطنية متحدة » كي يكون العمل الثوري في مستوى مواجهة مهات في هذا التشعب والتعقيد والصعوبة .

ان الوضع العربي الراهن في مختلف ساحات الوطن يتميز بأن موجة الثورة الوطنية مقدمة - أمام التحديات التي تواجهها - على مد جبار ، وان الوطن العربي يعيش في هذه اللحظات عشية الثورة الكبرى . ومثل هذه المهمة لا يمكن انجازها بسهولة ولا بسرعة ولكن من خلال نضال طويل الأمد ، متشعب ومصمم وتشارك فيه عشرات الملايين من الجماهير . وللقيام بكل ذلك فان الجبهة الوطنية المتحدة العريضة هي وحدها الأداة النضالية القادرة على مواجهة هذه التحديات ، وعلى تعبئة الجماهير من خلال العمل الايديولوجي والتنظيمي الجماعي ، ومن خلال النشاط النقابي ، ومن خلال المنظمات الجماهيرية ، للعمل على تحقيق الانتصار التاريخي الذي لا بديل له .

# الثورة العربية بين قطبيها : القومي والمحلي

بحث : ميشيل كامل



الواقع أن تحديد القوى الثورية العربية ليس موضع خلاف كبير ، اذ تتفق الغالبية العظمى من التقدميين على تحديد قوى الثورة وقوى الثورة المضادة . وجدير بنا ان نتخطى هذا الموضوع الى المشكلات الحقيقية ، فهي مثار الخلاف والنزاع من الناحية الفكرية ، وهي السبب الرئيسي وراء الأزمات التي تأخذ بخناق الانظمة التقدمية .

فما هي القضايا التي تستحق منا قدراً اكبر من الاهتمام ، وعلينا في هذا الملتقى ان نواجهها ونطرحها على بساط البحث بغية التوصل الى وضوح في الرؤية بضوء طريق العمل الثوري الايجابي ؟

أولاً : التحديد العلمي للمرحلة التاريخية التي نجتازها ، أهي مرحلة ثورة

وطنية ديمقراطية أم بناء للاشتراكية ؟ اذ يتوقف على هـذا التحديد ان نبين بوضوح حقيقة المهام السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نتصدى لها ، ثم القوى الأساسية والحليفة، او تلك التي ينبغي تجميدها عبر هذه المرحلة، ونطاق التحالف الوطني وقواه المحركة .

إن الشعوب العربية لم تنجز بعد مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ،إلا أن هناك محاولات يقوم بها بعض المفكرين العرب ، وفي بلدان العالم الثالث عامة — بطمس المعالم المميزة لمرحلتي الثورة ودمجها تعسفاً في مرحلة واحدة تحت شعار الالتحام . هناك اليسار المتطرف الذي يبغي تخطي حقبة تاريخية بأكملها ويتصور امكانية القفز عبر مرحلة كاملة دون استكمال مقومات تخطيها الى ماهو أبعد منها : وهو تيار نجده سائداً بين البرجوازية الصغيرة بطبيعتها الخيالية وما تتصف به من تسرع ونفاد الصبر . أما الاتجاه الآخر فيريد ان يضفي على برنامجه او نظامه ابعاداً فضفاضة لاتتناسب مع حجمه او واقعه ، متصوراً انه بهذا الموقف يستطيع انيكسب شعبية واستقراراً . ويسري هذا الاتجاه بين القوي المحافظة داخل صفوف الرأسمالية الوطنية وبين بعض الأنظمة التي تحكم فيها البورجوازية الصغيرة .



ونحن لاننكر ان هناك قدراً من التداخل والتزاوج بين المرحلتين يجعل الظروف ممهدة لتخطي المرحلة الأولى بسرعة اكبر وتضحيات اقل ، الا أن مانرفضه هو نظرية الالتحام والدمج في مرحلة واحدة. ونحن نجد هذه النغمة يروج لها بعض الذين يغضون عن انتمائهم للفكر الماركسي .

ونذكر هؤلاء بقول لينين « فقط اولئك الذين يجهلون كل شيء عن الاقتصاد السياسي وعن تاريخ الثورات في العالم كله ، هؤلاء لايسعهم ان يروا

هاتين الحربين الاجتماعيتين المختلفتين المتباينتين. واذا تجاهل المرء حقيقة تباين هاتين الحربين بواسطة هذا التعبير الرخيص «دفعة واحدة» فكأنه طير يخفي رأسه تحت جناحيه، ويقلع عن تحليل الواقع».

**ثانياً: موقع القوى الاجتماعية المختلفة من العملية الثورية والتغيرات التي تنتابها في موقفها على امتداد طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ثم الثورة الاشتراكية**. فان الحلقة الرئيسية في ارساء مقومات النصر للثورة هي تحديد العدو من الحليف تحديداً دقيقاً لايسمح بتسرب قوى معادية الى صفوف الثورة، وفي الوقت نفسه لايضع القيادة بين ايدي قوى مترددة تعجز عن الاستمرار وتفتقر الى الحسم في قضية الثورة، حتى وان كانت هذه القوى من بين حلفاء المعركة.

والطابع البورجوازي للثورة الوطنية الديمقراطية لايفترض بالضرورة قيام الطبقة البورجوازية او ممثليها بالدور القيادي. فقد اثبتت التجربة صحة النظرية القائلة إن البورجوازية عاجزة عن المضي بالثورة الديمقراطية الى النهاية. اذ ان تحقيق الحريات الديمقراطية على نطاق واسع يشكل خطراً على مصالحها، لأن البروليتاريا سوف تستخدم الحرية لتصفية النظام الرأسمالي والقضاء عليه، ولذا فهي تميل الى اجهاض الثورة في منتصف الطريق. ومن هنا يبرز دور الطبقة العاملة في قيادة - او المشاركة بدور فعال في قيادة - الثورة الوطنية الديمقراطية.

ويجدر بالقوى التي تبتغي الاشتراكية العلمية ان تدين المحاولات التي تبذل لانكار الدور القيادي للطبقة العاملة، فليس من المتصور ان تقوم فئات اجتماعية اخرى - تنتمي الى البورجوازية، بما في ذلك اقصى يسار البورجوازية الصغيرة، بالتصدي لمهام قيادة مرحلة التحول حتى نهايتها او اتمام عملية البناء الاشتراكي.

وصغر حجم البروليتاريا النسبي بين القوى العاملة لايبرر انكار دورها القيادي والطليعي. فلدينا في الصين وفيتنام وكوريا النموذج الحي على قصور هذه الحجة، اذ تولت أحزاب عمالية قيادة مراحل التحول رغم ان حجم الطبقة العاملة بالنسبة لمجموع العاملين كان اقل منه في معظم البلدان العربية.

ثالثاً: وتحديــــد قوى الثورة اذا لم يصحبه التعريف العلمي السليم للطبقة، دون محاولة لتمييع وطمس الحدود الفاصلة المميزة لها، يؤدي بالضرورة الى وضع السلطة في ايدي طبقات باسم طبقــــات اخرى، والى التسرب والتسلسل و «الرشح الطبقي» وهناك اتجاه يسود في عديد من الدول النامية أما «بتجميع» كل الطبقات تحت شعار «الآن كلها»، او بتعميمات تلغي التمايز الطبقي كالعاملين والكادحين والفئات المضطهدة والفقيرة.. الخ، مما يؤدي الى تداخل وخلط يخدمان مصالح فئة بعينها. وهناك امثلة عديدة على ذلك كأن يعتبر كل من يتقاضى أجراً مقابل عمله من ابناء الطبقة العاملة، وان يتضمن تعريف «الفلاح» دائرة واسعة تبدأ من العامل الزراعي حتى متوسطي الملاك الرأسماليين واثرياء الريف. ان التعريف السليم للطبقة ليس امراً تكتيكياً متغيراً، وانما حقيقة علمية من الخطورة بمكان تجاهلها.

رابعاً: ورغم اقرار الكثير من القوى الثورية العربية بالصراع الطبقي، سواء ضد قوى الثورة المضادة او داخل صفوف التحالف الوطني وبين القوى الثورية نفسها، إلا ان التطبيق في هذا المجال يتناقض تماماً مع هذه الحقيقة. فهناك الاتجاه الى فرض ايديولوجية محددة لطبقة بعينها بدعوى تمثيلها لقوى الشعب العاملة جميعاً. وهناك الخلط بين برنامج التحالف الوطني باعتباره خطة مشتركة للعمل ملزمة لكل القوى الثورية على اساس من الاتفاق

عليها وبين الصراع الفكري لمنابر مستقلة تعبّر عن مواقف ومصالح الطبقات المتحالفة . وتحت شعار الوحدة الوطنية ومتطلباتها تستخدم كافة الأساليب للتضييق على حرية التعبير عن الرأي للطبقات والفئات الاجتماعية المتباينة .

وتتجسد هذه الاتجاهات في رفض التمثيل الطبقي داخل التنظيم الجبهوي الواحد ، والتصميم على التعامل مع اعضاء هذا التنظيم كأفراد ، وهو موقف يتضمن الانكار الكامل لفكرة الصراع الطبقي مهما زُوّقت في صياغات جذابة . ومن جانب آخر تتمثل في الحملات المضادة للحزبية ، وعلى الأخص المعاداة الصريحة والمستترة للاحزاب الماركسية كموقف طبقي ونتيجة تراث موروث من الفكر الرأسمالي في معاداة الشيوعية . هذا الى جانب الحساسيات بين الأحزاب الوطنية والثورية ونفورها من التعاون والتضامن فيما بينها ، خاصة من مواقع السلطة حينما تسيطر احدى هذه القوى عليها وتعمل جاهدة للانفراد بها . وقد يحتدم الصراع فيما بين هذه القوى ليصل الى مستويات تفوق مستوى التناقض مع عناصر الثورة المضادة .

وان تعدد المنابر وحرية التعبير من مختلف القوى الثورية والصراع فيما بينها أمر صحي وضروري ، بل وهو ضمان لأن تدور في اطار سامي بناء ، وتجنب تفجيرها — كنتيجة طبيعية للكبت — بما يهدد الكيان الثوري كله ويخدم القوى المعادية للثورة وحدها . ان اختيار طريق تعدد الأحزاب أو التنظيم الواحد يتوقف على الظروف الخاصة بكل بلد . والقرار في هـــذا الاتجاه أو ذاك يجب ان ينبع عن الجماهير ، والمحك في ذلك هو التمثيل الطبقي للحزب أو المنبر الداخل في اطار النظام الواحد . وليس اكثر مجافاة للنظرة العلمية من

أذانة الحزبية بصورة مطلقة، أو محاولة فرض نموذج معين لتجربة خاصة على النطاق العربي كله .

لقد لخص الرئيس جمال عبد الناصر درس تجربة حل الأحزاب في سورية بعد الوحدة في اجتماعات مباحثات الوحدة الثلاثية التي عقدت في القاهرة في ١٩ مارس ١٩٦٣، بقوله: «ان عملية حل كل الأحزاب في ١٩٥٨ ما كانتش صاح .. كان لازم اتبعنا اسلوب آخر وهو حل الأحزاب التي لا تتفق مع الهدف، ثم تجميع الأحزاب التي يجمعها وحدة الهدف – الأحزاب القومية – وتكون هي الطلائع الثورية في جبهة قوية» .

**خامساً** : ان الثورة الوطنية الديمقراطية تظل «نصف ثورة» يصيبها العقم وتعجز تماماً عن اداء رسالتها، ما لم تلتزم باطلاق الحرية السياسية وتنتهج سبيل الديمقراطية الحقيقية، باشراك قوى الشعب العاملة في اتخاذ القرارات، وباطلاق المبادرات الجماهيرية الخلاقة في صياغة الحياة السياسية والسياسة العامة للبلاد والاسهام في تطبيقها والرقابة عليها .



والاتجاه الى الوصاية على الجماهير والانفراد بالسلطة دون مشاركة حقيقية من جانب القوى العاملة، والاعتماد على القرارات العلوية ونظرية التخصص التي تسود بعض الدوائر الحاكمة في عديد من البلدان النامية، بين قادة لاتخاذ القرارات، وبيروقراطية لتوجيه جهاز الدولة، وتكنوقراطية لادارة الانتاج، وجيش للقتال، ثم يبقى على الشعب أن ينفذ ويلتزم، كل هذه العوامل مجتمعة مهما حسنت النية وكانت الدوافع أمينة مخلصة هي انتقاص للديمقراطية، تؤدي بالضرورة لا الى عجز النظام عن تحقيق مهامه الاجتماعية فحسب، بل والوطنية ايضاً. وبطبيعة الحال نحن لا نعني بهذا التحذير رفض أو ابقاء جانب التخصص، ولكننا نقصد ان يشارك

الشعب قادته في اتخاذ القرارات ، والمديرين ادارة الانتاج ، والجيش في الدفاع عن أرض الوطن الخ .

والمنظمات الجماهيرية هي القاعـدة الشعبية العريضة والمرتكز الأساسي لأي تحرك ثوري ، خاصة في البلدان النامية . ولن أتحدث في هذا المجال كثيراً مكتفياً بما قدمه الزميل عبد المنعم الغزالي في بحثه .

سادساً : ومن القضايا الأساسية التي تؤدي الى اجهاض الثورات الوطنية في منتصف الطريق ، الافتقار الى الحسم في الموقف تجاه أجهزة السلطة القديمة ومؤسسات الدولة الموروثة . والسلطة الجديدة عادة ما تعتلي جهازاً معاديا ، وتتصور امكانية كسب ولائه وتوجيه نشاطه بما يخدم مصالحها دون تغيير في محتواه الطبقي والفكري . ويزداد الخطر كلما كانت هذه الأجهزة والمؤسسات موغلة في القدم ، ولها تقاليدها وارتباطاتها الطبقية . وفي ظروف افتقار الحياة الديمقراطية والحريات العامة فإن ضعف المنظمات الجماهيرية يبرز دور وفعالية الجهاز الحكومي في الحياة السياسية كحزب طبقي يعمل على تطويق ومحاصرة الجناح اليساري من القيادة الثورية واحتوائه أو الإطاحة به .

ولن يتأتى حل هذا التناقض إلا بتطهير حاسم لأجهزة الدولة ومؤسسات الحكم لتغيير محتواها الطبقي مع كفالة أوسع قدر من الديمقراطية والمشاركة والرقابة الشعبية على السلطة ، بالاضافة الى احتلال الطبقة العاملة لموقعها القيادي داخل تحالف قوى الثورة ، لأنها القوة الوحيدة من بين القوى الثورية التي لا تقع فريسة التردد والمساومة والحلول « التوفيقية » على امتداد العجلة الثورية في مرحلتيها الديمقراطية والاشتراكية .

سابعا : ان وحدة القوى الثورية على نطاق الوطن العربي كله ،

لايمكن تحقيقها بنجاح الا بدعم الوحدة الوطنية داخل كل بلد على حدة ، وعلى نفس الاسس ، اي بنبذ الاتجاه الذي يطالب بتذويب جميع الاحزاب والتنظيمات التقدمية في حركة عربية سياسية واحدة تحتوي في وعاء تنظيمي واحد . فوحدة من هذا النوع لن تتحقق على الأقل في المدى القريب .

ان السبيل الوحيد لوحدة القوى الثورية العربية في الظروف الراهنة هو اقامة جبهة عربية تقدمية تضم جميع الاحزاب والتنظيمات التقدمية بلااستثناء — والمحتفظة بكياناتها — من حول برنامج استراتيجي موحد .

وتحديد الصياغة الملائمة لهذه الوحدة الاستراتيجية لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطيـــة يمكن التوصل إليها فقط بإشراك جميع القوى الثورية ، ومن خلال مناقشة ديمقراطية حرة وجماعية من قبل جميـــع القوى المطلوب بناء وحدتها .

# قوى الثورة العربية

بحث : محمد إبراهيم نقد



ليس هذا بحثاً بالمعنى المعروف الذي تبحثه اللقاءات الفكرية السابقة ، ولكنه عرض للقضايا والمسائل التي تصلح ان تكون مداراً للبحث في موضوع قوى الثورة العربية .

ووجهة عرض هذه القضايا والمسائل ، تسير في طريق المحاولة التي آن لنا جميعاً ان نطرق أبوابها لتخليص تجارب الثورة العربية خلال الستينات ، وتطوير المفاهيم الفكرية والسياسية في البرنامج العام للحركة الثورية العربية ، انطلاقاً من تجاربنا في كل بلد عربي ، كيلا يزحف الجمود على غفلة منا الى الفكر الثوري ، وكيلا تتخطانا الاحداث في غمرة العمـــل اليومي . فالثورة الاجتماعية مازالت

تواصل سيرها وتشق طريقها في عدة جبهات ، سياسية كانت ام اقتصادية ، رغم تركيزنا جميعاً على الجبهة العسكرية . ولا يمكن لنا بالطبع ان نتصور تصفية آثار الهزيمة السوداء للخامس من يونيو ١٩٦٧ في الجانب العسكري وحده ، بل لم يعد من باب المبالغة او المزايدة القول إن اسرار الهزيمة تكمن في الجبهة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومناهجها القيادية ، قبل الجبهة العسكرية .

واذا كانت قوى الثورة العربية وفصائلها المختلفة ، قد حاولت في ندوة الربيع في الجزائر عام ١٩٦٧ ان تلخص وتصوغ المفاهيم السياسية والفكرية لحركة الثورة الاجتماعية العربية وانظمتها التقدمية في حالة الصعود والانتصارات ، فان واجبها المقدم والذي ظل يقرع أبواب الفكر الثوري منذ الخامس من يونيو ، هو النظر بعين ثورية ناقدة وجريئة فيما حدث ، فلا تكتفي بالرد على السؤال : كيف حدث ؟ بل لماذا حدث ؟ وكيف نتخطى ماحدث ، ونبني للثورة العربية الضمانات الكافية كيلا يحدث مرة اخرى ؟.



ليس الغرض بطبيعة الحال البحث في الضمائر او مشاركة الكاثوليك شعائر الاعتراف . فما من حركة ثورية جادة تقف عند حد الوصف وسرد التاريخ . والفكر العلمي لايقف عند حد الموضوعية ، بل يتعداها لتحديد المواقف مما هو موضوعي بغية تغييره وتطويره .

لننظر في بعض القضايا الفكرية الخاصة بقوى الثورة العربية والمفاهيم والصياغات التي امست كالمسلمات لاتقبل الجدل ، او حقائق رياضية لاتتبدل .

القضية الأولى :

حفظت الدوائر التقدمية في العالم العربي ، عن ظهر قلب ، ان قوى الثورة العربية هي : العمال ، الفلاحون ، أو الزراع ، المثقفون الثوريون ، الجنود والضباط

الاحرار ، الرأسمالية الوطنية غير المرتبطة بالاستعمار . ولم تشذ عن هذا التحديد اي من الفصائل الثورية سواء أكانت من فرق البعث العربي الاشتراكي، او اتجاه القوميين العرب بمدارسه المختلفة ، او الاشتراكيين الوحدويين ، او الأحزاب الشيوعية العربية ، وجبهات التحرير في الجزائر واليمن الجنوبية الشعبية .

ربما اختلفت الصياغة هنا وهناك حول اشكال تحالف هذه القوى ، فهي حيناً تحالف قوى الشعب العامل في اتحاد اشتراكي في مصر ، أو جبهة شعبية في العراق ، او جبهة وطنية ديمقراطية في السودان .

يقول الميثاق الوطني المصري:

« قوى الشعب العـــاملة هي : الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية ... ان الوحدة الوطنية التي يصنعها تحالف هذه القوى المختلفة للشعب هي التي تستطيع ان تقيم الاتحاد الاشتراكي العربي ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديمقراطية سليمة .

ويقول المنهاج المرحلي لحزب البعث في سورية :

« ان جماهير الشعب المنتجة من عمال وفلاحين وحرفيين وتجار صغار ومثقفين وعسكريين ثوريين هي القادرة على تحقيق أهداف الثورة » .

وتقول جبهة التحرير في اليمن الجنوبية :

« ان الجبهة القومية هي الأداة الثورية التي تمثل في بنيتها التنظيمية قطاعات الشعب العاملة ... ان تطوير المجتمع وتقدمه ، وانتقاله من مرحلته الراهنة المتخلفة الى مرحلة البناء الاشتراكي ... تحتاج الى عملية تفاعل مستمرة بين قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين وجنود ومثقفين ثوريين وطلبة ... الخ » .

وصاغ الحزب الشيوعي اللبناني : في مؤتمره الثالث عام ١٩٦٨، هذه الفكرة على النحو التالي ( في ص ١١٠ من تقرير المؤتمر ) :

... قيام جبهة وطنية تشمل جميع القوى الوطنية والديمقراطية ، وهذه القوى هي : العمال والفلاحون بجميع مراتبهم بما فيهم البورجوازية الريفية والمثقفون الوطنيون والطبقات الوسطى والصناعيون وسائر فئات البرجوازية الوطنية .

ويقول مؤتمر الحزب الشيوعي السوداني (في اكتوبر ١٩٦٧) :

« ان قوى هذه الجبهة هي الجماهير العاملة والمزارعون والمثقفون الثوريون والرأسمالية الوطنية ... »

وفي الخطاب الذي قدمه السيد بابكر عوض الله صبيحة الخامس والعشرين من مايو جاء ما يلي :

« ان حكومة الثورة سوف تعمل جادة بفضل مساندتكم وتصميمكم على تحقيق المعادلة الحقة في وضع السلطة كلها في أيدي أصحاب المصالح الحقيقية للبلاد من عمال وزراع وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية غير مرتبطة بالاستعمار ... !!

لتحد فرق الثورة العربية في ان منطلقها نحو هذه الصياغة ليس رغبة ذاتية ، او خاصية قومية ، بل التعبير الموضوعي عن متطلبات مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وان تحالف هذه القوى هو القادر على الانتقال بالثورة من مستواها الوطني الى مستواها الاجتماعي تمهيداً للانتقال للاشتراكية عبر طريق تطور غير رأسمالي .

في اعتقادي آن الاوان لنخرج من قالب التعميم الى دراسة الواقع الحي وما شمله من تطور ، وما برز فيه من ظواهر جديدة ، بعد ان توقفنا عند تلك الصياغة خلال الستينات . وربما كان الوضع الاجتماعي في الجمهورية العربية المتحدة

حيث التمايز الطبقي أكثر وضوحا وحدة وعمقا ، وحيث الحياة على ضفاف النيل نفت منذ القدم إمكانية بقاء التكوينات البدوية القبلية ، وحيث جهـــاز الدولة المركزي قـــديم قدم الاهرام ومرتبط بتنظيم الري والزراعة - ربما كان هذا الواقع أقرب الى ان تعبر عن قوى الثورة فيه تلك الصيغة ، ولكن البلدان العربية الأخرى تحتاج الى أن تأخذ قسمات واقعها ، ومميزات تكويناتها الاجتماعية بعين الاعتبار .

وهذه الصيغة ليست كافية على صورتهـــا الراهنة لاستيعاب الظواهر الجديدة والمميزة والفريدة التي برزت في الحياة السياسية بعد ٢١ اكتوبر ١٩٦٤ في السودان، وفي اليمن الجنوبية، وفي العراق ؛ واعني مشاكل الاقليات القومية والتكوينات القبلية . ففي السودان ، حيث ٨٥ ٪ من السكان يعيشون في اطار المجتمع التقليدي والسابق للرأسمالية ، حفزت ثورة اكتوبر كيان المجتمع القديم وحركت ساكن الحياة في البادية ففرضت التكوينات القبلية وجودها ورفضها للحياة القديمة ، وابتدعت شكلا أصيلا قريبا من واقعها للتعبير عن ارادتها بتكوين اتحادات وروابط قبلية واقليمية في المدن الأقليمية . وتمركزت في العاصمة والمدن الكبرى حركة دائبة لهذه التنظيمات على أيدي ابناء تلك القبائل من العمال وصغار الموظفين والطلاب ، وعرضت برنامجها الخاص الذي يربطها بحركة التغيير الاجتماعي والثورة الاجتماعية ، فطالبت بتصفية الادارة الاهلية وبخدمات التعليم والصحة وطرق المواصلات وتوفير ماء الشرب . واصبحت هذه التنظيمات لسان حال الاغلبية الصامتة من سكان البلاد ، ومدخلها الملائم للحياة السياسية الحديثة، والتحالف مع القوى الثورية .

أما في جنوب اليمن فقد اسهمت تكوينات القبائل ، كقبائل ، في

حرب التحرير ومقاومة الاحتلال . ولايمكن بالطبع اعتبار هذه التكوينات فروعا لجبهة التحرير ، بل قامت بينها علاقات تحالف وتعاون وتنسيق ولكن هذه العلاقات لم تصل لمستوى تذويب الكيان القبلي أو الاستعاضة عنه بابنائه المنخرطين في الجبهة من عمال وموظفين وطلاب .

في السودان والعراق تواجه الثورة العربية قضايا الاقليات القومية . وان هــذه القوميات تعيش حياة بدائية متخلفة مما يحتم ربط الاعتراف بكيانهاالقومي بالثورة الديمقراطية لتجديد واقع الحياة في القطر بأسره . ولايمكن بالطبع ان نتجاهل العنصر القومي لوجود هذه الاقليات وكيانها ونستعيض عنه بالعنصر الطبقي وحده ، فنطرح امام هذه القوميات صيغتنا لقوى الثورة لتنتمي اليها من هذا المدخل ، متناسين ان التكوين الطبقي لهذه القوميات اما انه في طور جنين أو انه لم ير النور بعد .

لايكفي ايضا ان تقوم الثورة الديمقراطية ، مستندة الى قاعدة تحالف الطبقات المذكورة ، حلاً ديمقراطياًلمشكلة القوميات - مثل الحكم الذاتي الاقليمي لجنوب السودان . فلكيما يتحول هذا الحل من امكانية الى واقع ، ومن شعارالى حركة سياسية اجتماعية لابد من اشتراك جماهير هذه القوميات في الثورة الاجتماعية بالاشكال والاساليب والهيكل التنظيمي والاجتماعي الملائم لها .

ان بوادر الحركة السياسية بين صفوة القوميات بدأت على يد ابنائها المتعلمين وبعض المتنورين من قادة قبائلها وعشائرها ، وبعض مجموعات العمال . واخذت هذه المجموعات تقوم بدور لسان الحال لمجموع القبائل أو اتحادات القبائل التي تتكون منهـــا تلك القوميات . واستطاعت بعض الاحزاب الشمالية في

السودان ان تكسب اقساما منهم وتبني مواقع لها في الجنوب ، ولكن كل هذا ليس كافياً لجذب هذه القوميات نحو التحالف الثوري :

خلال مسار الثورة العربية في مراحلها الوطنية الاولى ، برزت شخصيات وطنية وتقدمية شاركت في النضال بدور ملحوظ ، ولكنها عزفت لسبب أو لآخر عن الانتماء الحزبي ، وأصبحت منبراً لأقسام واسعة من الجماهير غير الحزبية او التي رفضت فكرة وممارسة الأحزاب . ومامن بلد عربي إلا وبه مجموعات من هذه الشخصيات النشطة المؤثرة التي أسهمت ولا زالت تسهم في الحركة الثورية والاشتراكية ، وتعمل كجسر ملائم لتوصيل الافكار التقدمية لأقسام كبرى من الجماهير ، ما كانت لتتلقفها لوجاءتها من منابر حزبية او تنظيمية معينة . وهذه المجموعات من الشخصيات التقدمية تشكل دعامة من قوى الثورة .

هكذا ارى ان نتلافى ظلال الجمود التي اخذت تلف الفكر العربي الثوري الذي ركن للخنوع بعد ان حدد قوى الثورة بصورة عامة ، وبدا كما لو توقف واكتفى بدور الواصف المراقب ، لا الثوري القائد الطليعي الذي يتابع حركة الطبقات والفئات ، فهي لا تتحرك كصخور صماء ، بل تتعرض لتغييرات في داخلها ، وتتحرك في اطار وطني وواقع مادي معين ومميز ، الاعتراف به لاينفي عن الثورة طابعها العربي ، بل يثريه ويزيده فعالية ومنعة .

## القضية الثانية :

بعد تحديد قوى الثورة اتجهت الفصائل الثورية العربية الى وحدة القوى وتفاعلها . فكان الاتفاق العام بضرورة قيام اتحاد عام كإطار لهذا التحالف ، وتنظيم القيادة داخل هذا الاطار على ضوء ميثاق سياسي وفكري .

وتوقف الاجتهاد الفكري عند هذا الحد ، رافضاً ان يواصل النهج الثوري المتفتح الذي أطل مع بداية الستينات ، المنتج الناقد المجدد المتوثب نحو مسايرة التطور واستكشاف قوانينه .

يتضح ذلك من اننا لازلنا نواصل نشاط الثورة الاجتماعية بعد انتكاسة ٥ يونيو بنفس الادوات القديمة التي عجزت عن الصمود والمقاومة ، والتي تسببت بعزلتها وغربتها عن وجدان الجماهير في التقديرات السياسية والعسكرية الخاطئة .

لا اعني هنا أن نسلك منهجاً عدمياً فوضوياً يرفض كل قديم ، ولكني بصدد المحاسبة والمحاكمة واعادة بناء الجبهة الثورية على أسس جديدة في مجال القيادة والايديولوجية ، ذلك ان كل تحالف لابد وان تكون له قيادته دون فرض اجباري ، ولابد من مؤثرات ايديولوجية ان لم يرتض ايديولوجية واحدة .

ولم يعد بمقدورنا الفكاك من هذه الضرورة ، طالما اصبحنا نسير في لجة من تفسيرات الميثاق والفتاوى ، ويبرز هذا بوضوح في الصراع الدائم من جانب البرجوازية الوطنية ، داخل اطار التحالف ، لفرض قيادتها السياسية بواسطة الاجهزة الثورية نيابة عنها . نلحظ ايضاً سيادة عقلية ومزاج الطبقة الوسطى في التوجيه السياسي والفكري والاعلامي والثقافي ، ومجهوداتها المتواصلة في تحويل كل مفاهيم وقيم الثورة وحصيلتها الى الوجهة الايديولوجية للطبقة الوسطى وهي التي تملك الكادر المثقف والكادر العسكري والكادر الفني .

وفي كلتا الحالتين ، نشهد ضغطاً متعمداً احياناً ، وتلقائياً في أحيان اخرى ، لابعاد ايديولوجية الطبقة العاملة ( الماركسية ) عن الصورة ، كما نشهد اسلوباً متكرراً يكاد يصل درجة المنهج ، في أخذ بعض اجزاء ومفاهيم من ايديولوجية

الطبقة العاملة ومحاولة تثبيتها كجزء من التراث الثوري العربي ، او تمازج هذا التراث بالفكر الانساني .

ان هذا الاضطراب الايديولوجي قد اثر بدوره على الكيان التنظيمي وعلى منهج العمل الثوري والقيادة ، وأدى الى اضعاف التحالف وحبسه في اطار كاد ان يصبح تقليدياً .

## القضية الثالثة :

ان التنظيم السياسي ، وان كان يعبر دائماً عن مصالح طبقية ، وان لكل طبقة حزبها أو أحزابها ، إلا ان هذه الحقيقة الماركسية ، قد فسرت بطريقة غير ماركسية ، وبصفة خاصة في العالم الثالث وعالمنا العربي . فالى جانب المصالح الطبقية هناك عوامل اخرى - كما يقول ماركس - عوامل قومية ، طائفية ، دينية ، اقليمية ، تاريخية .. الخ، تؤثر في تكوين الاحزاب والتنظيمات السياسية .

ان بناء التنظيم الشعبي مهما كان اسمه ، هو في الواقع بناء لجبهة تضم قوات الثورة وتوحدها حول الحد الادنى لبرنامج الثورة الوطنية الديمقراطية . وهذا يتم تلخيصاً للتجارب السابقة المشتركة في العمل الثوري ، وتعبيراً عن اهداف المستقبل المشترك .

ولكن هذا التحالف لا بد له من قيادة طليعية ، وتنظيم طليعي ، ونظرية طليعية .

في البلدان العربية تجارب متباينة ومتعددة،ولكن أياً منها لم يعد التجربة الكاملة المكتملة . ومازال باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه ، ومازلنا في بداية جدول العمل الثوري . ومازال الشعار المطروح هو وحدة القوى الثورية،لا كهدف في حد ذاته ولا بديلا لوحدة الشعب والقوى الوطنية ، بل كقيادة وكمركز

يوحد القوى الوطنية وقوى الشعب بأسره . فالثورة لا تستحق صفة الثورية مالم تجذب كل جماهير الشعب نحو أهدافها .

وعليه فمن الخطأ مقابلة وحدة القوى الثورية بوحدة القوى الوطنية و كأن أحد الشعارين ينفي الآخر او ينسخه . ولكن شعار الوحدة القومية او الشعبية او الوطنية لابد وان ينطلق من مركز معين ، من موقع معين داخل تحالف قوات الثورة . فهو سيعني حتماً وضع القيادة في يد القوى الثورية اذا انطلق منها، مع المحافظة على جوهر أهدافها الثورية ، واذا حددت بوضوح قاطع ان دور البرجوازية الوطنية في التحالف هو دور اقتصادي في مرحلة البناء الوطني الديمقراطي للاستفادة من امكانيات رأس المال الوطني . فالبرجوازية الوطنية قد اعطيت فرصة الحكم بعد نيل الاستقلال وسقطت في الامتحان ، وفشلت في تحقيق أبسط متطلبات السيادة الوطنية ، وأدارت ظهرها لكل مهام التغيير الاجتماعي في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . بل وفشلت في السودان في ان تبني لنفسها حزباً مستقلاً ، بل احتمت بالتنظيمات الطائفية لتبني نفوذها السياسي والاقتصادي وتحكم باسم القوى القديمة او تشارك تلك القوى حكمها وسلطتها . فهل هناك أي ضرورة تاريخية لبعث قيادة هذه الطبقة من جديد ، وبعد ان تسلمت القوى الثورية السلطة ؟ ان اعطاء البرجوازية الوطنية أي دور سياسي في جبهة الثورة سيؤدي بالضرورة الى تحويل كل إمكانيات الثورة لمصلحة التطور الرأسمالي ، واستغلال شعار الاشتراكية ، نفسه لتجميل وترقيع الرأسمالية .

تواجه القوى الثورية في هذا المضمار تحديات حقيقية صعبة ومعقدة ، وفي مقدمتها جذب جماهير الأحزاب القديمة لمواقع الثورة بعد ابعاد قياداتها عن السلطة وعن ممارسة النشاط السياسي وحل أحزابها . هذه الجماهير لن تهرع الى صفوف

جبهة القوى الثورية تلقائياً ، يحتل كل منها مكانه بين الفلاحين ان كان فلاحاً، وبين العمال ان كان عاملاً الخ . علينا ان نذكر حكم العادة والتعصب الضيق والحذر والعلاقات غير الاقتصادية التي تؤثر على هذه الجماهير .

ان البرجوازية الوطنية تضغط دائما من هذه الثغرة ، بدعوى ان اهداف الثورة يسارية وتقض من حولها الجماهير ، وبدعوى ان هذه الجماهير لن تنجذب نحو الثورة الاتحت راية بعض قادتها القدامى ، وبدعوى ان القوى الثورية تحتكر الثورة وتقف حاجزا بين تلك الجماهير والقيادة الثورية الجديدة ، وبدعوى ان شعارات الاشتراكية ارتبطت في اذهان الجماهير بالشيوعية ، ولابد من تصفية هذا الخط كي تطمئن الجماهير .. وغير ذلك من الدعاوي التي تهدف في النهاية الى ان تتبنى الثورة مصالح البرجوازية الوطنية ، او السير بالثورة في طريق لايفضي الى تصفية الاستغلال الرأسمالي .

ان جذب هذه الجماهير نحو الثورة هو من بين القضايا الاساسية للعمل القيادي السياسي للحركة الثورية والسلطة الثورية . ولكن انجاز هذا الواجب لايتم بمواجهته في الجبهة السياسية وحدها ، بل يرتكز في الاساس الى انجازات البرنامج الاقتصادي والاجتماعي للثورة لتعبئة القاعدة المادية للقوى التقليدية - رأس المال الاجنبي الاستعماري وشبه الاقطاع وثروات المتنفعين - ويرتكز ايضا الى العمل الفكري التربوي بين الجماهير ، ووضع برامج محددة ومتواصلة للعمل السياسي اليومي في القاعدة الجماهيرية وليس في المستوى القيادي وحده .

ان التنظيمات والقوى الثورية التي تهب في الايام الاولى للثورة لحماية السلطة لابد وان تجابه جماهير الاحزاب القديمة وقياداتها المحلية خوفا من ظهور المتسلقين والانتهازيين . ولكن بعد استقرار السلطة نسبيا تبرز مهمة تجديد

اساليب العمل والقيادة وتنسيق العمل الشعبي والعمل الرسمي وتفصيل برنامج الثورة ـ الميثاق ـ وتحسس الطريق نحو صيغة ملائمة لتجميع القوى الثورية كنواة لوحدة الشعب بأكمله . بوضوح الرؤيا حول هذه القضايا يصبح الخطأ والصواب في التجربة العملية خاضعا للنقد والتصحيح ومواصلة العمل . فاقتحام الجديد محفوف بالمخاطر والغموض ، والخطأ فيه متوقع ... ولكن الخطأ في هذه الحالة ليس مبررا للتراجع ، بل تجربة جديدة في طريق الصواب .

هذه هي بعض القضايا التي أطرحها للبحث والمناقشة في الملتقى بأمل ان تتبادل تلخيص التجارب لاوصف التجارب . وإن التفاكر في ماوصلنا اليه من استخلاصات نظرية واستنتاجات من الممارسة العملية ، سواء في بلداننا التي تشق فيها الحركة الثورية طريقها نحو السلطة ، او تلك التي وصلت قواتها الثورية الى السلطة

# المناقشات

## خلاصة مكثفة

اشترك في مناقشات الموضوع الرابع السادة :

- اديب اللجمي (ج . ع . س)
- عبد الله الريماوي (الاردن)
- عبد الرازق حسن (ج . ع . م)
- هيثم العقاد (ج . ع . س)
- عبد الله عبد المنعم حسن (السودان)
- الياس فرح (العراق)
- أبو سيف يوسف (ج . ع . م)



**اديب اللجمي (ج . ع . س):**

ملاحظة حول ماجاء في بحث السيد محمد ابراهيم نقد : إن اتحاد القوى التقدمية العربية ليس غاية في حد ذاته ، ولا يستتبع بالضرورة تحريك الثورة العربية . وربما أدى هذا الاتحاد الى فرض قيود جديدة على الثورة العربية . ان اتحاد القوى التقدمية او تحالفها ينبغي أن يكون على أساس برنامج عمل منسجم وأهداف الثورة العربية . إن ثمة أخطاراً كثيرة تواجه موضوع تحالف القوى التقدمية . وفي طليعة هذه الأخطار تقوقع كل قوة من القوى التقدمية على ذاتها

داخل الحلف . واستمرار نشاطها داخله بذات العقلية التي كانت تمارس فيها هذا النشاط قبل قيام الحلف. وبتعبير آخر، هناك خطر أن يكون هدف كل من القوى التقدمية من دخولهـــا في الحلف أن تجعل من نفسها غاية، ومن القوى الأخرى وسائل .

**ملاحظة أخرى** : ان موضوع القوى الثورية العربية يطرح تساؤلاً كبيراً يمكن تلخيصه بالصيغة التالية : ماهو الدور الذي يؤول للمنظمات التقدمية، وما هو الدور الذي يعود للمنظمات الشعبية في تحريك الثورة العربية ؟

وأخيراً ماهي العلاقة بين المنظمات الثورية الحزبية من جهة ، والمنظمات الشعبية من جهة ثانية ؟ إن المنظمات الثورية الحزبية يمكن ان تنزلق بسهولة لتصبح منظمات تستهدف السلطة والحكم، ما لم يكن هناك رقيب عليها وضابط لنشاطها. ومثل هذا الرقيب هو المنظمات الشعبية . لذا ينبغي الاهتمام بهذه المنظمات بحيث تكون معبرة تعبيراً أميناً عن التطلعات لدى الشعب .

**ملاحظة** حول ماجاء في بحث السيد ميشيل كامل من أن وحـدة القوى الثورية على نطاق الوطن العربي كله لايمكن تحقيقها بنجاح إلا بدعم الوحـــدة الوطنية داخل كل بلد على حدة وعلى نفس الأسس ، أي بنبذ الاتجاه الذي يطالب بتذويب جميع الأحزاب والمنظمات التقدمية في حركة عربية سياسية واحـــدة تحتوي في وعاء تنظيمي واحد . فوحدة من هـذا النوع لن تتحقق على الأقل في المدى القريب . ان السبيل الوحيد لوحـــدة القوى الثورية العربية في الظروف الراهنة هو إقامة جبهة عربية تقدمية تضم جميع الأحزاب والتنظيمات التقدمية بلا إستثناء والمحافظة بكياناتها من حول برنامج اســـتراتيجي موحد . وملاحظتنا هي التالية :

هل هذا هو ماجرى في البلاد الاشتراكية ؟ وهل يتلاءم هذا مع مطلب وحدة القوى الثورية العربية ؟ طبعاً لا ! وحتى لو فرضنا ذلك صحيحاً ، فهل قيام اتحادات أو تحالفات على الصعيد القطري كفيل بقيام اتحاد للقوى الثورية العربية على الصعيد القومي ؟ إن هذه الطريقة في تقديري لا تحل شيئاً من المشكلة ، بل نخشى أن تكون تكريساً للكيان الراهن لكل بلد عربي . فالموضوع المطروح على الشعب وعلى القوى الثورية العربية ليس هو وحدة القوى الثورية داخل كل بلد عربي ،بقدر ماهو مطروح في صيغة وجوب قيام وحدة أو اتحاد للقوى الثورية على صعيد الوطن العربي كله . ومما لا شك فيه أن حل المشكلة على الصعيدالقومي كفيل بحل جميع المشكلات العديدة والمتزايدة في كل قطر .

وبالاختصار نقول إذا كان لتوحيد القوى الثورية من هدف فهدفه هو اطلاق طاقات الشعب ليمارس ثورته ممارسة كاملة ، ويحقق وحدته واشتراكيته ، متجاوزاً الفصائل والشرائح والفروع والأفخاذ والبطون وسواها من التعـــابير المستحدثة والقديمة التي يراد قولبة القوى التقدمية العربية بها .



**عبد الله الريماوي ( الاردن ) :**

من الواجب تحديد قوى الثورة العربية ، وأن يتم هذا التحديد وفق منهاج . فاذا لم يحدث ذلك فإن الدعوة الى توحيد قوى الثورة العربيـــة تصبح دعوة رومانسية . وينبغي في تحديدنا لهذه القوى أن نأخذ بعين الاعتبار عاملي الزمان والمكان .

**د . عبد الرازق حسن ( ج.ع.م ) :**

إن القوى المطالبة بالتغيير والعاملة على التغيير في المــاضي هي العمال

والفلاحون . وهذه القوى، بغض النظر عن فاعليتها، هي قوى ثورية لأنها راغبة في التغيير . وهذه القوى هي طاقات يمكن أن تصبح ثورية .

والعنصر الجديد في القوى التقدمية هم المثقفون الثوريون . وهناك مناقشات تدور في مجال القوى الثورية بين أهل الثقة وأهل الخبرة . إن حداثة استلام السلطة قد يؤدي الى البيروقراطية . ومن المشكلات التي تقع فيها القوى الثورية ضعف العلاقات بين القيادات والقوى العاملة .

كيف يمكن أن ننظم القوى الثورية لتصبح اكثر فاعلية ؟ هل يكون ذلك بتشكيل جبهة وطنية ، أم بقيام تنظيم واحد ؟ هل يمكن وجود معادلة تضم القوى العربية العاملة ؟

إن المشكلة الحقيقية التي تواجه القوى العربية هي التفكك داخل كل بلد عربي .

هيثم العقاد ( ج. ع. س ) :

ان المشكلات التي تطرحها الثورة العربية لم تعالج حتى الآن الا على صعيد قطري . وكان من الضروري ان تتم معالجتها على صعيد قومي ، أي على صعيد الوطن العربي كله . ومن المناسب أن نميز بين القيادات وبين القوى الثورية فالقوى الثورية العربية هي التي تعنينا ، وهي التي ينبغي أن يبحث عن توحيدها وان يصار الى توحيدها .

عبد الله عبد المنعم حسن ( السودان ) :

لتحديد قوى الثورة العربية لابد من تحديد المقصود من عبارة الثورة العربية .

إن الثورة العربية الآن هي : ثورة قوميـــة ، وحدوية ، اشتراكية . فالوحدة هي الأصل في حياة الأمة ، والتجزئة فرضت عليها فرضاً من الخارج . إن الوطن العربي يكون وحدة اقتصادية . إن القوى الرجعية هي التي لامكان لها في تعريف الثورة العربية . كما أنه لامكان في هذه الثورة للقوى التي تقول بتأجيل الوحدة حتى بناء الاشتراكية واستكمال هذا البناء على صعيد كل قطر .

د . الياس فرح ( العراق ) :

لابد من تحديد قوى الثورة العربية على ضوء المرحلة التي نمر بها . وهي اليوم مرحلة ٥ حزيران . إنني أعتقد بأننا فكر منكوب ولا نخرج من النكبة الا بالوحدة . لذا يجب :

– أن تكون البرامج السياسية المطروحة منبثقة من مبدأ الوحدة العربية .
– الالتزام بمصلحة الطبقة الكادحة .
– تنظيم قوى الثورة العربية على صعيد قومي .
– الارتباط الصميمي بالكفاح المسلح .

إن متطلبات المرحلة الراهنة هي في إطار التجزئة والانفتاح في الداخل في كل قطر على جميع القوى التقدمية .

أبو سيف يوسف ( ج.ع.م ) :

إن الرأسمالية الوطنية لايمكن اعتبارها جزءاً من قوى الثورة . ومن خطـــأ الثوريين أن يطرحوا أسئلة خطيرة كقولهم : الكفاح المسلح أم العمل السياسي ؟ إن المعركة واحدة ، وينبغي أن تكون في جميع المستويات . لكي نحدد دور الرأسمالية الوطنية ينبغي أن ندرسها بصورة واقعية كما هي في البلاد

العربية . وبنتيجة التحليل نجد أنها بحكم مصالحها ليست من الطبقات التي تلتقي مصالحها مع بناء الاشتراكية .

اذن لماذا نسميها وطنية ؟

الجواب هو أن بينها وبين الاستعمار تناقضاً مصلحياً، ولأن لها دوراً في الانتاج القومي يمكن أن تؤديه ، ولهذا نسميها وطنية .

# وطني عكا

## وحكاية الأصوات الحرة (١)

د. حسام الخطيب



قرأت مسرحية « وطني عكا » بشغف شديد ، وحين ألقيتها جانباً كان رأسي يعج بخواطر متباينة . إنها مسرحية ذهنية مثيرة للأسئلة ؛ أسئلة جريئة وحساسة يطرحها أشخاص المسرحية من عرب ويهود، ويجيبون عليها اجابات خاطفة بأسلوب تقريري في أغلب الأحيان . ما هي هذه الأسئلة ؟

إنها – هكذا ودون تحفظ – تتناول القضايا التي تتصل بالنكبة الفلسطينية وملابساتها منذ سنة ١٩٤٨ حتى اليوم سواء على المستوى الفلسطيني والعربي ، أو على مستوى الدولة الصهيونية وحليفتها الأمبريالية .

ولو كان في المسرحية توزيع متناسب للمادة وفقاً لمركز اهتمام واضح لأمكن القول : إن الكاتب يعالج القضية الفلسطينية في إطارها الطبيعي : الفلسطيني فالعربي فالصهيوني فالدولي . ولكن الواضح أنه – بسبب من ضخامة الموضوع وتداخل عناصره – لم يتمكن من التحكم في توزيع مادة المسرحية ، أو حتى التركيز على الموضوع الاساسي

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي – وطني عكا – مسرحية – .

وهو نضال مجموعة فلسطينية مقاتلة جمعتها ظروف النكبة وعلاقات أسرية وثيقة . ان المرء يحاول بعد الفراغ من قراءة المسرحية أن يستجمع في الذاكرة حكاية هذه المجموعة وبطولاتها ومعاناة أفرادها وخلجات نفوسهم ، ولكنه لا يظفر إلا بصورة باهتة تنقصها الخطوط والألوان ، ذلك ان هذه المجموعة ضاعت في زحمة الافكار الكثيرة والمسائل المطروحة والمناقشة المتواصلة . وربما كان هذا الضياع يعكس ضيعة الشعب الفلسطيني وقضيته في زحمة السوق الدولية والعربية ، ولكن من طبيعة الفن أن يجلو الامور ويبدد سحب الغموض وإلا فماذا هو ؟

على أن القاووق المنصف لابد مقدر للاستاذ الشرقاوي المجهود الكبير الذي بذله من أجل الاحاطة بقضية فلسطين وجوانبها المختلفة في مسرحية لا تكاد تبلغ مئتي صفحة. وربما كانت هذه الاحاطة هي هدف الكاتب الأساسي ، بحيث أراد لـ « وطني عكا » أن تكون وثيقة مسرحية للقضية الفلسطينية تتناول فيما تتناول :

أ – ضيعة الشعب الفلسطيني تحت وطأة الانظمة العربية الرسمية التي تقاعست فلسطين بعد سنة ١٩٤٨ . والكاتب يعالج هذه الناحية بمنتهى الجرأة ويدين الانظمة العربية لا لتهاونها في النهوض بأعباء القضية فحسب ، بل لتضافرها على اضطهاد شعب فلسطين والعمل على تمزيقه وكبت ارادته في النضال .

ب – ثورية الجماهير الفلسطينية العربية وتشوقها للنضال وإقدامها على خوض المعركة وبذل التضحيات مقابل تهاون البورجوازية وانشغالها بالملذات والترهات والمظاهر وتنكرها لقضية الوطن .

حـ – المجتمع الاسرائيلي بما فيه من تيارات متضاربة وتشكيلة بشرية متباينة ، وبما يسوده من تيارات تعصبية وظمأ الى التوسع وولع بسفك الدماء وتعصب أعمى ضد العرب .

د – حرب حزيران ١٩٦٧ وأسبابها ونتائجها وويلاتها .

وأهم من ذلك كله تعرض الكاتب للحلول المطروحة للقضية . وهو يركز على الحل الديمقراطي للقضية ، ويفسح للشخصيات مجالاً كبيراً لمناقشته ، محاولاً شرحه وتثبيت بعض مفهوماته . إن ليلى – وهي لسان الجيل الجديد المناضل – ترد على تخوف أبيها من الحل الديمقراطي بما يلي :

الديمقراطية يا أبتي هي جبهتنا الفولاذية في وجه الامبريالية .

فالوطن لنا والدين لرب الدين ، وهذا ما تعني الديمقراطية. ففلسطين الديمقراطية يا أبتي وجه نضر لفلسطين العربية . ستطير فلسطين الحرة نحو المستقبل بجناحيها :

الديمقراطية –يا أبتي– وعروبتها .

والملاحظ ان ليلى نصر ( ص ٨٤ ) على أن الحل الديمقراطي لا يلغي عروبة فلسطين.

والحل الديمقراطي ، طبعاً ، لا يأتي من جانب واحد . ولذلك حاول الكاتب أن يبرز الاتجاهات المناهضة للصهيونية بين يهود الارض المحتلة ، مشيراً الى ان حرب حزيران سنة ١٩٦٧ – بما رافقها من عنف ووحشية في معاملة العرب ، والسكان المدنيين منهم بخاصة – أدت الى بدء انكشاف أكاذيب الدعاوة الصهيونية وديماغوجيتها ، وبالتالي إلى نوبة من يقظة الضمير لدى أفراد من مختلف القطاعات : مثقف من أصل فرنسي ( مارسيل ) ، ضابط من أصل أمريكي ( سلامسكي ) ، ضابط من أصل فلسطيني ( سعد هارون ) إلخ ... إن مارسيل يحمل على القادة الصهيونيين والفكر الشوفيني التوسعي المسيطر على المجتمع الإسرائيلي ، ويعاني من نوبات مستمرة من تأنيب الضمير. وينتهي أخيراً الى العودة الى فرنسا . وتتأثر زوجة مارسيل بآرائه تدريجياً وتتخلى عن حماستها للصهيونية . أما سعد هارون فانه يبدو ناقماً على اسرائيل وما فيها من تمييز عنصري، ويظهر سلامسكي شكوكه بالسياسة التي تسلكها دولته وهكذا ... ويذهب الكاتب بعيداً في إبراز هذه الاتجاهات. ويشير مثلاً الى هرب جندي(١) من صفوف الجيش الاسرائيلي والتحاقه بالجانب العربي احتجاجاً على المسلك العدواني الوحشي للجيش الاسرائيلي (ص ١١٢) . وينساق الكاتب وراء هذا الاتجاه ويبعد كثيراً عن الحقيقة والموضوعية حين يدفع بطله المناضل العربي رشيد الى الهتاف :

فلترتفع الاصوات الحرة من داخل اسرائيل ( ص ١٤١ ) .

حين يقع الانسان على مثل هذه الآراء في الادب او في السياسة لابد ان يتساءل: هل كتب للتفكير العربي ان يظل ابداً ( مَوْجيّاً ) متأرجحاً من طرف قصي إلى طرف أقصى ؟ لقد انطلقنا من مبـدأ قذف اليهود إلى البحر ، وها نحن اليوم نسمع أصواتاً تنساق وراء المبالغة العاطفيـة في تصوير بعض البوادر المضادة

---

(١) ليس لهذا الكلام ظل في الواقع ؛ ومن الخطر إيهام قرائنا بامكان حدوث هذا الامر .

للصهيونية في صفوف العدو . إن التنويه بهذه البوادر أمر مقبول من حيث المبدأ ، على أن يصحب ذلك التشديد على أن هذا الاتجاه ما زال ضعيفاً مستضعفاً في اسرائيل من جهة ، وهو أقل مما هو منتظر من جهة أخرى . فالتربية الصهيونية الشوفينية تسيطر على المجتمع الاسرائيلي سيطرة كاملة وتنشىء الشباب هناك تنشئة عدوانية فاشية . والسلطات الاسرائيلية تقمع كل محاولة للاحتجاج على هذا الأسلوب في التربية ؛ ثم إن البوادر الانسانية التي ظهرت في المجتمع الاسرائيلي بعد عدوان ١٩٦٧ أقل بقليل مما ينتظر من أي مجتمع كولونيالي في العالم، تقوم مؤسساته الحاكمة على اضطهاد وإبادة وتشريد الشعب المحلي . وهذا هو الأمر الذي يجب أن نركز عليه في كلامنا بدلاً من تضخيم بعض البوادر . ولا ننسى أن كل مبالغة في تصوير يقظة الضمير اليهودي أو تطور الوعي الطبقي في قطاعات معينة في اسرائيل تحمل إدانة غير مباشرة للشعب العربي الفلسطيني الذي تكررت مأساته ثلاث مرات خلال الأعوام الاثنين والعشرين الفائتة ، وحرصت القوى المتآمرة عليـه على إبرازه بصورة المعتدي وإبراز جلاده بصورة الضحية .

وإذا انتقلنا الى الناحية الفنية فأول ما يلفتنا هو أن «وطني عكا» سليلة المسرحية الشعرية المصرية بحق . وهو حكم لن يرضي الأستاذ الشرقاوي طبعاً . إن الفارق الأساسي بين مسرحيات شوقي مثلاً وبين « وطني عكا » هو في قوة الفكرة وجرأتها وعمقها لا في البناء الفني ، وإن كان البناء الفني يسجل تقدماً واضحاً . إن الحركة المسرحية في « وطني عكا » ما زالت أقرب الى التفكك (١) . وهي تسير ببطء ودون تركـيـز ، وتعوقها المناقشات التي لا يتصور وقوعها في الأوقات الحرجة بين مناضلين أيديهم على الزناد وعدوهم أمامهم ومصيرهم فاغر فاه . والشخصيات كلها أقرب الى الأنماط، وهي ذات بعد واحد فقط ، وإن كان الكاتب يجهد في أن يرصد تطور تفكير هذه الشخصيات من خلال بعض الأحداث ( وربما كانت مارجو زوجة مارسيل مثالاً جيداً لهذا التطور ) .

والشعر في المسرحية ينساب انسياباً طبيعياً . ولا يضطر الكاتب لإحداث تغيير كبير في الترتيب المعتاد للكلام ؛ إلا أن سرعة تغير الوزن داخل المنظر الواحد تبدو غير مبررة ولا تنتظمها - فيما بدا لي - عوامل واردة في طبيعة الحوار نفسه . ويتساءل

(١) يمكن اعتبار المنظر التاسع ص ٩١ – ٩٧ مثالاً ملموساً لهذا التفكك .

المرء في الواقع عن الوظيفة التي يؤديها الشعر في مثل هذه المسرحية التي تطرح مناقشات جدية في القضية الفلسطينية وفي مشكلة الوضع العربي الراهن . وفي وهمي أنه في مثل هذا الموضوع يسهل الشعر للكاتب الانزلاق وراء الخطابية التي سلبت القسم الأكبر من انتاج أدب النكبة موضوعيته وقيمته الإنسانية. ومن أسف أنني لم أشاهد المسرحية ممثلة، ولذلك يظل حكمي على كثير من جوانبها الفنيـــة ناقصاً . وقد أكد لي كثيرون ممن شاهدوا المسرحية أنها كانت ناجحة ، ولكن هذا النجاح يمكن أن يكون ناتجاً عن عوامل عاطفية أو مؤقتة .

ويبدو أن كثافة المسائل المطروحة فرضت على الأستاذ الشرقاوي فرضاً أن يحسم الأمور في كثير من الأحيان بأحد أسلوبين : إما التقريرية وإما الخطابية . والحق أن هذا الأمر بحد ذاته لا يغـــير المسرحية كثيراً، لأن العبرة هي في مقدرة المسرحية على إثارة القارىء ودفعه الى التفكير ، وهذا ما تنجح فيه هـــذه المسرحية نجاحاً واضحاً .

# لن تتحطم القيثارة (١)

نواف أبو الهيجاء

من الأصوات الشعرية العربية التي تحاول أن تتلمس طريقها لتجد لها مكاناً في السماء الرحبة لدنيا الكلمة ، صوت الشاعر خالد محيي الدين البرادعي . ولعل ديوانه الجديد « صور على حائط المنفى » يمثل مرحلة متطورة بالنسبة اليه . ان الظرف الراهن للامة العربية يتطلب اصواتاً جريئة .. تماماً كتلك الأيادي التي ترش الملح في الجروح . والديوان يطرح مسألة غاية في الأهمية :

هل يقف الشعر في هذه المرحلة موقفاً ناضجاً واضحاً يصل حد التعليم !؟ وهل بالامكان ان يظل الشعر محافظاً على بنيانه الفني ، وتماسكه التام ، ان جاء واضحاً على تلك الصورة التي رأيناها في ديوان البرادعي الجديد !؟

وربما كان بعضهم يعترض على هذه المقولة ، وربما كان بعضهم يرى ان الشعر لا يمكن أن يكون مبسوطاً كراحة اليد . ولكن البرادعي يرى غير هذا . كيف !؟

## القصائد والوضوح :

عالم محيي الدين البرادعي ، عالم مقهور ، متفكك ، يسوده جو قاتم ربما كان هو

(١) صور على حائط المنفى – ديوان شعر لخالد محيي الدين البرادعي ، توزيع دار الطليعة – بيروت ١٩٧٠ .

ذاته الجو الذي نحياه جميعاً . ولكن ، وفي خضم الظلمة الحالكة ، تندلع ألسنة لهب في أرجاء المعمورة تكشف عن نقاط الضعف – السلب – لتصنع منها قوة – ايجاب . ففي قصيدتيه المترابطتين « مدينة الظلام » و « الطوفان والرحيل » يقع البرادعي على احد اسس عوامل الهزيمة في مجتمعنا العربي :

فخلف التلال

زمان تحجر

وليل تسمر (١)

اذن ثمة ظلام دائم يلف مدينة البرادعي .. ظلام متحجر الى درجة اصبح معها البشر متجمدين كالحجر .. لا يفكرون ، لا يبصرون ، لا يسمعون . وهو – الشاعر – رآها على حقيقتها المفجعة ، مكاناً بنياً مظلوماً لا يسمعه احد .. لا يبصره احد ، لا يعيره احد أدنى اهتمام :

رأيت مدينه°

توقف فيها الزمان°

وهذه الحجارة°،

كانت بشر° (٢)



هذه الابيات هي خاتمة قصيدته « مدينة الظلام » وهي خاتمة يمكن ان تكون مقبولة لو كانت القصيدة تتسم بالغموض المحبب للشعر الحديث . ولكن ان تكون هذه الخاتمة تماماً كالبداية واضحة فان شيئاً غير عجيب قد اصاب شعر البرادعي . وهذه الملاحظة تنسحب على جميع قصائد هذا الديوان . ولعلها تشكل نقطة الضعف الوحيدة الطافية على السطح بحيث يمكن لكل عين ملاحظتها .

يقول معلم « التاريخ » : « ان بوادر الخطر

بقصف الرعد

---

(١) صور على حائط المنفى – ص (١١)

(٢) الديوان – ص ١٦

من غيم بلا مطر ! »[1]

ويبدو لي بوضوح هنا أن هذا « المطر » هو الشاعر ذاته . انه ، بصدق ، يقبع على موطن الضعف ، موطن الخطر ، ولكنه يصر ، بعد ذلك ، على تأكيد هذا المعنى الواضح ، اذ يقول :

مدينتنا ..

تعيش بعصرها الذهبي .

ما شابت . ولا هرمت

- وإن يتهدم البنيان - [2]

صحيح أن هذا الشعر جميل .. فيه تلك الدفقة الصافية من العاطفة الصادقة - العاطفة التي ترتفع لتصل «الدماغ» الانساني - فهي لا تخاطب - القلوب - فحسب ، بل هي تخاطب العقول كذلك . وهذه ميزة ينبغي تسجيلها هنا لخالد البرادعي ، ولكن، ومن جديد يعود البرادعي الى تأكيد ما قاله في قصيدته الاولى :

يا ويلنا من عامر الدنيا

يا ويلنا .. منا .. وفتناها[3]



في القصيدتين المذكورتين لا جديد سوى تلك الحدة في الرؤيا .. حدة تنقل بالعمل الفني الى مرحلة « الفجاجة » التامة . هذا لا يعني نقداً موجهاً للغة البرادعي ولكنه نقد يصيب طريقة عرضه لافكاره ، لأحاسيسه ، لدفقات الشعر الصادقة الحارة .

التقريرية - صحيح انها من ميزات الوضوح - إلا أنها تسبب تفككاً في العمل الفني بشكل يشل معه قدرة القارىء - الدائمة - على التصور . ان البرادعي لا يعطي القارىء فرصة الاستمتاع في عملية « المشاركة » - كعملية ضرورية بين القارىء والكاتب.

تتجلى التقريرية في قصيدته الثالثة « المغني والزيتون » حين يقول :

(١) الديوان - ص ١٩

(٢) الديوان - ص ٢٢ - ٢٣

(٣) الديوان ص ٢٨

**يفهم من يفهمها ..**
**بأنني اسير للوراء الف عامْ**
**أو ارفع الغطاءَ ..**
**عن مستقبل الأيام .. الف عام**
**ويستوي الضدان يا رفيقتي [1]**

لو أن البرادعي لم يقل « ويستوي الضدان يا رفيقتي » لكانت التقريرية في هذه القصيدة أمراً مقبولاً فنياً وموضوعياً . فالبرادعي — في القصيدة هذه — يؤكد ما سبق وقاله في قصيدتيه السابقتين .. وهذا امر محبب اذ يدخل القارىء بصورة اكثر جدية في الجو الذي يريد ان يدخله فيه . فالشاعر يعيش محاصراً ، مخنوق الصوت ، والنفس ، مسجون التفكير والجسد . ان من يرفع الغطاء ليكشف حقيقة مؤلمة امام الناس ، مصيره السجن . ولكن انى لهؤلاء جميعاً ، مهما استعملوا من اساليب القمع والاضطهاد ، أن يصمتوا صوتاً ينبغي ان يسمعه الجميع . والصوت هنا قيثارة تنشد للجميع .. للصحوة الكبرى ، تدعو الى اليقظة ، تشير بأصابع الاتهام نحو جميع مواطن الضعف ، وتهلل بصوتها الجميل لصورة الغد المنشودة :

**انحطم القيثارة الحبيبهْ**
**أم نطحن الرأس الذي**
**علاه الجواء والعدم ؟؟ [2]**

هكذا يختم البرادعي قصيدته . من جديد ثمة مباشرة، وتقريرية . كأنه بذلك يدخل الى صلب القضية بسؤال جوابه مفهوم فـ « الحبيبة » هي شيء نريده .. فكيف نكسره ؟! والخواء والعدم شيئان لا نريدهما ، فكيف لا نطحن الرأس الخاوية المعدمة ؟!

هذا التدخل هنا تدخل منحاز، لايخاطب غير العاطفة . وهو بهذا شبيه بما قاله « بروتس » في خطبته للجمهور ، ولكن بصورة معكوسة تماماً . وقد رأينا تأثير خطبة

---

(١) الديوان – ص ٣٠

(٢) الديوان — ص ٤٢

بروتس في الجمهور ، إذ ما أن جاء إنتونيو وبدأ بخطبته المعتـــادة حتى انقلب الجمهور على بروتس .

في القصائد الثلاث التالية « تساؤلات قبـل الفجر ، صورة لدريد بن الصمة ، كلمات أخيرة ، وهمسات الذات » يدخل البرادعي مرحلة اخرى غير « التشخيص » . في هـــذه القصائد يبدأ الشاعر مرحلة « التفكير بعمل ما » . فهو يتساءل عن جدوى الوقوف واجترار الكلمات ، والمراوحة . ثم يدعو الى – العمل – .. فدريد بن الصمة يقاتل حين ينبغي أن يقاتل ، ولا يقاتل حين ينبغي ألا يقاتل :

**السيف يصنع اخضر الاحلام**

**لما تموت رفاهة الحكمة**(١)

هي ، أيضاً ، خاتمة تعليمية ولكنها لم تفقد تأثيرها باعتبارها جاءت على لسان « ابن الصمة » الذي انطقه البرادعي في قصيدته المذكورة . هكذا خفف البرادعي من وطأة « التعليم » المباشر الثقيل الذي ساد معظم القصائد العربية القومية والوطنية منذ ١٩٤٨ – حتى يومنا هذا .

وينتقل في قصيدته « همسات الذات » الى صورة اجمل . فالتناقض هنا واضح وجيل ومفجع في الوقت نفسه . « الذات » المنطلق الى آفاق الانسانية الشاملة هي ليست « ذاتاً » انانية . امنية حلوة تداعب الذات نحو الأسى من هـــذا العالم المملوء بالأخطاء والمآسي .. وامنية عذبة لكي يجد الانسان طريق خلاصه بوضوح وان لايبقى كذاك الذي جاء من البادية الى المدينة وبهرته الأضواء فضيع الاثنتين معاً . فلا هو احتفظ بأصالته ، ولا هو صار « حضرياً » !!

في قصائده « ثم يولد شعر الجماهير » ، « مجموعة صور لابي ذر الغفاري » ، « تركت الهوى » و «صورة قديمة» يمضي البرادعي ليسير خطوة بالقارىء الى الأمام.. حيث يلج معه عوالم جديدة من التحدي ، والشراسة البدوية الأصيلة .

**عندما يستلهم الجوع الشفاه**

**وتذوب البسمة الخضراء**

---

(١) الديوان ص ٥٥ .

في ثغو الحياة
عندما تلفح كف الكادح الشمس
وتبكي .. في يديه السنبله
وتنادي :
لست له !!!![1]

عندما تحدث هذه الأشياء التي يذكرها البرادعي بوضوح يولد شيء اسمه « شعر الجماهير » . ولعل هذا ما يريد به البرادعي تبرير وضوحه المطلق في جميع قصائد هذا الديوان .

وهذا الوضوح،أيضاً ، مشفوع ببضعة أسطر يفتتح فيها البرادعي معظم قصائده، بحيث يعطي القارىء أكثر من فرصة لفهمه . ان البرادعي ، على ما يبدو ، أراد أن يتخلص من الإبهام فوقع في خطر الوضوح المباشر .. وابتعد نهائياً عن « الغموض » المحبب للشعر .. ذلك الغموض الذي يشبه الى حد كبير غموض المرأة أمام الرجل ..والذي يتسبب في كثير من الأحيان بمزيد من المتعة في «الركض» وراء كشف خيوط الغموض.. المحببة العذبة . البرادعي أيضاً ، ومرة أخرى ، يحرم القارىء فرصة المشاركة :

واقدس الموت لما . . .
يذوب الكل في واحد[2]

أثمة وضوح اكثر من هذا الوضوح يمكن ان يقوله انسان عن أبي ذر الغفاري . وفي « تركت الهوى » يقف شاعرنا موقف شاعرنا العربي الذي قال « اليوم خمر وغداً امر » .. لا وقت للحب بعد حزيران .. بل ان الحب صار عاراً حقيقياً بعد حزيران. وهذه الصورة غريبة ، في نظري ، .. أن تنفي تلك العلاقة الانسانية الرائعة بسبب الهزيمة. ان الحب قد يكون سبباً يدعو الى الشراسة في قتال العدو ، حب الأرض ، حب الزوجة والأولاد ، وحب الانسانة التي تعيش معك في هذه الأرض .. مجرد شعورك بأن وجودها مهدد من قبل العدو دافع - ذاتي وموضوعي - يدعوك للقتال .

---

(١) الديوان ص ٦٦ .
(٢) المجموعة ص ٧٣ .

**واتركيني .. احرق القلب بخورا**
**لنبيّ من بلادي .. ونبيّه**
**يصنعان الفجر خلف البندقيه**(١)

لست أدري لم لايكون النبي والنبية يحبان بعضهما بعضاً خلف البندقية ؟! مرحلة اخرى ينتقل إليها ديوان البرادعي في قصائده الاساسية التالية : « الساحر والأطفال » ، « الراهب والسلام » و « رباعية امريكية » و « غربة وانتظار » و « صورة الأمس في الغد » و « صورة من وجه العصر » و « الحائط الذي سينهار » .

في هذه المرحلة يربط البرادعي بين قضيته وقضية الحرية والانسان في هذا العالم . سخرية لاذعة ، سياسية بارعة ، من الامبريالية الامريكية تصل حداً عجيباً من الوضوح والمباشرة : فلا شيء عند القتلة الامبرياليين .

**أحلى من الحبلى اذا بقرت**
**وألذ طعماً .. من دم الطفل**(٢)

وفي « الساحر والاطفال » اسلوب قصصي شيق واضح كل الوضوح . ولعل جميعنا يعرف حكاية الأطفال مع الساحر – الأعور الدجال – كما يسمونه . حكاية شعبية عكسها البرادعي على واقع حياة دون أن يستعمل هذه المرة فقط ، اسلوبه المعتاد في التقرير والمباشرة . ويسخر من احد الكرادلة الامريكان حيث يبارك حرب الامبريالية القذرة ضد شعب الفيتنام في قصيدته « الراهب والسلام » . ويفضح في قصيدته « صور من وجه العصر » حقيقة الحضارة الغربية المبنية على الخمر والدم والجنس .. حضارة المجتمع الرأسمالي المنهار . وفي ختام ديوانه نبوءة بما يمكن أن تتحدث عنه الحجارة غداً .

## ملاحظات أخيرة :

يبقى ان نقول كلمة حق في ديوان البرادعي هذا :

كان تركيزنا منذ البداية على السؤال الذي طرحناه « هل يقف الشعر في هذه المرحلة موقفاً ناضجاً واضحاً يصل حد التعليم ؟ وهل بالامكان ان يظل الشعر محافظاً على

---

(١) المجموعة ص ٧٧ .
(٢) الديوان – ص ( ١١٨ ) .

بنيانه الفني ، وتماسكه التام ، إن جاء واضحاً على تلك الصورة التي رأيناها في ديوان البرادعي الجديد ؟!

والاجابة ، رغم كل شيء ، هي : نعم !

ان يصل الشاعر الى الجميع لخير الف مرة من ان يصل الى « النخبة » — ذلك التعبير البورجوازي الأصيل —. وإلا فلماذا يكون الشاعر شاعر قضية إنسانية شاملة ! ؟

البرادعي في ديوانه الجديد استطاع ان يوصل أصوات وانغام قيثاره الجميل الى كل إذن وكل قلب وكل رأس . والفجاجة الموجودة في بعض القصائد لا يمكن ان تشكل سداً في وجه الدفقات المبدعة الصادقة التي قدمها في « صور على حائط المنفى » ، وتظل الصور محفورة في الأذهان دائماً . ونقول للبرادعي : « لن تتحطم القيثارة الصادقة الجريئة، وإن تعثرت في بداية الطريق فهذا امر طبيعي جداً». ويثبت البرادعي من جديد انه صوت يناضل من اجل ان يأخذ مكانه في عالم الشعر الواسع الصعب .. دون بهرجة ضوئية حادة ، بل من خلال وضوح اصيل .

# سكان العراق [1]

عرض وتقديم :

## هشام الدجاني



يشير المؤلف في مقدمة الكتاب الى افتقار العراق الى مثل هذا النوع من الدراسات السكانية رغم أهميتها البالغة. ولعل هذا مادفعه الى وضع كتابه « سكان العراق » رغم قلة الاحصاءات والمصادر بين يديه .

ويستهدف الكتاب دراسة الخواص السكانية في القطر العراقي ، مع تبيان علاقة تلك الخواص بالتطور الاقتصادي في العراق . ومثل هذه الدراسات الديموغرافية أصبحت اليوم تشكل أساساً لوضع سياسة التخطيط والبرمجة في بلد من البلدان . وقد بدأ تطوير هذه الدراسات يشكل حيزاً هاماً من اهتمامات الدول المتقدمة، ونشأ جيل من المتخصصين في علم السكان ساهم بنقل الاهتمام بهذا العلم الى العديد من الدول النامية ، التي وجدت فيه لازمة ضرورية لحل مشكلات التخلف والمشكلات الاقتصادية والديموغرافية .

ويجدر بالذكر أن المؤلف لم يقتصر في بحثه على دراسة المشكلات السكانية للقطر

---

(١) فاضل الانصاري – سكان العراق ، منشورات مكتبة أطلس – دمشق – ١٩٧٠ .

العراق وحده ، بل عمل في كثير من الاحيان على عرض صورة مقارنة للخواص السكانية المختلفة للدول العربية الأخرى أو الدول المجاورة للعراق . كما ضمن المؤلف بحثه كثيراً من المعلومات النظرية والتعاريف المبهمة في علم الديموغرافيا بشكل عام ، باعتبارها ضرورية لتوضيح بعض معطيات البحث وعناصره .

• • •

يستعرض المؤلف في **الفصل الأول** من الكتاب الوصف الجغرافي والطبيعي العام للعراق ، كما يستعرض الهجرات التاريخية الى العراق قبل وبعد استيطان العرب فيه . وبعد هذه المقدمة يتحدث المؤلف عن التركيب الاثنولوجي ( تعدد الاقوام ) والديني لسكان العراق مع جداول احصائية موضحة .

ويخصص المؤلف **الفصل الثاني** عن نمو السكان وتوزيعهم . وفيه يتحدث عن النمو السكاني في العراق منذ أوائل العهد العباسي وحتى عام ١٩٦٥ . كما يعقد دراسة مقارنة بين النمو السكاني في العراق ونظيره في بعض الدول الأخرى في حقبتين زمنيتين متفاوتين .

ويتناول المؤلف في هذا الفصل ، والفصل الذي يليه ، العوامل المؤثرة في زيادة النمو السكاني وحركة السكان الطبيعية من ولادات ووفيات ، مع بحث مفصل في العوامل المؤثرة في كل من الولادات والوفيات ؛ وهي العوامل التي يمكن تعميمها على العالم العربي والاسلامي كله تقريباً . فأسباب زيادة نسبة الوفيات عند الاطفال وخصوصاً في الريف ، وأسباب زيادة نسبة الولادات تكاد تكون متشابهة لدى الشعوب الاسلامية .

أما **الفصل الرابع** فقد خصصه المؤلف لتناول الحركة الميكانيكية للسكان في العراق ؛ أي حركة الهجرة الداخلية من الريف الى المدينة ، وبالعكس . كما يتحدث عن حركة الهجرة الى خارج العراق . والمهم في هذا البحث هو حركة الهجرة من الارياف الى المدن الرئيسية ، وخاصة العاصمة بغداد . ففي هذا البحث يتناول المؤلف بالتفصيل أسباب هذه الهجرة الداخلية الى المدن وعواملها . ويرجع المؤلف اسباب هذه الهجرة الى نوعين من العوامل هي : **عوامل الجذب وعوامل الطرد** أما عوامل الجذب فهي اغراءات المدينة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة . وأما عوامل الطرد فهي :

— نظام الملكية في الريف : سوء توزيع الملكية واستيلاء فئة قليلة على معظم الاراضي الزراعية .

— طبيعة العلاقات السائدة في الريف : الظلم الذي يعاني منه الفلاح العراقي في ظل النظام العسكري الاقطاعي السائد في الريف .

– مشكلات نظام الري والتسويق الزراعي : النتائج الاقتصادية السيئة لفيضان نهري دجلة والفرات في الربيع ، والجفاف الشديد في الصيف . ويضيف المؤلف الى هذه العوامل الطبيعية عاملا آخر هو سوء تسويق الحاصلات الزراعية وتعرض مجهود الفلاح لتلاعب السماسرة والمرابين .

– الظروف السياسية اللاحقة لثورة ١٤ تموز : سوء تطبيق قانون الاصلاح الزراعي وعدم التمهيد للقانون بالتوعية اللازمة للفلاحين . وفي هذا يقول المؤلف : « وكان مؤملاً أن يؤدي القانون الى تقليل الملكيات وزيادة عدد المالكين ، وبالتالي زيادة حجم الانتاج الزراعي والتخفيف من فقر الريف، فتتناقص بذلك موجات الهجرة الريفية . ولكن الذي حدث أن الاصلاح الحقيقي كاد يقتصر على الناحية القانونية وأدى الى مفاعيل عكسية في كثير من الأحوال . فبالاضافة الى البطء المتعمد في التنفيذ نتيجة لكون الجهاز الاداري وريثاً للعهود السابقة ، نجد أن ضعف الامكانات المادية والعلمية والفنية ، وضعف وسائل مواجهة الرجعية والتخلف في الريف ، والتناقضات السياسية التي رافقت عدم استقرار البلد في مرحلة الانتقال التي أعقبت الثورة .. كل ذلك أعاق تنفيذ القانون رغم ثغراته . ان معالجة مشكلة الملكية بنصوص جامدة تفتقر الدليل العلمي المستمد من الواقع الاجتماعي المتخلف يؤدي الى نتائج عكسية ، خصوصاً اذا لم يقترن التطبيق بتوعية شاملة للفلاحين ووضع أسس متينة للتعاون والتمويل الزراعي»(١).



وبعد أن يستعرض المؤلف هذه الاسباب ، ينتقل الى التحدث عن النتائج الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية للهجرة من الريف الى المدينة ، وعن مستقبل هذه الهجرة . ويعرض المؤلف بعض المقترحات العملية للعمل على حد هجرة الفلاحين لقراهم وضياعهم وتثبيتهم في أماكنهم ، والعمل على تطوير الريف وتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فيه . وبعض هذه المقترحات ينطلق من منطلقات اشتراكية بحتة كتنظيم الفلاحين في تعاونيات إنتاجية ، وانشاء مزارع للدولة . ويقول المؤلف في نهاية هذا البحث : « والخلاصة ان إعادة تنظيم الزراعة على أسس اشتراكية كفيل باحداث ثورة في الانتاج الزراعي وتطوير الارياف وشد الفلاح الى ارضه ، وبالتالي معالجة التراكمات الخطرة التي نتجت عن الهجرة بمرور السنين »(٢)

---

(١) الكتاب – ص ١٤٣

(٢) الكتاب – ص ١٥٦

أما **الفصل الخامس** فهو دراسة ديموغرافية تستند الى الاحصاءات والارقام، حول تركيب العمر والجنس ( ذكور واناث ) لسكان العراق، مع دراســة مقارنة مع الدول العربية. كما يتضمن دراسة لعدد السكان في سن العمل، والعوامل المؤثرة بالنسبة لعدد السكان القادرين على العمل.

ولا يفوتنا هنا: أن ننوه بأهمية مثل هذه الدراسات والارقام بالنسبة للباحثين وبالنسبة للمبرمجين وواضعي خطط التنمية المتنوعة. فمعرفة تركيب السكان من الناحية العمرية والنوعية ومن ناحية سن العمل، استناداً الى احصاءات دقيقة موثقة،يفيد الدولة كثيراً في وضع الخطط الاقتصادية، وتحديد مدى استفادتها من العناصر البشرية القادرة على العمل.

ويتناول المؤلف في **الفصل السادس** والأخير من كتابه الخواص الاقتصاديةللسكان بشكل عام. فيوزع السكان بحسب الفعاليات الاقتصادية. والمؤلف يقسم هذه الفعاليات الاقتصادية الى ثلاث فعاليات:

**الفعالية الاولى**: وتضم السكان الزراعيين والعاملين في الرعي والصيد وما الى ذلك.

**الفعالية الثانية**: وتضم العاملين في القطاع الصناعي والمناجم والمهن الحرفية والبناء.

**الفعالية الثالثة**: وتضم جميع السكان الآخرين العاملين في قطـــاع التجارة والخدمات والمهن الحرة وأجهزة الدولة ... الخ

ثم يتناول المؤلف بعد ذلك بالدراسة نوعية السكان في كل فعاليةوتوزعهم الاقليمي وخواص هذا التوزع.

وهو يكرس عدة صفحات من هذا البحث للتحدث عن مشكلة البطـــالة في العراق، واشكال هذه البطالة وأسبابها ونتائجها، وللتحدث عن البنية الاقتصادية للقوى العاملة وتطورها.

ويفرد المؤلف أخيراً في نهاية كتابه بحثاً خاصاً عن تطور المجتمع العربي، يتحدث فيه بايجاز عن خصائص هذا المجتمع منذ الأحقاب التاريخية القديمة وحتى العصر الحديث، مع دراسة البنية الطبقية لهذا المجتمع في عصرنا، ودور كل طبقة من طبقاته. ولا يفوت المؤلف هنا أن يشير الى وحدة البنية الطبقية للمجتمع العربي فيقول: «.. ان السمات العامة لتوزع وتركيب طبقات المجتمع العراقي ... يصعب فصل دراستها عن مجمل البنية الطبقية للمجتمع العربي» (١). ويصل المؤلف بعد هذا الاستعراض التاريخي الشامل الى

(١) ص ٢٥٤ من الكتاب

نتيجة واضحة، وهي وجود بون شاسع بين حركة التطور المعاصرة لمجتمعنا العربي وحركة التطور العالمي ، « ويمكن تشبيهه بنسبة المتوالية الحسابية الى المتوالية الهندسية » . وعليه فان عبء الثورة العربية يزداد ثقلاً ، وتشتد الحاجة الى النضال الطبقي لتحقيق الحد الأقصى من الفعالية .

ويخلص المؤلف من كل هذا الى حقيقة هامة هي أهمية التحويل الاشتراكي لسد الثغرات في مقدار التطور الحالي ، مع إمكان القيام بهذا التحويل مـــع تجاوز المرحلة الرأسمالية من مراحل التطور . فقد تحولت معظم البلدان الاشتراكية من بلدان متخلفة الى بلدان زراعية وصناعية متطورة في مدى زمني قصير . ويدعو المؤلف في خاتمة كتابه الى إحداث ثورة حقيقية في تخطيط السكان والاقتصاد معـــاً ، باعتبار أن النظام الاقتصادي يعد مسؤولاً في أي قطر عن معظم المسائل السكانية . وهذه الثورة لن تنجز بدون تغيير البنية الاقتصادية الحالية ، أي بدون الخطط الاقتصادية طويلة الاجل ضمن اطار التحويل الاشتراكي .

# الملاحة الفلكية تغيّر وجه العالم (١)

عرض ونقد : ختام الدروبي

كان غزو الفضاء وما يزال الحلم العميق الذي يدغدغ آمـال الانسان ويستثير خياله ، ولكن جيلنا دون غيره من سابقيه كان له حظ رؤية مركباته الساحرة تتخطى حدود كرتنا لتنطلق عبر الكون الفسيح ، تجوب أرجائه بخوف ولهفة وأمل .

## لمحة تاريخية :

وجـد على مر العصور أناس فكروا بقذف صاروخ نحو الفضاء ، وإذا كانت المحاولات الاولى ذات طابع بدائي فإن تقدماً محسوساً قد طرأ منذ أن فكر العلماء باستعمال القوة **النابذة أو المدفع** .

(١) Paul Ceuzin - L' astronautique Transforme le monde - Editions Hachette - Paris

بول سوزان – الملاحـة الفلكية تغير وجه العالم – ترجمة محمد وائل الاتاسي – مراجعة وجيه السمان – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٧٠ .

ولكن الصاروخ الألماني ( ف - ٢ ) الذي اطلقه هتلر على العاصمة البريطانية كان نقطة الانطلاق الحقيقية نحو علم الملاحة الفلكية . الى ان اطلق الروس قمرهم الاصطناعي الأول الذي افتتح فعـلاً حلبة التنافس على غزو الفضاء . ثم كان هبوط الانسان على القمر ثورة تكنولوجية ليس لها مثيل في تاريخ الانسان . ولكن الخطوات القليلة التي خطاها الرائدان على سطح القمر كانت ثمرة حضارة الانسان ككل .

## الاقمار الفنية :

لا يجب ان يفهم من عملية غزو الفضاء ، الاختصار على المريخ والزهرة فقط ، وانما عني الانسان بأقمار ذات طابـع أرضي بحت ومن أهمها **أقمار الاتصال والأرصاد**

## أقمار الاتصال :

من المعروف انه كلما ارتفع مركز الارتباط عـن سطح الارض ، كلما زاد مدى ارساله . والقمر الاصطناعي بهذا المفهوم يستطيع ان يبلغ ارتفاعاً اعلى من ارتفاع أي طائرة قد تطلقها دولة لغرض الاتصالات . واول قمر سخر لهذا العمل هو ( ايكو - الصدى ) وهو قمر منفعل ، بمعنى انه يشبه مرآة عاكسة تنعكس عليها الأمواج الهرتزية . ولكن طريقة عمل هذا القمر غير مجدية نسبياً لأن عملية الاستلام والتسليم تستنفذ معظم الطاقة التي تنقل الرسالة المبثوثة من الأرض ، وهكذا اتجهت انظار العلماء الى الأقمار الفاعلة التي تتلقى الرسالة المستلمة ثم تعيد بثها الى الأرض ، أي أنها تقوم بعملية شحن ثم تحويل . وعيب هذه الأقمار الوحيد حاجتها الماسة الى كثير من الطاقة ، حيث لا يكفيها الا مولد من نوع مولدات الجيب الذرية .

وهناك القمر ( كوربيه - ساعي ) الذي خصص لأهداف عسكرية بحتة . فهو يسجل الرسائل التي يلتقطها لدى مروره فوق نقاط متصورة من الكرة الأرضية على شريط مغناطيسي ثم يعيد بثها من جديد عند مروره فوق المركز الذي يعنى بأمره . أما ( التلستار ) الذي احيط بشعبية واسعة فقد صنع من عدة معادن قوية هدفها حمايته من الشهب الصغيرة التي قد تصطدم به . ولا يعمل التلستار بفاعلية ممتازة ما لم ينصب هوائي ضخم يتلقى بث التلستار الضعيف ، مع الحاجة الى توجيهه بدقة متناهية نحوه . اضافة الى ان التلستار لا يستطيـع أن يغطي - بسبب دورانه السريـع - الا وقتاً ضئيلاً في مدة البث التلفزيوني . ويمكن لازالة هذا العائق ، اطلاق اقمار صناعية متعددة ، الا ان هذه الطريقة باهظة التكاليف .

ومن المؤكد أن اقار سينكوم ستقضي، عند تعميمها ، على التلستار بسبب طاقتها الكبيرة ، وسرعة دورانها المماثلة لسرعة دوران الأرض ، حيث أن ثلاثة منها فقط تكفي لتغطية البث على سطح الكرة الأرضية .

## أقمار الأرصاد الجوية :

رغم أن أكثر من ٨ آلاف محطة أرصاد جوية تنتشر على سطح كرتنا الارضية ، فانها لا تستطيع تغطية احتياجات الانسان من هذا العلم . مما دفع العلماء الى صنع اقمار الرصد الجوي تساعد الشبكة الارضية . وكان القمر تيروس أول هذه الاقمار،حيث زوده بآلة تصوير تلفزيونية تلتقط آلاف الصور وتعيـــد نقلها مباشرة الى الارض ، مما أتاح المجال لادخال تحسينات على خرائط الارصاد ورصد مراكز تجمعات الغيوم ، والتعرف على الاعاصير . وهذا كله يؤدي الى الاستعداد للكوارث والتخفيف من أهوالها . ثم ان اقار الرصد الجوي تعمل على التنبؤ للمدى الطويل اضافة الى تنبؤ المدى القصير .

وهناك اقار الملاحة البحرية المسماة ( ترانزيت ) التي اصبحت بمثابة بديل عن النجم والتقويم والساعة . ويأمل العلماء بصنع اقمار للتدفئة تسلط أشعة تحت الحمراء على المناطق الباردة من كرتنا الارضية لرفع حرارتها .

## الملاحة الفلكية تغير وجه العالم :



احدثت الملاحة الفلكية ثورة حقيقية في عالم الصناعة والتكنولوجيا . ومعظم الاختراعات التي نشاهدها اليوم انما نشأت بالاصل عن ضرورة اقتضتها صناعة الفضاء التي أخذت على عاتقها صناعـــة الاجهزة المصغرة لتتناسب مع الصغر النسبي لحجم المركبات الفضائية . فثمة رادار مصغر استعمل اضافة الى أعمال الفضاء في مساعدة العميان بالرؤية على طريقة الخفاش عن طريق اصدار اهتزازات فوق الصوت تنعكس على العوائق ثم ترتد اليه . كما استعملت المولدات النووية الصغيرة في محطـــات للرصد الجوي معزولة في القطب الجنوبي ، اضافة الى الخدمة الكبرى التي أسديت لنا في مجال الطاقة كالدفع ( بطريقة البلازما ) والدفع الايوني . وربما شاهدنا يوماً ما محركات تعمل بقوة الفوتونات أي ( الطاقة الضوئية ) . ولا شك ان اثر الملاحة الفلكية في خلق مواد جديدة هو أهم نتائج ابحاث الفضاء شأناً . حيث اكتشف خليط ثمين هو ( الدور-ألومين ) كما أعيد استعمال معادن مكتشفة سابقاً . ثم البيريليوم الذي يجمع بين ميزات معادن المغنيزيوم والموليبدن والتيتان والالمنيوم والنحاس .

وفي **مجال الطب** ساعدت أيضاً أبحاث الفضاء على اكتشاف ( الكواشف القلبية ) التي استحدثت بقصد تطبيقها الفضائي . كما استطاع (الهيدرازين) وهو وقود للصواريخ أن يعطي نتائج لا بأس بها في معالجة الامراض العقلية والسل .

## أخطار الملاحة الفلكية :

خشي العلماء من تمزق الغلاف الجوي عند اطلاق المركبات الفضائية ، ولكن تبين فيما بعد أن الأوزون، وهو الطبقة التي تحيط بالأرض، يعاد تركيبه من جديد بواسطة الأشعة فوق البنفسجية الخطرة ، وهكذا يتوك توازن يحافظ على بقاء هذا الحاجز الواقي في حدود كميات مناسبة . وكانت مخاطر تلوث الفضاء هي المشكلة الثانية التي اهتم بها العلماء ، حيث من بضع مئات الأطنان من بقايا الاحتراق الناتج عن الصواريخ ستملأ حجماً هائلاً في الفضاء لايمكن تصور مداه . وثمة وسائل خاصة للدفع هي قيد الدراسة الآن سيؤدي نجاحها بلاريب الى تخليصنا من مخاطر تلوث الفضاء .

ثم هناك خطر العدوى البيولوجية ، اذ قد تحمل المركبة الفضائية الكون بذور وباء كوني . وهذا مما دفع مؤسسة ( N.A.S.A ) الأمريكية الى تعقيم جميع عناصر المركبات الفضائية تعقيماً حرارياً . ثم قررت لجنة أمريكية عدم اخضاع مركبة رانجر للتعقيم بسبب نفقاته الباهظة ، إضافة الى احتمال عطب الأجهزة المعقدة .

ثم ان تجنب الجراثيم التي قد تحملها المركبات العائدة الينا من الكواكب ، قضية أهم من سابقتها بكثير . وعلى العلماء واجب البدء بتصيد الجراثيم اللا أرضية . ويلجأ العلماء الى تحليل أجواء الكواكب لمعرفتها بواسطة فخاخ مثل ( موليتيانور — الشراق ) الذي سيتغذى بغبار المريخ حين يحط عليه، ثم جيلفر الذي يجمع شيئاً من تراب القمر ثم ( وولف — تراب ) الذي يحصل على التراب ثم يقوم بتحليله .

## نواحي الضعف في الملاحة الفلكية :

يبقى الانسان نفسه هو النقطة الأولى في ضعف الملاحة الفلكية ، اذ أن الفضاء هو دنيا الاشعاعات المميتة بالنسبة للانسان . ولكن العلماء اكتشفوا أن الفضاء ليس ملوثاً بشكل منتظم . وثمة أحزمة شعاعية تدعى ( أحزمة فان–ألن ) التي يكثر فيها الاشعاع، وما عداها يكون الاشعاع ضعيفاً وعتملاً . وفي مقابل ذلك تظل **الانتفاضات الشمسية** هي الخطر الحقيقي حيث تقذف الشمس بين فترة وأخرى جرعاً من الاشعاعات القاتلة .

وسوف تشكل الوقاية من هذه الاشعاعات مرحلة حاسمة بالنسبة لمستقبل الملاحة الفلكية . وقد اقترح العلماء أن يجعل في كل مركبة غرفة محصنة تدرأ خطر هذه الاشعاعات، اضافة الى استعمال أدوية أعطت نجاحاً متوسطاً هي التيريبيتومين والسيروتومين . كما ان **شروط التحليق** تفرض علينا هي الأخرى عنتاً قاسية كتسارع المركبة عند انطلاقها أو تباطؤها عند العودة ، وانعدام الجاذبية والبقاء لمـدة طويلة في قمرة صغيرة محكمة السد . ثم ان حالة انعدام الوزن تؤثر على اعضائنا تأثيراً مازلنا نجهل مدى اذاه .

**ومشكلة التغـذية** هي الأخرى من الأمور المعقدة ، واذا تمكن الانسان من حلها بالنسبة للرحلات القصيرة، فإنه لن يستطيع ذلك بالنسبة للرحلات التي قد تستغرق سنة او اكثر . ويقترح العلماء اقامة حقل في المركبة تزرع فيه نباتات خضورية كالكلوريل والفاصولياء والأناناس ، علاوة على تجميد فعالية المسافرين .

## الملاحة الفلكية والحرب :

رغم ان مباراة غزو الفضاء تتسم بطابع سلمي ، فان احداً لم ينس بالطبع مهمتها الحربية . وقد صرح جونسون نفسه بان معارك الغد ستندلع في الفضاء بدل ان تندلع في الجو والأرض . والصواريخ المستعملة في حمل المراكب الفضائية هي صواريخ حربية بالدرجة الأولى مثل أطلس وثور وساتورن ثم اخيراً الصاروخ ( مينيو تمان ) — أي ابن الساعة — الذي يعمل بشكل آلي عند أول نداء يوجه اليه ، حيث يتلقى أوامر الانتقام من مركز آلي للقيادة مدفون تحت الأرض .

ثم هناك الأقمار القاذفة للقنابل التي أصبحت ممكنة التحقيق من الناحية التقنية، والذي منع انتاجها حتى الآن هو ان التسديد بواسطة هذه الأقمار مازال غير محكم لدرجة كافية . فالقصف عن بعد كبير يتطلب دقة فائقة . وتستعمل هذه الأقمار الآن في حال وجودها لأعمال الاستخبارات كتصوير اراضي العدو بدقة .

## خـاتمة :

بعد ان استعرضنا الكتاب . ندرك الآن بأن الملاحة الفلكية قد خطت خطوات

واسعة المدى في مجال تطور الملاحة الفلكية منذ ان دغدغت احلام الانسان خيالاً حتى اصبحت حقيقة واقعة .

ووسيلة العلماء في ذلك العلم والتكنولوجيا . ومن يدري فقد نسمع بعد حين عن انجازات أوسع واشمل مما قرأنا عنها في هذا الكتاب ستكون نتيجة دأب العلماء المستمر في هذا المضمار .

# إعلان هام

## الى السادة المشتركين في « المجلة »

قررت إدارة مجلة « المعرفة » أن توزع هديتها على المشتركين في عام ١٩٧٠ اعتباراً من شهر شباط ( فبراير ) ولغاية شهر حزيران ( يونيو ) . والهدية هي كتاب من منشورات وزارة الثقافة في القطر العربي السوري . وتضع المجلة أمام القراء القائمة التالية ، المؤلفة من عشرة كتب ، ليختار المشترك منها كتاباً نقوم بإرساله إليه مع العدد القادم . ونرجو أن يتفضل المشترك بإعلامنا اختياره بأسرع وقت ممكن ، وأن يبين لنا العنوان الذي يرغب في أن نرسل إليه الكتاب الهدية :

**فكر لينين** : للباحث الفرنسي هنري لوفيفر ، ترجمة ومراجعة د. كمال الغالي وأديب اللجمي

**السفسطائي** : للفيلسوف أفلاطون ، ترجمة الأب فؤاد جرجي بربارة

**دفتر السجن** : مقتطفات من أشعار الرئيس الفيتنامي الراحل هوشي‌مين ، ترجمة وصفي البني

**الانسان والفضاء** : سلسلة تبسيط العلوم ، لآرثر كلارك ، ترجمة ماجدة مفتي

**حديث عن فيتنام** : مسرحية للكاتب الألماني بيتر فايس ، ترجمة إبراهيم وطفي

**الرياضيـــات** : سلسلة تبسيط العلوم ، لبرغاميني ، ترجمة نجاح شمعة قدورة

**برودون** : مؤلفات مختارة ، جمع وترتيب الباحث الفرنسي جان بنكال ، ترجمة د. عمر شخاشيرو

**ادب المقاومة في فيتنام** : مقتطفات من الأدب الفيتنامي ، ترجمة الأديب المصري غالي شكري

**الفكر العلمي الحديث** : للفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار ، ترجمة د. عادل العوا

**النسان** : مسرحية شعرية لسليمان العيسى

إن هذه الهدية دعوة للقراء الذين لم يشتركوا بعد في المجلة ، إلى أن يبادروا لتسجيل اشتراكهم فيها وإرسال القيمة حوالة بريدية أو شيكاً على أحد المصارف المعتمدة في دمشق باسم محاسب مجلة « المعرفة » ، وسيتلقون هديتهم وفق اختيارهم مع أول عدد يصلهم .




يجري سحب الاصدار الشعبي الرابع عشر

بتاريخ ٢ حزيران ١٩٧٠